الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 20 أوت 1955- سكيكدة

كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم علم النفس

رقم التسجيل: . . . . . .

الرقم التسلسلي: . . . . . .

التصورات الإجتماعية للهجرة السرية عند الشباب الجزائري

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم النفس الإجتماعي

إعداد الطالب: **عادل بوطاجين**

إشراف الأستاذ الدكتور: **سليمان بومدين**

أعضاء لجنة المناقشة:

محمد شلبي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة قسنطينة 2- عبد الحميد مهري
سليمان بومدين	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة
بوخميس بوفولة	أستاذ التعليم العالي	عضوا	جامعة باتنة 1 – حاج لخضر
فريدة لوشاحي	أستاذة محاضرة – أ	عضوا	جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة
رجاء بوزريبة	أستاذة محاضرة – أ	عضوا	جامعة قسنطينة 3 – صالح بوبنيدر
كوكب الزمان بليردوح	أستاذة محاضرة – أ	عضوا	جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي

السنة الجامعية 2018-2019

فهرس الدراسة

شكر وتقدير

الملخصات باللغات العربية، الفرنسية والإنكليزية

مقدمة 1

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي للدراسة

1. الإشكالية 4

2. فرضيات الدراسة 7

3. أهداف الدراسة 8

4. أهمية الدراسة 8

5. تحديد مفاهيم الدراسة 9

الفصل الثاني: نظرية التصورات الإجتماعية

تمهيد 14

1. مفهوم التصور(ات) الإجتماعي(ة) 16

2. محتوى التصورات الإجتماعية 19

3. سيرورة تكون التصورات الإجتماعية 20

4. وظيفة التصورات الإجتماعية 26

5. التصورات الإجتماعية ...«توجهات نظرية» 28

6. التصورات الإجتماعية والتواصل 34

7. التصورات الإجتماعية والنظام الخلفي 39

8. التصورات الإجتماعية ونظرية العزو السببي 42

9. التصورات الإجتماعية والممارسات 46

10. الهجرة السرية كموضوع للتصور 49

الفصل الثالث: واقع الهجرة السرية في الجزائر

تمهيد 56

1. واقع الهجرة الدولية 57

2. أشكال الهجرة والمهاجرين..... 60

3. العوامل المؤدية للهجرة 63

4. مشكلة الهجرة السرية (الهجرة غير الشرعية)..... 65

5. تاريخ هجرة الجزائريين نحو الخارج 68

6. واقع الهجرة السرية في الجزائر 74

7. ملمح المهاجرين السريين الجزائريين 78

8. مسالك المهاجرين السريين الجزائريين 82

9. الوضع الهجراتي الإقليمي 94

10. واقع الجزائريين المقيمين في أوروبا 104

11. إجراءات الدول الأوروبية لمواجهة الهجرة السرية 114

12. المقيمون السريون في الجزائر..... 123

الفصل الرابع: خطة الدراسة الميدانية وإجراءاتها

تمهيد 127

1. منهج الدراسة 128

2. مجتمع الدراسة..... 129

3. المكان الزمكاني الدراسة 130

4. كيفية إختيار أفراد العينة 132

5. أدوات جمع البيانات..... 135

6. وسائل تحليل البيانات..... 145

الفصل الخامس: عرض ومناقشة نتائج الدراسة

تمهيد 148

1. عرض وتحليل ومناقشة نتائج تحليل محتوى تعليقات الشباب على الأنترنت..... 148

2. عرض وتحليل ومناقشة نتائج أداة الإستحضار التسلسلي 159

3. عرض وتحليل ومناقشة نتائج إستمارة التصورات الإجتماعية للهجرة السرية 171

4. عرض وتحليل ومناقشة محتوى المقابلات مع الشباب..... 214

5. مناقشة النتائج في ضوء فرضيات الدراسة 217

خاتمة 223

قائمة المراجع 225

الملاحق 232

فهرس الجداول

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
01	تطور عدد العمال المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا منذ 54 إلى سنوات 70	73
02	عمر الحراق	80
03	الحالة المدنية للحراق	80
04	تمدرس الحراق	81
05	الوضع المهني للحراق	81
06	عدد المغاربة المقيمين في الخارج في سنة 2000	95
07	تطور عدد المهاجرين التونسيين الذين قبض عليهم حراس الشواطئ التونسيين من 2007 إلى 2011	98
08	تحليل معطيات أداة الإستحضار التسلسلي	137
09	ثبات سلم Rotter المكيف (التطبيق وإعادة التطبيق)	142
10	الكلمات الأكثر تكرارا في التعليقات حول الهجرة السرية	151
11	الكلمات الأكثر تكرارا في تعليقات الشباب مع/ضد الهجرة السرية	156
12	الكلمات المستحضرة الأكثر تكرارا والأكثر أهمية وترتيب ظهورها (أهميتها)	159
13	تحليل تكرارات ومتوسط ترتيب الإستحضارات بخصوص "الحرقة"	161
14	الفئات التي تختزل إستحضارات الشباب حول الحرقة وحجم كل فئة وأهميتها	167
15	الكلمات المستحضرة الأكثر تكرارا عند الحراقة وغير الحراقة	169
16	تشبعات العوامل الخمسة المستخرجة (نتائج التحليل العاملي)	172

فهرس الأشكال

رقم الشكل	عنوان الشكل	الصفحة
01	تأثير الآخر على إدراك الفرد لموضوع ما	17
02	التخطيط المنظم لآلية حدوث المرض النفسي	23
03	نتائج التحليل الموضوعاتي للتعليقات	154
04	نتائج التحليل الموضوعاتي للتعليقات التي مع الهجرة السرية	157
05	نتائج التحليل الموضوعاتي للتعليقات التي ضد الهجرة السرية	158

فهرس الخرائط

رقم الشكل	عنوان الخريطة	الصفحة
01	الولايات الشرقية التي ينحدر منها المهاجرون ومسلكهم	84
02	المسلك الذي يتبعه المهاجرون عبر ليبيا	87
03	الولايات الغربية التي ينحدر منها المهاجرون ومسلكهم	89
04	مسالك المهاجرين الجزائريين الذين يقصدونا أوروبا الغربية عن طريق تركيا وأوروبا الشرقية	93

فهرس الملاحـق

رقم الملحق	عنوان الملحق	الصفحة
01	نموذج أداة الإستحضار التسلسلي Instrument d'évocation hiérarchisée	234
02	دليل المقابلة	235
03	نموذج سلم الإتجاهات نحو الهجرة السرية	240
04	نموذج سلم روتر **Rotter** لموضع التحكم الداخلي–الخارجي	242
05	إستمارة التصورات الإجتماعية للهجرة السرية عند الشباب الجزائري	245
06	العبارات المشكلة للعوامل الخمسة (التحليل العاملي لنتائج الإستمارة)	252

شكر وتقدير

يطيب لي وأنا أنهي كتابة هذه الأطروحة أن أعبر عن عميق محبتي وامتناني لأستاذي العزيز البروفيسور **سليمان بومدين** على أسلوبه الراقي في النقاش والإشراف، حيث منحني، بطريقته المحنكة في لفت إنتباهي لنقاط ضعف عملي وبمقترحاته خفيفة الوطأة علي، الإرتياح الضروري للتفكير ومراجعة كتاباتي وأسلوبي في العمل بعد كل لقاء إشراف.

كما أشكر كل من ساعدني على إجراء الدراسة الميدانية في بلدية عزابة وعلى رأسهم: **مولفي نسيمة، السيد عليوات، وحيد صيدة، مطلاوي سيف الدين، مشاطي حمزة، دراجي بلال وخماري سيد علي** وفي بلدية حمادي كرومة وعلى رأسهم: **بن جدو عبد الرحيم** وفي حمروش حمودي وعلى رأسهم: **بن موسى عصام، بوطالب فارس.**

شكر خاص إلى من تفضلن بقراءة ومراجعة مقالي حول موضوع هذه الأطروحة الأستاذة **نعاس نسيمة** والدكتورة **بوزريبة رجاء** والدكتورة **العرباوي ليلى.**

دون أن أنسى شكر القائمين على المكتبة المركزية لجامعة 20 أوت 55 – سكيكدة وعلى رأسهم السيد **شليغم محمد** على تسهيلاتهم وتشجيعاتهم.

ملخص الدراسة:

تندرج هذه الأطروحة ضمن حقل المعارف الإجتماعية، وقد هدفت إلى الكشف عن البنى السوسيو–معرفية (النظام الخلفي le méta-système والنظام المعياري والقيمي) المترسخة في الحس المشترك الجزائري التي تحدد محتوى وبنية تصورات الشباب الإجتماعية للهجرة السرية، والإختلاف في تنشيط محتوى هذه البنى بحسب مستوى الإنخراط في هذا النوع من الهجرة، الإتجاه نحوها وطبيعة العزو السببي لدى الشباب المستجوب.

لقد تضمنت هذه الأطروحة فصلين نظريين تضمنا عرضا لمختلف الأدبيات المرتبطة بنظرية التصورات الإجتماعية في علم النفس الإجتماعي وظاهرة الهجرة السرية في الجزائر ومحيطها الإقليمي.

إعتمدت هذه الدراسة ذات الطابع الإستكشافي على المنهج الوصفي باعتباره الأنسب للكشف عن محتوى تصورات الشباب للهجرة السرية وذلك من خلال تحليل محتوى تعليقاتهم على هذه الظاهرة في الأنترنت واستعمال أداة الإستحضار التسلسلي للحصول على المحتويات التصوراتية بخصوص الهجرة السرية وإستمارة لتحديد بنيتها، ثم مقاطعة هذه المحتويات مع متغيرات بسيكو–سوسيولوجية (مستوى الإنخراط في هذا النوع من الهجرة، الإتجاه نحوها والعزو السببي لدى الشباب المبحوث)، وقد استهدفت الدراسة الميدانية 131 شابا تتراوح أعمارهم ما بين 15 و35 سنة.

أما عن نتائج الدراسة الميدانية فقد بينت رسما أوليا (une esquisse) لنظام خلفي مؤطر لتصور الشباب الجزائري للهجرة السرية ويتضمن:

- ترسخ فكرة الهروب من البلد كحل مقبول ومشرعن لمواجهة أوضاع لا تشجع على العيش في البلد الأصلي.
- الأوضاع المزرية في البلد والتي لا تعود لأسباب موضوعية وإنما لشعور عام باللاعدالة لدى الشباب خلقته، في إعتقادهم، فئة المسيرين من خلال توزيع غير عادل للثروة وخدمة للمصالح الشخصية وغياب الأمل في التغيير.
- زوال قيمة العمل نتيجة لقلة مردوديته مقارنة بنفس العمل في أوروبا وعدم مساهمته في الإرتقاء الإجتماعي.

- صورة إيجابية عن أوروبا كمكان للعيش يلبي جميع متطلبات العيش ويوفر فرصة للتحرر من كل أشكال العنف: عنف المحيط الفيزيقي، عنف التنظيم الإجتماعي، عنف الوسط الإجتماعي، عنف التفاعلات الإجتماعية، عنف الفضاء العمومي، عنف الوسط المهني، عنف المقدس.

أما فيما يخص النظام المعياري والقيمي المعارض لهذا النوع من الهجرة، فمن الواضح أن موضوع الهجرة السرية ينشط بعضا من عناصره المتمثلة في:

- تقييم سلبي لشخصية المهاجر السري (الطمع، الإهتمام بالماديات، الرغبة في حياة إباحية) الذي يعتبر عينة من الشباب الجزائري الميال إلى الكسل والعمل المريح.
- رفض مغادرة البلاد بدعوى الوطنية (القليل في بلدي أفضل من الكثير في بلدان الآخرين) وهي وطنية قد تصل إلى حد إتهام الشباب المهاجرين سريا بالتنكر لتضحيات الشهداء.
- تقييم سلبي لشخصية الجزائري التي تغيرت مع الوقت وفقدت قيمها في العمل.
- رفض مغادرة البلاد بدعوى دينية والنظر إلى أوروبا كمكان يمكن للشاب المهاجر إليه أن يفقد مبادئه ودينه فيه.
- صراع تاريخي مع أوروبا كقارة مستعمرة بالأمس ومستمرة في سعيها للهيمنة علينا إلى اليوم.

يبدوا أن هذه المحتويات السوسيو–معرفية التي أتاحت لنا دراستنا الميدانية إستخراجها والتي نعتقد بأنها تنتمي لنظام خلفي مترسخ في التاريخ السوسيو–معرفي للمجتمع الجزائري، توظف بشكل مستقل عن المتغيرات البسيكو–سوسيولوجية الثلاثة (مستوى الإنخراط في هذا النوع من الهجرة، الإتجاه نحوها والعزو السببي لحدوثها) حيث يبقى تأثيرها منحصرا على الإدراكات السلبية المتعلقة بالشباب أو الحراقة أو الجزائري بشكل عام أو الإدراكات السلبية عن الجزائر، بعبارة أخرى، لا يوجد إختلاف في تنشيط أفراد العينة للمحتويات السوسيو معرفية المذكورة أعلاه بحسب مستوى إنخراطهم في هذا النوع من الهجرة، إتجاههم نحوها وعزوهم السببي إلا عندما يتعلق الأمر بعناصر النظام المعياري والقيمي التي تقيم شخصية الشباب وهجرتهم السرية بشكل سلبي، حيث يرفض من قاموا بمحاولة الهجرة السرية، أو من يوافقون عليها أو أصحاب العزو السببي الخارجي أشكال الضغط هذه.

الكلمات المفتاحية: التصورات الإجتماعية، الهجرة السرية، الشباب، النظام الخلفي، النظام المعياري، النظام القيمي

Résumé:

L'actuelle thèse est inscrite dans le champ d'étude des cognitions sociales, elle avait pour but l'exploration des structures socio-cognitives (méta-système et système normatif et des valeurs) inscrites dans le sens commun des Algériens, qui peuvent déterminer le contenu et la structure des représentations sociales de l'émigration clandestine chez les jeunes, et les variations de ces contenus en fonction du niveau d'implication de ces jeunes dans ce genre de migration, Leur attitude envers elle et leur locus of control (interne/externe).

Cette étude comporte deux chapitres théoriques qui abordent la littérature liée à la théorie des représentations sociales en psychologie sociale et le phénomène de l'émigration clandestine en Algérie et dans le grand Maghreb. Elle est descriptive et exploratoire par nature, car elle vise à explorer les contenus des représentations sociales que développent les jeunes algériens au sujet de l'émigration clandestine, à travers l'analyse des commentaires faits par de jeunes internautes à ce sujet, ainsi que l'utilisation de l'instrument d'évocation hiérarchisé et d'un questionnaire pour déterminer le contenu et la structure de la représentation sociale supposée de l'émigration clandestine afin de les croiser avec trois variables psychosociologiques (niveau d'implication et attitude envers ce type d'émigration, le locus of contrôle (interne/externe) de ces jeunes). Quant à l'enquête, elle a été réalisée auprès de 131 jeunes âgés de 15 à 35 ans. Elle nous a révélée l'existence d'un méta-système qui joue le rôle d'un substrat dans lequel est inscrite la représentation sociale supposée de l'émigration clandestine, et qui contient les éléments suivants:

- La fuite du pays qui est devenu un acte accepté et légitime vu la situation dans laquelle se trouve le pays.
- La misère dans ce pays n'est pas considérée comme le résultat de facteurs objectifs mais elle est nourrie par un sentiment d'injustice qui trouve ses racines dans le mode de gouvernance des dirigeants, la distribution inéquitable des richesses et l'absence d'espoir dans changement.
- Le travail n'est plus une valeur en soi ni un moyen de promotion sociale à cause de la faiblesse de son rendement par rapport au pays de l'Europe.

- Une perception positive de l'Europe comme le lieu idéal pour vivre, en absence de toutes sortes de violences : physiques, sociales, relationnelles, professionnelles, …

Et d'un système normatif et de valeurs qui refuse ce mode de migration :

- Un migrant clandestin vu négativement qui représente une jeunesse peu engagée dans le travail (Manuel en particulier).
- Le refus de quitter le pays pour des raisons patriotiques : « Peu chez soi mieux que beaucoup ailleurs ».
- Une personnalité algérienne mal vue, qui perd ces valeurs avec le temps.
- Une Europe vue comme une mauvaise destination pour quelqu'un qui veut préserver ces croyances et ces coutumes et mode de vie.
- Une histoire coloniale qui pèse encore sur les relations entre les deux rives de la Méditerranée.

Il est bien clair que ces contenus sociocognitifs font partie d'un méta-système inscrit dans l'histoire sociocognitive de la société algérienne, mais son activation ne semble pas influencée par les variables psychosociologiques auxquelles on a parlé au-dessus, excepté les contenus à charge normative qui dévalorisent les jeunes algériens et leur émigration clandestine, car on voit que les jeunes qui ont déjà essayé de rejoindre l'Europe clandestinement, qui sont avec ce genre d'émigration ou qui ont un Locus of control externe ont tendance à refuser ces contenus.

Mots clés : représentations sociales, émigration clandestine, jeunes, méta-système, système normatif, système de valeurs

Summary:

The current thesis is part of the field of study of social cognitions, it aimed at the exploration of sociocognitive structures (normative meta system and values) inscribed in the common sense of Algerians who can determine the content and the structure of social representations of young people's emigration among young people, and the variations of these contents depending on the level of involvement of these young people in this kind of migration, attitude towards it and their locus of control (internal / external).

This study comprises two theoretical chapters that address the related literature to the theory of social representations in social psychology and the phenomenon of illegal emigration in Algeria and the great Maghreb. It is descriptive and exploratory by nature, as it aims to explore the contents of the social representations that young Algerians develop about illegal emigration, through analyses of the comments made by young Internet users on this subject, as well as the use of the hierarchical evocation tool and a questionnaire to determine the content and structure of the supposed social representation of illegal emigration in order to cross with three psychosociological variables (level of implication and attitude towards this type of emigration, the locus of control (internal / external) of these young people). As for the survey, it was conducted among 131 young people aged 15 to 35 years. It revealed to us the existence of a meta-system that plays the role of a substratum in which the supposed social representation of clandestine emigration is inscribed, and which contains the following elements :

- The flight of the country which has become an act accepted and legitimate given the situation in which the country is.
- Misery in this country is not seen as the result of objective factors, but is fueled by a feeling of injustice rooted in the governance of leaders, the inequitable distribution of wealth and the lack of hope in change.
- Work is no longer a value in it self nor a means of social promotion because of the weakness of its performance compared to the country of Europe.
- A positive perception of Europe as the ideal place to live, in the absence of all sorts of physical, social, relational, professional violence, etc.

And a normative system and values that refuse this mode of migration:

- A migrant clandestine seen negatively representing a youth little engaged in the work (Manuel in particular).
- The refusal to leave the country for patriotic reasons: " Few in our country is better than many elsewhere ".
- A poor Algerian personality, who loses these values over time.
- A Europe seen as a bad destination for someone who wants to preserve these beliefs and these customs and way of life.
- A colonial history that still weighs on the relations between the two shores of the Mediterranean

It is clear that these sociocognitive contents are part of a meta-system inscribed in the sociocognitive history of Algerian society, but it's activation does not seem influenced by the psychosociological variables mentioned above, except the normative content that devalues young Algerians and their illegal emigration, because we see that young people who have already tried to reach Europe clandestinely, who are with this kind of emigration or who have an external locus of control tend to refuse these contents.

Key words: social representations, illegal emigration, youth, meta-system, normative system, value system

مـــــقدمة:

لطالما كان فعل تغيير مكان العيش ومعه نمط الحياة فعلا بشريا خالصا، فهجرة الأفراد والجماعات والقبائل هي التي حددت إزدهار مختلف المناطق الجغرافية عبر العالم، لكن حرية التنقل التي ميزت بدايات هجرة الإنسان لاكتشاف عوالم جديدة أو بحثا عن الرزق لم تعد متاحة اليوم بسبب ظهور الدول الحديثة الحريصة على تأكيد وحراسة حدودها، حيث أصبح تنقل الأفراد خاضعا لإعتبارات سياسية، إقتصادية، أمنية، ثقافية وهوياتية زادت من صعوبة النشاط الهجراتي وتعقيده، فكما لم تراعي السلطات الرسمية رغبة البشر في التنقل وحقهم في ذلك طبيعيا وقانونيا (المادة 13 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1948/ المادة 12 من ميثاق الأمم المتحدة للحقوق المدنية والسياسية لسنة 1966)، يبدو أن الراغبين في الهجرة غير مستعدون للتنازل عن حقهم هذا، حتى ولو تطلب منهم ذلك إختيار طرق غير تقليدية للوصول إلى المناطق أو البلدان الراغبين في بلوغها.

إن الحديث عن طرق غير تقليدية في الهجرة سيقودنا حتما للحديث عن الهجرة السرية (أو غير القانونية أو غير النظامية) بمختلف أشكالها، وهي هجرة نشطة يقوم بها أصحابها رغما عن السلطات المسيرة للبلدان المستقبلة والمصدرة لهم، لكن إلتفاف هؤلاء على طرق الهجرة الرسمية التي لا تتاح لهم دائما أو أبدا لن يكون دون تعريض حياتهم للخطر أو تمديدهم لمشروعهم الهجراتي الذي قد يدوم لشهور أو سنوات وحتى العمر كله، بعد أن كان ممكنا إنجازه في أيام أو ساعات، فالواقع المؤسف لهذا النوع من الهجرة مرتبط بجزء واحد وثابت من هذا العالم، فالهجرة السرية هي دائما هجرة سكان الجنوب (العالم الثالث) المتخلف إلى الشمال (العالم الأول والثاني) المتقدم.

إن ما سيأتي من محتوى هو عرض لفحوى دراسة نظرية وميدانية لظاهرة الهجرة السرية في بلد ينتمي إلى العالم الثالث، والذي أصبحت هذه الهجرة جزءا من واقعه وموضوعا دائما للنقاش بين مختلف الشرائح المكونة لمجتمعه، فبالإضافة لما يقدمه المختصون في هذا البلد من تفسيرات لأسباب إقدام الشباب الجزائري على هكذا شكل من الهجرة، تبحث هذه الدراسة عن المعنى الذي يعطيه الفاعلون أنفسهم لهجرتهم، مع ما يتيحه ذلك من فرصة لفهم الإطار السوسيو–معرفي الذي يتواجد ضمنه هذا المعنى، فالتصورات الإجتماعية للهجرة السرية عند الشباب الجزائري التي إخترناها موضوعا لدراستنا هذه، فرصة للباحث البسيكو–سوسيولوجي الذي نمثله لإبراز الظاهرة الهجراتية (الإستثنائية في حالتنا هذه) كما يدركها المقدمون عليها وكيف تدمج في مختلف مظاهر حياتهم اليومية السوسيو–معرفية طبعا ولكن الممارساتية والرمزية حتما.

تتضمن هذه الدراسة الأطر الثلاث المعتادة التي تستند عليها البحوث في ميدان العلوم الإجتماعية:

إطار مفاهيمي؛ يتضمن عرضا لإشكالية الدراسة، فرضياتها، أهدافها وأهميتها وتحديد مفاهيمها.

إطار نظري؛ يتضمن فصلين، الأول متعلق بنظرية التصورات الإجتماعية والذي قدمنا فيه تعريفا للتصورات الإجتماعية، محتواها وظيفتها وسيرورة تكونها ومختلف التوجهات النظرية بشأنها، بالإضافة إلى علاقتها ببقية أشكال المعرفة الإجتماعية (النظام الخلفي le méta-système، العزو السببي)، بالتواصل والسلوكات (الممارسات). أما الفصل الثاني فيتحدث عن واقع الهجرة السرية في الجزائر (ملامح المهاجرين السريين الجزائريين ومسالكهم) وواقع الهجرة الدولية (المنتظمة والسرية) وأشكالها قبل ذلك، كما يتضمن حديثا عن الوضع الهجراتي الإقليمي ووضعية المقيمين السريين الأفارقة في الجزائر، ولكن وضعية المقيمين الجزائريين في الخارج أيضا، بالإضافة إلى الحديث عن الإجراءات الأوروبية لمواجهة الهجرة السرية.

إطار تطبيقي؛ يتضمن فصلا عرضت فيه الإجراءات المنهجية للدراسة: تحديد منهج الدراسة، مجتمع الدراسة، المجال الزمكاني للدراسة، كيفية إختيار أفراد العينة، أدوات جمع البيانات وتحليلها وفصلا لعرض وتحليل ومناقشة نتائج الدراسة الميدانية.

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي للدراسة

1. الإشكالية
2. فرضيات الدراسة
3. أهداف الدراسة
4. أهمية الدراسة
5. تحديد مفاهيم الدراسة

1. الإشكالية:

ترجع بدايات الهجرة السرية* باستعمال القوارب في الجزائر إلى سنة 2005، فقبل هذه السنة، كانت هجرة الشباب تتم من خلال التسلل بشكل فردي أو في جماعات محدودة العدد إلى سفن المسافرين أو الشحن المتجهة إلى أوروبا أو بقية بلدان العالم أو من خلال السفر بتأشيرة ثم البقاء في بلد الوجهة بعد إنتهاء مدة صلاحيتها، فرغم إستمرار هذه الأساليب في الهجرة، إلا أن رحلات الشباب باستعمال قوارب صغيرة وهشة، تنطلق من الشواطئ الشرقية والغربية للبلاد باتجاه الشواطئ الأوروبية الأكثر قربا (شواطئ إيطاليا وإسبانيا)، غطت على الطرق المتبعة سابقا نتيجة للأعداد الكبيرة من المهاجرين الذين يغادرون بلدهم في رحلات جماعية سرية، فينجحون أحيانا في بلوغ مبتغاهم أو ينتهي بهم الأمر في مراكز الإعتقال أو الموت غرقا، محدثين جدلا ونقاشا واسعا بين شرائح المجتمع المختلفة.

إن هذا الجدل والنقاش الذي غدته وسائل الإعلام المحلية والأجنبية، والذي تجسد في الجلسات الإعلامية التي نشطها مختصون من مختلف الإختصاصات (علم الإجتماع، العلوم القانونية، علم النفس،...) أو في تصريحات المسؤولين أو رؤساء الأحزاب وممثلي الجمعيات بخصوص هذه الظاهرة، أو في حديث الشباب أنفسهم أو أوليائهم أو جيرانهم، يعبر في واقع الأمر عن أزمة مجتمعية عميقة؛ فعلى خلاف الهجرة السرية من الكثير من الدول الإفريقية وبقية الدول المغاربية، تحمل هجرة الشباب الجزائريين بشكل سري دلالات سوسيولوجية وثقافية وبسيكو–سوسيولوجية ملفتة، فنحن أمام بلد شاب تمثل نسبة الذين تتراوح أعمارهم فيه ما بين 15 و34 سنة (تتواجد أعمار الشباب الذين أقدموا أو يقدمون على الهجرة السرية ضمن هذا المجال العمري) 38,65 % من مجموع السكان[1]، زيادة على غناه بالموارد الطبيعية (البترول، الغاز الطبيعي، المعادن،...) والمالية، ومع ذلك يغامر هؤلاء الشباب بأنفسهم من أجل الإلتحاق بمجتمعات مختلفة ثقافيا وإجتماعيا عن مجتمعاتهم، أين سيتوجب عليهم بذل الكثير من الجهد وإنتظار الكثير من الوقت (قد يتوجب على الشاب الصبر لعدة سنوات حتى يسوي وضعيته) من أجل تسوية وضعيته القانونية والإنخراط في سيرورة إقتصادية مغايرة ومُتطلِبة.

لقد أصبحت قوارب المهاجرين السريين منذ 2008، تضم أشخاصا موظفين، ونساءا (حواملا في بعض الأحيان) وقصرا وشبابا ينحدرون من عائلات ميسورة، فحتى لو كانت أعداد هؤلاء ضئيلة مقارنة بأعداد بقية الشباب

* لقد تبنينا هذه التسمية بدل «الهجرة غير الشرعية» لأنها أكثر تعبيرا من الناحية البسيكوسوسيولوجية وتفاديا للبعد القانوني الذي تحمله التسمية الثانية.

[1]. الديوان الوطني للإحصاء: www.ons.dz، الأربعاء 2012/9/6، الساعة 11:00 Am .

المهاجرين سريا، فهي تحمل دلالات سوسيو–ثقافية كبيرة وتستجيب، في إعتقادنا، لمنطق سوسيو–معرفي سائد يقنع المقدمين على هذه "المغامرة" بأن هجرتهم أفضل من البقاء في بلدهم.

إن إقدام الشباب على عمل بمثل خطورة الهجرة السرية يتطلب، وفق ما بينته أعمال المشتغلين في حقل المعارف الإجتماعية (les cognitions sociales) [Moscovici (1961), Jodelet (1989) Moliner (1998)]، عملا معرفيا كبيرا، يعدون من خلاله تبريرا متينا يشعرهم بالراحة ويتبرؤون من خلاله من المسؤولية المصاحبة لإقدامهم على هذا السلوك، ويتيح لهم التواصل مع أقرانهم ومجادلتهم وإقناعم إن إقتضى الأمر بأن يحدوا حدوهم، كما يساعدهم على مواجهة الضغط المعياري والهوياتي من المحيط الإجتماعي الذي ينتمون إليه. حيث ينطلق هذا العمل المعرفي من آراء أو مواقف أو إتجاهات يعبر عنها الأفراد، نتيجة تقييم ذاتي أو إحتكاك بموضوع ما، لكنها سرعان ما تتطور مع الحوارات اليومية لتتخذ أشكالا سوسيو–معرفية معقدة متمثلة في معتقدات (des croyances)، أو تصورات إجتماعية يكونها هؤلاء الأفراد من خلال إحتكاكهم مع بقية الأفراد وتكون مترسخة في النظام القيمي السائد.

تكتسي التصورات (التمثلات) الإجتماعية* أهمية كبيرة في فهم إدراك الأفراد أو الجماعات لموضوع أو ظاهرة ما، لأنها تحتوي على أفكار وآراء ومعتقدات وإتجاهات منظمة في كيانين، الأول مرتبط بتاريخ الجماعة والنظام القيمي السائد، في حين يرتبط الكيان الثاني بخصوصية كل فرد وتجاربه الفردية، بعبارة أخرى، إن العمل المعرفي الذي تحدثنا عنه أعلاه، والذي يقوم به الشباب من أجل تبرير إقدامهم أو إحجامهم عن محاولة الهجرة السرية مرتبط بعلاقتهم بالنظام القيمي السائد وتجاربهم الفردية، لكن كيف يمكن لتصور إجتماعي محتمل للهجرة السرية أن يرتكز على نظام قيمي سائد يفترض فيه (لإعتبارات سوسيولوجية، ثقافية، تاريخية وهوياتية) أن يكون رافضا لهذه الظاهرة؟

إن الإجابة على هذا السؤال، تكمن ربما في تاريخ المجتمع الجزائري الذي يرجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد (بروز نوميديا كدولة ممثلة للسكان المحليين)، مع ما تخلله من تحولات وأحداث أقربها تلك التي تخللت الفترة الممتدة من الإحتلال الفرنسي الإستعماري إلى اليوم، والتي ميزها صراع طويل من أجل إسترجاع السيادة ومعها الهوية والثقافة الوطنية، ثم أزمات سياسية وإقتصادية (تبني نظام الحزب الواحد سياسيا والنظام الإشتراكي إقتصاديا والتخلي عنهما عند نهاية الثمانينات) وأمنية (أزمة إرهاب دامت طوال فترة التسعينيات)، بعد الإستقلال، نجم عنها

* هناك من الباحثين من يفضل تسمية «التمثلات الإجتماعية» لمقابلها باللغة الفرنسية «les représentations sociales» أو بالإنكليزية «the social representations».

إقتصاد ضعيف معتمد على عائدات البترول والغاز وأزمات إجتماعية (البطالة، مشكل السكن، زيادة تكاليف الزواج، ضعف القدرة الشرائية، ...).

لم تمر هذه التحولات والأزمات التي طبعت نصف قرن من الإستقلال، دون أن تثير الرأي العام الجزائري بمختلف مكوناته، وتغذي حواراته اليومية التي سعى من خلالها إلى إيجاد تفسيرات لهذه التغيرات والظروف السياسية والإقتصادية والإجتماعية التي أثرت عليه بشكل مباشر، وهكذا بلور أفراد المجتمع أنماط تفسيرية ظهرت تحت شكل نظريات ساذجة تبرز مع كل أزمة؛ فتقارن بين الرئيس الجديد والسابق، وتحاول أن تجد سببا للتخلف بربطه أحيانا بالتخلي عن الدين والتخلي عن العلم أحيانا أخرى، كل هذا في شكل طرائف وإشاعات يتداولها الناس ليتخلصوا من القلق المصاحب لصعوبة الظروف وغموض الأفق، ويعبروا بها عن أماني إستمرت معهم طوال سنوات الإستقلال، ولكن هذه التفسيرات التي تأخذ شكل تعبيري وتنفيسي في الكثير من الأحيان، وبالرغم من أنها تعبر عن جهد جماعي غير رسمي يحاول أن يضع التغيرات التي يعيشها في منطق معقول ومفهوم، سرعان ما تزول أو تتراجع مع تقادم الأزمات المختلفة لتعاود الظهور عند حدوث أزمة جديدة، وهذا ما حدث عند بداية أولى الرحلات السرية باتجاه الشواطئ الأوروبية الجنوبية.

إن هذا النشاط السوسيو–معرفي يقودنا إلى التفكير في إمكانية تبلور نظام تصوراتي خلفي un méta-système مشجع للهجرة السرية في أوساط المجتمع مواز لنظام معياري وقيمي (خاضع لإعتبارات تاريخية، هوياتية، ثقافية) موجود مسبقا préexistant معارض لهذه الظاهرة، يعملان كأساس لتصورات الشباب الإجتماعية للهجرة السرية الأمر الذي يقودنا إلى طرح السؤال العام التالي: ما هي البنى السوسيو–معرفية المترسخة في الحس المشترك الجزائري والتي تحدد محتوى وبنية التصورات الإجتماعية للهجرة السرية؟

ومنه تنبثق الأسئلة الفرعية التالية:

- هل يتأثر توظيف هذه البنى السوسيو–معرفية (النظام الخلفي والنظام المعياري والقيمي) في التصورات الإجتماعية للهجرة السرية بمدى إنخراط الشباب في هذه الهجرة؟
- هل يتأثر توظيف هذه البنى السوسيو–معرفية (النظام الخلفي والنظام المعياري والقيمي) في التصورات الإجتماعية للهجرة السرية بإتجاه الشباب نحو هذه الهجرة؟
- هل يتأثر توظيف هذه البنى السوسيو–معرفية (النظام الخلفي والنظام المعياري والقيمي) في التصورات الإجتماعية للهجرة السرية بحسب العزو السببي (داخلي/خارجي) للشباب المعني؟

2. فرضيات الدراسة:

الفرضية العامة:

- يوجد نظام خلفي un méta-système مشجع للهجرة السرية مواز لنظام معياري وقيمي (خاضع لإعتبارات تاريخية، هوياتية، ثقافية) معارضان لهذه الظاهرة ويحددان محتوى وبنية التصورات الإجتماعية للهجرة السرية.

الفرضيات الجزئية:

- يتأثر توظيف هذه البنى السوسيو–معرفية (النظام الخلفي والنظام المعياري والقيمي) في التصورات الإجتماعية للهجرة السرية بمدى إنخراط* الشباب في هذه الهجرة.

- يتأثر توظيف هذه البنى السوسيو–معرفية (النظام الخلفي والنظام المعياري والقيمي) في التصورات الإجتماعية للهجرة السرية بإتجاه الشباب نحو هذه الهجرة.

- يتأثر توظيف هذه البنى السوسيو–معرفية (النظام الخلفي والنظام المعياري والقيمي) في التصورات الإجتماعية للهجرة السرية بحسب العزو السببي** (داخلي/خارجي) للشباب المعني.

* يشير مفهوم «مدى الإنخراط» (le niveau d'implication) إلى وضعية بسيكو–سوسيولوجية وممارساتية، فهو يعبر عن موقف من موضوع ما يتجسد بالممارسات المرتبطة بهذا الموضوع، ففي حالتنا مثلا، يظهر مدى الإنخراط في القيام بهجرة سرية أم لا.

** يشير مفهوم «العزو السببي» أو «مركز التحكم le locus de contrôle» إلى الكيفية التي يفسر بها الأفراد نتائج سلوكاتهم أو سلوكات الآخرين، فذوو العزو السببي الداخلي يعزون نتائج تلك السلوكات إلى قدراتهم، مجهوداتهم أو أخطائهم، في حين يعزوا ذوو العزو السببي الخارجي نتائج تلك السلوكات إلى قوى غير متحكم فيها: سوء الحظ، القدر، الظروف، ...

3. أهداف الدراسة:

- يهدف هذا البحث للكشف عن سيرورة تكوين، محتوى وبنية التصورات الإجتماعية للهجرة السرية عند الشباب، وجس نبض النشاط السوسيو–معرفي المحيط بهذه الظاهرة بعد مرور سنوات عن المحاولات الأولى للهجرة السرية بالقوارب.
- لما كانت هناك فئة من الشباب لم تقدم، أو لا تريد أن تقدم على هذا النوع من الهجرة، فإن الهدف الثاني لهذا البحث يتمثل في الكشف عن السيرورات المعرفية الفردية التي تبرر بها هذه الفئة عدم إقدامها على هذه المغامرة، حيث نعتقد أن إتجاه الشباب نحو هذه الظاهرة وعزوهم السببي له دور في إمتناعهم عن الهجرة السرية.
- أما الهدف الثالث لهذا البحث، فيتمثل في معرفة الأثر الذي يمكن أن يحدثه إقدام الشباب على مغامرة الهجرة السرية وفشلهم فيها على المحتوى والبناء التصوراتي المتعلق بهذه الظاهرة، خصوصا لما نعلم تأكيد المشتغلين في ميدان التصورات الإجتماعية على دور الممارسات في نحت وتوجيه السيرورات التصوراتية.
- بالنظر إلى التاريخ السوسيو–ثقافي والسوسيو–إقتصادي الذي مر به المجتمع الجزائري، نهدف هنا للكشف عن تأثير هذا التاريخ على إدراك الشباب لهذه الظاهرة، بعبارة أخرى، نهدف للكشف عما إذا كانت الأحداث (السياسية، الإقتصادية، الإجتماعية، الأمنية) التي مر بها أفراد المجتمع قد ساهمت في تكوين ثقافة تشجع على إقدامهم على الهجرة السرية.
- في الأخير، يهدف هذا البحث إلى فهم علاقة الشباب الجزائري بالقيم والمعايير السائدة في مجتمعه ورمزية إقدامه على مغادرة هذا المجتمع بهذه الطريقة.

4. أهمية الدراسة:

- نظريا، تتيح هذه الدراسة تعميق المعارف حول العلاقات التي يمكن أن توجد بين التصورات الإجتماعية ومختلف أشكال المعرفة الإجتماعية الأخرى: المعتقدات، الإتجاهات، العزو السببي، وكذا علاقتها مع الممارسات الإجتماعية.
- بما أننا أمام موضوع تصور لا يمثل محتوى معرفي (نظرية، معلومة، تقنية،...)، تعتبر هذه الدراسة فرصة لإكتشاف سيرورات إتصال أخرى محتملة غير السيرورات المقدمة من قبل **موسكوفيسي** (البث la diffusion،

الترويج la propagation، الدعاية la propagande)، كما تتيح فهم أكبر للسيرورة التصوراتية لموضوع لا يمثل محتوى معرفي (نظرية علمية) بل ممارسة إجتماعية كما هو شأن الهجرة السرية.

- عمليا، ستتيح لنا هذه الدراسة فهم الإطار السوسيو–معرفي الذي أحاط بظاهرة الهجرة السرية والذي يساعد على إستمرارها، وبالتالي التنبؤ بمستقبلها، وذلك من خلال فهم الميكانيزمات البسيكولوجية الفردية والأطر الثقافية التي تساعد أو تثبط الإقدام على سلوك مثل الهجرة السرية.

5. تحديد مفاهيم الدراسة:

1.5. التصور(ات) الإجتماعي(ة) la(es) représentation(s) sociale(s):

طُرحت فكرة التصورات الإجتماعية في إطار علم النفس الإجتماعي لأول مرة من قبل **سارج موسكوفيسي Serge Moscovici*** في كتابه: «التحليل النفسي، صورته وجمهوره» (1961).

نشير بمصطلح «التصور الإجتماعي» إلى محتوى معرفي وسيرورة في آن واحد، محتوى لأنه يتضمن آراء، معارف، إتجاهات ومعتقدات تتقاسمها فئة أو جماعة إجتماعية ما بخصوص موضوع ما (نظرية علمية، إختراع، إكتشاف، ظاهرة إجتماعية، ...)، حيث تشير الآراء إلى المواقف التي يتخذها الفرد، والمعارف إلى معلوماته وتجاربه، في حين تشير المعتقدات إلى المعارف الموجودة مسبقا والتي يخضع لها هذا الفرد أثناء تنشئته الإجتماعية، أما السيرورة فهي المراحل التي تمر بها هذه المحتويات، والتعديلات والتجميعات التي تخضع لها من أجل أن تصبح تصورا، والدور النشيط الذي يلعبه هذا الأخير، بعد تكونه، كأداة لفك تشفير الواقع وخلفية تؤطر سلوكات الأفراد في محيطهم الإجتماعي (Rateau & autres, 2011, p. 2).

نحن بهذا نتبنى المفهوم الذي يعتبر التصور الإجتماعي «شكلا من المعرفة المعدة والمتقاسمة إجتماعيا، وذات هدف عملي وتساهم في تكوين واقع مشترك لمجموع إجتماعي، والتي يشار إليها «كمعرفة للحس المشترك» أو «معرفة ساذجة»، أو «طبيعية»، مميزة عن المعرفة العلمية، فكونها معدة ومتقاسمة إجتماعيا، معناه أنها تكونت بالإرتكاز على مظاهر الحياة الإجتماعية المادية (العلاقات اليومية، التواصلات ما بين الأفراد، ما بين وداخل الجماعات، علاقات القوة، ...) والرمزية (مختلف التفسيرات، المعتقدات، الأيديولوجيات، ...)، وبالتالي فهي تسير

* سارج موسكوفيسي (1925-2014)، أحد أعمدة علم النفس الإجتماعي الأوروبي وصاحب نظرية التصورات الإجتماعية.

في إتجاه يخدم هذه المظاهر ويساهم في إستمراريتها، فإذا كان التصور الإجتماعي منتوج فكري يعكس «الخريطة الإجتماعية» التي نحتته، فهو أداة نظرية مهمة في أطروحتنا هذه، حيث نعتقد أنه يمكننا أن نعيد تشكيل الإطار السوسيو–معرفي والسوسيو–ثقافي الذي ساهم في بروز ظاهرة الهجرة السرية من خلال إعادة تشكيل محتوى وبنية تصورات الشباب لهذه الظاهرة. حيث نسير في إتجاه يتوافق مع نظرة **ويلام دواز Willem Doise** للتصورات الإجتماعية كـ «مبادئ مُولِدة لأخذ موقف ومرتبطة باندماجات خاصة في مجموع من العلاقات الإجتماعية ومنظمة للسيرورات الرمزية المتدخلة في هذه العلاقات» (Roussiau & Bonardi, 2001, p. 106)، أي أن هذه التصورات منبثقة من العلاقات الإجتماعية التي تميز جماعة ما ومنظمة في الوقت نفسه لهذه العلاقات، ولمواقف أفراد هذه الجماعة تجاه مختلف المواضيع التي تميز حياتهم الإجتماعية.

فالتصور الإجتماعي إذن هو «مجموع منظم من الآراء، الإتجاهات، المعتقدات والمعلومات المرتبطة بموضوع أو وضعية ما، فهو محدد من طرف الشخص نفسه (تاريخه، معاشه) ومن طرف النظام الإجتماعي والأيديولوجي الذي يتواجد به هذا الشخص، ومن طرف طبيعة الروابط التي يقيمها هذا الشخص مع هذا النظام الإجتماعي» (Jodelet, 1989, p. 54).

2.5. الهجرة السرية l'émigration clandestine:

لقد فضلنا إستعمال عبارة «**الهجرة السرية**» بدل العبارة الأخرى «**الهجرة غير الشرعية l'émigration illégale**» لسببين رئيسيين، الأول بسيكو–سوسيولوجي والثاني قانوني.

تحمل عبارة الهجرة السرية دلالة لغوية أعمق، حيث تشير إلى مغادرة البلاد بشكل مخفي، باستعمال الجو، البر أو البحر، ودون علم المحيط القريب (في أغلب الأحيان) أو السلطات المانحة لحق مغادرة البلاد أو المراقبة لحركة الدخول أو الخروج منها، ودلالة رمزية تترجم سلوك صادم على المستوى الهوياتي والإنساني، ومغذٍ للتساؤلات حول الظروف التي تجعل هؤلاء الشباب "يفرون" دون أن يكلفوا أنفسهم عناء إخبار أحد، فيكشفون بذلك عن فشل السلطات الرسمية الوطنية (ممثلة برجال الجمارك وخفر السواحل) في منعهم من مغادرة بلدهم.

في المقابل، تشير عبارة الهجرة غير الشرعية إلى أولئك الذين يخالفون القوانين المتعلقة بمغادرة البلد، حتى ولو كانت هذه القوانين هي نفسها "تخالف" القوانين الدولية بهذا الشأن، حيث يقر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948 في مادته 13 بحرية خروج الأفراد من مجالهم الوطني والعودة إليه، كما يذهب في نفس السياق ميثاق الأمم

المتحدة حول الحقوق المدنية والسياسية لسنة 1966، حيث يؤكد على حق كل واحد في مغادرة أي بلد بما فيه بلده، إلا إذا كان منعه مُبرَرًا بحماية الأمن الوطني، النظام العام، الصحة أو الأخلاق العامة، أو حقوق وحريات الآخرين (المادة 12) (Perrin, 2009, p. 25).

بالرغم من أن الجزائر تقر من خلال دستور 1996 «بحق الدخول والخروج من المجال الوطني المكفول لكل مواطن دون أي قيد» (المادة 29)، فهي تعتبر أن مغادرة البلاد دون الحصول على تأشيرة من بلد الوجهة هجرة غير قانونية، حيث تلاحظ القانونية والباحثة في IREMAM[*]، **دلفين بيران Delphine Perrin**، أن «الهجرة تصبح جناية عندما تتضمن إقامة غير شرعية في أوروبا، فالحصول على التأشيرة الضرورية لدخول المجال الأوروبي يصبح شرطا قانونيا للخروج من المجال المغاربي، مهما كانت جنسية المسافر، فالمخالفة ليست مستقلة ولكنها مرتبطة باحتمال مخالفة أخرى، مؤسسة على حق خارج مجال المغرب العربي وهو مجال الإتحاد الأوروبي» (Perrin, 2009, p. 29).

زيادة على الغموض القانوني المحيط بعبارة الهجرة غير الشرعية والدلالات السلبية الملتصقة بالشباب المقدم عليها، نعتقد أنه من المفضل بسيكو–سوسيولوجيا تبني العبارة الأخرى (الهجرة السرية) التي تحمل قيمة رمزية مضافة، من خلال تبيان أن إقدام الشباب على هذا النوع من الهجرة ليس من باب التعدي على القانون بقدر ما هو محاولة للهروب من واقع يرونه غير مقبول.

3.5. الحس المشترك le sens commun:

تشير فكرة **الحس المشترك** إلى كيان رمزي يسير الحياة اليومية للأفراد من خلال ما يتضمنه من معارف (معايير إجتماعية، قيم، أساطير، تفسيرات ساذجة،...) متناقلة من جيل إلى جيل ومنتشرة في مجتمع أو ثقافة ما، حيث تعطي هذه المعارف معنى للوضعيات الإجتماعية وتسير التفاعلات ما بين الفاعلين الإجتماعيين، فالحس المشترك تعبير عن المجهود الفكري للجماعة التي يسيرها من خلال ما يفرضه من قواعد يتقبلها أفراد هذه الجماعة بشكل ضمني.

[*] معهد الأبحاث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي، مرسيليا، فرنسا.

4.5. النظام التصوراتي الخلفي le méta-système:

يشير مفهوم النظام الخلفي le méta-système إلى مجموعة من السيرورات والمنتوجات المعرفية التي ينشطها أو ينتجها المجتمع عبر تاريخه، وتُتنَاقل من جيل إلى جيل من أجل ضمان إستمراريته واستقراره، حيث تعمل المدرسة، الأسرة، وسائل الإعلام وبقية المؤسسات الرسمية وغير الرسمية على تلقيننا – منذ الصغر– نظرة معينة للعناصر المكونة لمحيطنا المادي والإجتماعي، وتفرض علينا تنظيما معرفيا مسبقا لهذا المحيط الذي نعيش فيه، فالنظام الخلفي إذن يعكس المجهود المعرفي الذي يبذله المجتمع ككيان رمزي من أجل «مَفهَمة» النشاطات والعلاقات والقواعد المميزة للحياة الإجتماعية، وإعطائها منطقا معقولا يسمح له بعرضها على أفراده كنظام تشفير يتيح لهم التوجه في المحيط الإجتماعي الذي ينتمون إليه.

5.5. العزو السببي l'attribution causale:

يشير هذا المفهوم إلى ميكانيزم بسيكو–سوسيولوجي يفسر من خلاله الأفراد دوافع ونتائج سلوكاتهم أو سلوكات الآخرين، وكذا أسباب مختلف الأحداث والوضعيات التي يواجهونها في حياتهم اليومية.

هناك العديد من النماذج التفسيرية التي تدخل ضمن نظرية العزو السببي la théorie de l'attribution causale التي هيمنت لعقود على علم النفس الأمريكي، لكن ما نقصده بهذه التسمية في دراستنا هذه هو النموذج الأولي الذي إقترحه **هايدر*** **Heider** (1958) والذي بين فيه نوعين من العزو يمكن أن يلجأ إليهما الأشخاص العاديون أثناء تفسيرهم للأحداث، حيث تحدث عن سببية داخلية، تعزى فيها أسباب السلوك إلى سمات وقدرة الشخص على القيام بالفعل، وسببية خارجية، تعزى فيها أسباب السلوك إلى معطيات متعلقة بالوضعية التي يتواجد بها الأشخاص أو لقوى غير متحكم فيها (الحظ، المكتوب،...)، بعبارة أخرى، يتأثر سلوك الناس وتوقعهم للنتائج المترتبة عن هذا السلوك بإعتقادهم بتحكمهم في مختلف الوضعيات التي يتواجدون فيها من عدمه، حيث يمكن تمييز الأفراد الذين يميلون إلى عزو نتائج سلوكاتهم أو سلوكات المحيطين بهم إلى أنفسهم (عزو سببي داخلي) عن أولئك الذين يعزون نتائج سلوكاتهم إلى عوامل خارجية (عزو سببي خارجي).

* فريتز هايدر Fritz Heider (1896-1988)، أحد المساهمين الكبار في علم النفس الإجتماعي الأمريكي ونظرية العزو السببي.

الفصل الثاني: نظرية التصورات الإجتماعية

تمهيد

1. **تعريف التصور(ات) الإجتماعي(ة)**
2. **محتوى التصورات الإجتماعية**
3. **سيرورة تكون التصورات الإجتماعية**
4. **وظيفة التصورات الإجتماعية**
5. **التصورات الإجتماعية .. توجهات نظرية**
6. **التصورات الإجتماعية والتواصل**
7. **التصورات الإجتماعية والنظام الخلفي**
8. **التصورات الإجتماعية ونظرية العزو السببي**
9. **التصورات الإجتماعية والسلوكات (الممارسات)**
10. **الهجرة السرية كموضوع للتصور**

تمهيد:

مرت حوالي 50 سنة منذ بداية الإشتغال على فكرة التصورات الإجتماعية التي طرحها **موسكوفيسي Moscovici** في كتابه: *التحليل النفسي، صورته وجمهوره* (1961)، والذي كرسه ليبين التحولات التي تصيب نظرية علمية ما (درس في كتابه هذا الكيفية التي تغلغلت من خلالها نظرية التحليل النفسي في المجتمع الفرنسي والتغيرات التي مست محتواها نتيجة لهذا التغلغل) عندما تتجاوز إطارها العلمي والأكاديمي وتنخرط في الواقع اليومي لأفراد جماعة ما، حيث سعى **موسكوفيسي** من خلال كتابه هذا للتأسيس لما سمته **جودلي Jodelet** بـ «بسيكو–سوسيولوجيا المعرفة» على غرار «سوسيولوجيا المعرفة» المزدهرة آنذاك، وبروز ما سمي بـ «إبستيمولوجيا الحس المشترك».

تمت دراسة المظاهر المختلفة للحس المشترك (le sens commun) بشكل منفصل؛ حيث كانت البداية بالإهتمام بالكيفية التي يدرك من خلالها فرد ما الآخر وتأثير هذا الإدراك على «تكون وعمل العلاقات ما بين الأفراد والتمفصلات (les articulations) الموجودة بين البنية الإجتماعية، السلوكات والمعاشات الفردية» (Paicheler, 1984, p. 280)، ثم أُقتُرحت *النظرية الضمنية للشخصية* من قبل **برونر** و**طاڤيوري Bruner et Tagiuri** (1954) للإشارة إلى وجود ميولات لدى الشخص المُدْرِك لافتراض علاقات بين مختلف خصائص الشخص المُدْرَك، حتى ولو كانت هذه الإفتراضات غير معلنة وغير واعية في الكثير من الأحيان؛ فالشخص المُدْرِك يقيم إستدلالات حول الشخص–الموضوع إنطلاقا من مؤشرات، ويميل إلى بعث الإستقرار في محيطه من خلال البحث عن التنظيمات والعلاقات الثابتة وذلك لتجنب المشكل الذي يسببه تعقيد المؤشرات والسلوكات والوضعيات التي تميز محيطه. فيما بعد حاول **هايدر Heider** (1958) من خلال نظريته *التحليل الساذج للفعل (l'analyse naïve de l'action)* – وهي جزء من علم نفس الحس المشترك خاصته– تشكيل السيرورة التي يحاول من خلالها المُلاَحِظ المجرد من المعلومات (النفساني الساذج le psychologue naïf كما سماه) فهم معنى سلوكات الآخر، من خلال محاولة ربط السلوك المُلاَحَظ بأسباب غير ملاحظة، حيث ميز **هايدر** بين نوعين من الأسباب يرجع إليها الشخص المُدرِك لتفسير سلوك الأفراد: أسباب داخلية مرتبطة بشخصية الفرد الملاَحَظ (القدرة، الجهد المبدول، القصد) وأسباب خارجية مرتبطة بالوضعية التي يتواجد بها الشخص (صعوبة المهمة، الحظ)، وهكذا وضع **هايدر** القواعد لما سمي فيما بعد بنظرية العزو (la théorie de l'attribution) والتي يشار بها إلى ثلاث نظريات رئيسية هي: نظرية **جونز Jones** و**دافيز Davis** (1965) «الإستدلال المطابق

l'inférence correspondante» التي حاولا من خلالها مفهمة الكيفية التي يقيم بها الأفراد إستدلالات حول مقاصد شخص ما وسمات طبعه؛ حيث يحاول المُلاحِظ معرفة أي أثر لفعل ملاحظ ما ناتج عن قصد الفاعل، مرتكزا على معيارين أساسيين في حكمه هما: المعرفة والقدرة المفترضة للشخص الملاَحَظ؛ بعبارة أخرى على المُلاحِظ أن يعتقد بأن الفاعل كان يعرف نتائج فعله، كما أنه ينظر إليه على أنه قادر على إنتاج الآثار الملاحظة. أما نظرية **كيلي Kelley** للتغير المشترك والهيئة (la covariance et la configuration) (1967) فترتكز على إقتراح **هايدر** بأن الشخص يصل إلى فهم الوسط عن طريق تحليل سببي شبيه بالتحليل السببي المتبع في المنهج التجريبي (العلمي)، في حين إهتمت نظرية **فينر Wiener** (1979) بسيرورة العزو le d'attribution processus في علاقتها مع إنجاز مهمة ما والتفسيرات المعطاة للنجاح والفشل (Nelly, 1984, p. 312-318).

قدمت هذه الأبحاث والنظريات الفرد العادي على أنه عالم من الدرجة الثانية؛ عالم لأنه يقيم تفسيرات وأحكام يحاول من خلالها فهم واقعه الإجتماعي المادي والرمزي، من الدرجة الثانية لأن هذه «الأحكام الإجتماعية لا يلجأ في تكوينها إلى قواعد صارمة في معالجة المعلومات ولكن إلى مناهج بحث تبسيطية مثل الحضور (la disponibilité) والتمثيلية (la représentativité)» (Nelly, 1984, p. 309). فبالرغم من أهمية وأصالة أعمال من سبقوا **هايدر** ومن تبعوه في ميدان الحس المشترك فقد عانت من نقاط ضعف أهمها النظر إلى *النظريات الضمنية* على أنها فردية؛ أي أن حاجة الفرد إلى فرض النظام على محيطه مرتبط بنموذج تكيفي شخصي بسيكولوجي، حتى ولو أن **هايدر** نفسه إعترف بأهمية دور المتطلبات والقيم الإجتماعية في تفسيرات الحس المشترك. فيما بعد كثرت النقاشات بخصوص المناهج التجريبية المحضة التي ميزت الأبحاث الأمريكية المتعلقة بسيرورة العزو، وكذا دراسة هذه الأخيرة معزولة عن بقية السيرورات المعرفية الأخرى: الإتجاهات، الآراء، الأحكام المسبقة، القوالب المعرفية (les stéréotypes).

أتت نظرية التصورات الإجتماعية لتتيح المجال لدراسة المعتقدات المتقاسمة بين عدد كبير من الأشخاص داخل جماعة أو ثقافة ما؛ كما أنها أتت بتعريف جديد لفكرة الحس المشترك، حيث يرى **موسكوفيسي** أن المفردات والأفكار التي يستعملها الفرد العادي من أجل وصف وتفسير تجاربه اليومية، وكذا فهم محيطه والتنبؤ بسلوكات الآخرين والتي كانت تشكل الحس المشترك بتقنياته، أوهامه، نماذجه البدائية وحيله وكان مصدرها الكلام والحكمة المتراكمة لدى الجماعات الجهوية والمهنية، ولكن مع دخول النظريات ونتائج الأبحاث العلمية في الواقع اليومي لهذا الفرد، نحن الآن أمام حس مشترك جديد– يقول **موسكوفيسي**– حس مشترك مرتبط بالعلم ويجب أن يكون أحد مشاغله النظرية والعملية الأساسية (Moscovici, 1976, p. 21-22).

1. مفهوم التصور(ات) الإجتماعي(ة):

كما رأينا في التمهيد يعتبر **موسكوفيسي** أب نظرية التصورات الإجتماعية، ولكن هذا الأخير أعاد في واقع الأمر صياغة فكرة سوسيولوجية قديمة وفق منظور بسيكو سوسيولوجي، حيث طرح **دوركايم Durkheim** فكرة *التصورات الجماعية (les représentations collectives)* في حدود سنة 1897 كإحدى مكونات الوعي الجماعي (la conscience collective).

قدم **دوركايم** الوعي الجماعي على أنه بناء إجتماعي رمزي مستقل عن وعي الأفراد؛ فبالرغم من أنه يتواجد من خلاله (وعي الأفراد) فهو يجاوزه ويتميز عنه، حيث يعمل وفق منطق خاص من أجل ضمان إستمرارية المجتمع وتماسكه؛ وذلك من خلال تسيير المؤسسات الإجتماعية المختلفة بالتغلغل في القواعد والقوانين التي تنتجها هذه الأخيرة (قواعد قانونية، إقتصادية، أخلاقية، إجتماعية ودينية)، فالوعي الجماعي بهذا المعنى يعمل كخلفية تتجاوز واقع الأفراد ولها إستمرارية تضمن بقاء نمط معين من العلاقات بين أفراد المجتمع وتتعزز من خلال قوانين وقواعد إجتماعية تنتقل من جيل إلى جيل لأنها تبقى محفورة في الإنتاجات الإجتماعية وقواعد العمل والذواكر تحت شكل قيم وتعليمات وتقاليد.

مثل الوعي الجماعي، إعتبر **دوركايم** التصورات الجماعية إعدادات مستقرة ومستمرة في الزمن، فهي شكل من الصحة واليقين الإجتماعي الذي يجب نقله، فكل واحدة من هذه التصورات «تشير إلى كل أنظمة المعارف، والمعتقدات والرموز (دين، علم، فلسفة، لغة، سحر) التي تنتج عن ذوبان وتوغل التصورات الفردية» (موسكوفيسي، 1988) (Roussiau & Bonardi, 2001, p. 45-46). ميز دوركايم بين التصورات الجماعية والتصورات الفردية حيث اعتبر أن هذه الأخيرة عديمة الجدوى من الناحية الإجتماعية لأنها متغيرة ومرتبطة بوعي كل فرد وتزول بزوال هذا الأخير، أما التصورات الجماعية فأساسها المجتمع في كليته، فهي ليست الجامع المشترك للتصورات الفردية، ولكنها بالأحرى أصلها، فهي تشير إلى «الطريقة التي يفكر بها هذا الكائن الخاص المتمثل في المجتمع حول تجربته الخاصة» (دوركايم، 1968)؛ فهذه التصورات متجانسة ومتقاسمة بين أفراد جماعة ما كما يتقاسمون لغتهم، فوظيفتها حفظ الرابط بينهم وتحضيرهم للتفكير والتصرف بطريقة موحدة، فالتصورات الجماعية تستدخل من قبل الأفراد ولكنها تبقى مستقلة عن وعيهم (Jodelet, 1989, p. 81).

فقدت فكرة التصورات الجماعية –وفكرة الوعي الجماعي قبلها– بريقها بسبب طبيعة المجتمعات الحديثة التي تتميز عن المجتمعات التقليدية بتقسيم العمل الذي حصل نتيجة للتطور الصناعي والتقني، فنحن أمام أفراد يقومون

بمهام مختلفة بشكل كبير الواحدة عن الأخرى ما أعطى للفرد إستقلالية كبيرة ولكن تبعية أيضا لبقية الأفراد الذين يتحكمون في تقنيات وأعمال أخرى، فإذا كان المجتمع مستمرا من خلال التوافق الضروري بين وعي الأفراد فإن التقاليد والأفكار والتصورات الجماعية والمراقبة الإجتماعية والأخلاقية التي كان يفرضها قد تراخت لصالح الإستقلالية الفردية، حيث اعترف دوركايم بأن «التصورات الجماعية موجهات لكل أفراد مجتمع ما بحيث يتقاسمونها، ولكن هذه الموجهات تنتهي بمجرد تنوع المجتمعات وتوسع مجال فعلها، أو عندما تتخصص ومعها الأفراد الذين يكونونها» (Roussiau & Bonardi, 2001, p. 46-47).

على عكس **دوركايم** لا تشير صفة "الإجتماعي" في فكرة التصورات الإجتماعية التي طرحها **موسكوفيسي** إلى كيان رمزي مستقل معد مسبقا ويتحكم في علاقة الأفراد مع واقعهم الرمزي والمادي، بل هي تصورات مصدرها الأفراد والجماعات في آن واحد؛ حيث يمكن للأفكار أو المعتقدات الفردية أن تصبح متقاسمة من قبل الجماعة والعكس، وذلك من خلال التواصلات اليومية التي تسمح بتقارب المشاعر والأفراد، فما «يسمح بتأهيل التصورات لتكون إجتماعية، ليست الأسس الفردية أو الجماعية لتكونها ولكن كونها معدة من خلال سيرورات تبادل وتفاعل» (Codol 1982). إن الملاحظ لهذه النظرة للتصورات يدرك بأن موسكوفيسي لم يبتعد عن النظرة الثلاثية التي تهيمن على تفسير علم النفس الإجتماعي للظواهر الإجتماعية:

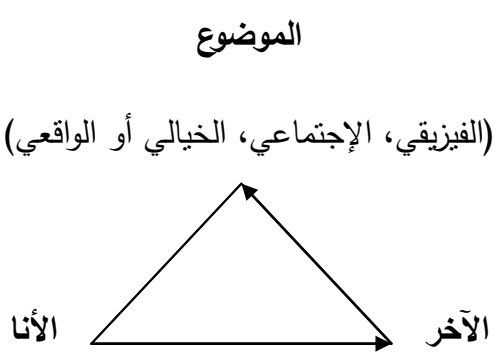

الشكل 1: *شكل يبين تأثير الآخر على إدراك الفرد لموضوع ما*

فعندما يتصور فرد ما فكرة أو شيء، فهو لا يعتمد فقط على مجهوده الفردي بل يستعمل العديد من المنتوجات التصوراتية التي أعدت في أماكن مختلفة من قبل جماعات وأفراد آخرين، أو التي كونها من خلال علاقاته مع أشخاص آخرين، ولكنه لا يلتزم بهذه المنتوجات كما هي، حيث يمكن أن يعدلها ويتجاهل بعض جوانبها وذلك بحسب متطلبات وضعيته التفاعلية والعلائقية، كما يمكنه أن يوظف بعض النتائج العلمية لإثراء منتوجه التصوراتي، فالتصور كما يعرفه **أبريك Abric** «منتوج وسيرورة نشاط عقلي يعيد من خلالها فرد أو جماعة ما بناء الواقع الذي

يواجهه ويعطيه دلالة خاصة». فالتصورات الإجتماعية محتويات تضم: آراء، إتجاهات، معتقدات ومعلومات تملكها جماعة ما حول موضوع ما، ولكن المميز لهذه المحتويات هو كونها منحوتة من قبل أشخاص (بحسب تاريخهم ومعاشهم) والنظام الإجتماعي والإيديولوجي الذي ينتمون إليه ونمط العلاقات التي تربطهم به (Jodelet, 1989, p. 99-100, 206).

أما **راطو Rateau** و **روكات Rouquette** فيعتبران التصورات جماعية وإجتماعية في آن واحد، فهي جماعية لأنها يمكن أن تكون متقاسمة في مجتمع ما في وقت معين وإجتماعية لأنها يمكن أن تختلف بحسب الإنتماءات المختلفة للجماعات التي تشكل هذا المجتمع (Rouquette & Rateau, 1998, p. 15).

إنتقد **موسكوفيسي** الفكرة التي تعتبر التصور الإجتماعي انعكاس لموضوع خارجي ما في ذهن الأفراد؛ أي أن دور الأفراد سلبي متمثل في مجرد إعادة إنتاج لموضوع معطى من الخارج، وأكد على دورهم النشيط فحتى ولو كانوا يستقبلون الموضوع من المحيط فهم يعيدون تشكيله بما يتوافق مع الإطار والتاريخ الإجتماعي ويدمجونه في عدد لا متناهي من التواصلات والتفاعلات اليومية التي تعيشها مختلف الجماعات الإجتماعية، فالتصور– يقول **موسكوفيسي**– يتكلم أكثر مما يبين، ويتواصل أكثر مما يعبر، وينتج – في نهاية المطاف – ويحدد السلوكات لأنه يُعرِف في الوقت نفسه طبيعة المثير الذي يحيط بنا ويثيرنا ودلالة الإستجابات التي نُقدِمُها؛ فالتصور الإجتماعي كيفية خاصة للمعرفة وظيفتها إعداد السلوكات والتواصل بين الأفراد (Moscovici, 1961, p. 26).

إذن يمكننا أن نعتبر التصورات الإجتماعية أشكال من المعرفة الإجتماعية الناجمة عن مجهود يقوم به الأفراد، ويهدفون من خلاله إلى فهم محيطهم المادي والرمزي والتحكم فيه، غير أن شكل هذه المعرفة تحدده العديد من المعطيات؛ فهو مرتبط من جهة بالجوانب البسيكولوجية لكل فرد (إستثمار نزواتي وهوياتي، دافعية كل فرد) ولكنه مرتبط أيضا وهذا هو الأهم بالإنتماء والمشاركة الإجتماعية لهؤلاء الأفراد، أي أن التصورات الفردية يمكن أن تتحول من خلال التفاعلات والتواصلات التي يقيمها فرد ما مع أفراد جماعته والإقتباسات التي يستقيها من تصوراتهم إلى تصورات إجتماعية، والعكس صحيح؛ حيث يمكن أن يتبنى هذا الفرد التصورات الإجتماعية التي يتبناها أفراد جماعته. وهكذا ترتبط التصورات الإجتماعية بالتاريخ الشخصي للفرد وتاريخ جماعته وطبيعة العلاقات التي تربط هذه الأخيرة مع موضوع التصور.

قدم موسكوفيسي 3 أبعاد لدراسة التصور الإجتماعي: البعد الأول يشير إليه كمعلومة؛ أي أن التصور معلومة يحتفظ بها فرد ما داخل جماعته أو جماعات إنتماءه بخصوص موضوع ما، وبعد إتجاهي يعتبر التصور موقفا

تقييميا تجاه موضوع ما، وبعد بنيوي يدرك التصور من خلاله كمجموع منظم (Roussiau & Bonardi, 2001, p. 15).

يمكن للتصور أن يتضمن إقتراحات، ردود فعل، تقييمات، معلومات تقنية، إتجاهات، صور عقلية، معتقدات أو آراء تم إعدادها في خضم الحوارات اليومية التي أثارها موضوع التصور (التحليل النفسي أو الهجرة السرية كما هو الشأن بالنسبة لموضوعنا) داخل الجماعات المختلفة، فدور جماعات الإنتماء مهم جدا خلال إعداد التصور الإجتماعي، لأن التسليم بدور التواصلات داخل الجماعات في تفعيل السيرورة التصوراتية معناه القبول ضمنيا بدور الثقافات والأيديولوجيات والمعايير التي تسير هذه الجماعات في هذا العمل التصوراتي، وبالتالي إمكانية الحصول على تصورات مختلفة في المحتوى والتنظيم بحسب الجماعات التي أعدت فيها والأيديولوجيات والمعتقدات والمعايير التي تسير هذه الأخيرة. وبما أن البعد الأول هو الذي نبدأ به عادة في دراسة التصورات الإجتماعية فسوف نتطرق إليه بالتفصيل في العنصر الموالي.

2. محتوى التصورات الإجتماعية:

يمكن للتصور الإجتماعي أن يتضمن معلومات وصفية أو تقييمية متفاوتة الشمول والدقة، آراء، معتقدات، قيما، إتجاهات، قوالب إجتماعية، صورا ذهنية بخصوص موضوع ما، تبرز في شكل حوارات، إقتراحات أو ردود فعل يقدمها الأفراد في حياتهم اليومية، لكن ما يجعل هذه المحتويات على إختلاف طبيعتها وتعقيدها تصورا إجتماعيا هو إرتباطها مع بعضها البعض في بنية تختلف بحسب الطبقات الإجتماعية، الثقافات والجماعات الإجتماعية التي تنتجها، فالتصور الإجتماعي هو في نهاية المطاف شكل من المعرفة الإجتماعية التي تقول شيئا ما عن وضعية الواقع.

ميز موسكوفيسي في كتابه سالف الذكر (التحليل النفسي، صورته وجمهوره) بين ثلاثة أبعاد للتصور الإجتماعي:

- **المعلومة l'information:** وهي المعارف التي تملكها جماعة إجتماعية بخصوص موضوع ما (الهجرة السرية مثلا).

- **الإتجاه l'attitude:** أي الموقف الذي تتبناه الجماعة الإجتماعية من موضوع معين، والذي يتضمن بالإضافة لبعده المعرفي بعدا عاطفيا وآخر سلوكيا (أو نية في السلوك).
- **حقل التصور le champ de représentation:** وهو المحتوى الإجتماعي الملموس والمحدود المتعلق بمظهر محدد لموضوع التصور (Moscovici, 1961, p. 66-67).

3. سيرورة تكون التصورات الإجتماعية:

لاحظ **موسكوفيسي** بأننا «نفتقر في حياتنا اليومية إلى المعلومات، الكلمات والأفكار الضرورية لفهم أو وصف الظواهر التي تحدث في بعض قطاعات محيطنا، كما أننا نملك معلومات أو أفكار أخرى ممنوع علينا إستعمالها وأخذها بعين الإعتبار للتعريف أو الإشارة إلى حضور الظواهر أو السلوكات المخفية في هذا المحيط، وعلى العكس من ذلك هناك قطاعات أخرى من هذا المحيط نملك لها العديد من المعلومات والكلمات المسموح إستعمالها والإفراط في إستعمالها، ... (وهكذا يخلق هذا) التقتير (l'ellipse) من جهة والقدرة على الكلام الكثير (le verbalisme) من جهة أخرى حالة من عدم التوازن، فعندما يأتي موضوع ما من الخارج ويتوغل في حقل انتباهنا يزداد عدم التوازن هذا، الذي يتطلب خفضه تحريك المحتوى الغريب إلى داخل محتوى يومي، وسحب ما هو خارج عالمنا إلى داخله» (Moscovici, 1961, p. 58).

كثيرا ما يتمثل هذا المحتوى الغريب في النظريات العلمية المفسرة لمختلف جوانب حياتنا اليومية (نظريات في ميدان الفيزياء، الكيمياء، علم النفس، إكتشافات في الفضاء، في الطب، ...)، فالفرد العادي أو «العالم الساذج» يجد نفسه مجبرا على الإحاطة بهذه النظريات لسببين رئيسيين؛ الأول متعلق بحالة عدم التوازن التي تحدث عنها **موسكوفيسي** والثاني راجع إلى رغبة هذا الفرد في الإستفادة من هذا المنتوج من أجل تحسين شروط عيشه وتوظيفه في حواراته اليومية، ولكن نقل هذا المحتوى الغريب–على حد تعبير **موسكوفيسي**– من ميدانه الأصلي (المخابر العلمية، الجامعات، المعاهد، المجلات المتخصصة، ...) إلى ميدان الفرد العادي (الحياة اليومية، ميدان العمل، الحوارات اليومية، ...) لا يحدث دون أن يتعرض لجملة من التعديلات والتحويرات والحذف والإضافة والتجاهل لبعض جوانبه؛ وذلك راجع لطبيعة هذا المحتوى الذي تم إنتاجه في وسط خاص وفق نمط عمل ولغة وأنماط تفسير خاصة يصعب على الفرد العادي (غير العالم) إستيعابه والإستفادة منه، كما أن هذا الأخير مجبر على إنتقاء المعلومات التي تخدم حواراته اليومية وتجنبه الإصطدام بمختلف المعتقدات وأنماط التفكير التي تسير أفراد جماعته؛

بعبارة أخرى يجب تحويل المنتوج العلمي إلى منتوج إجتماعي حتى لو أثر ذلك على تماسكه ودقته وذلك من خلال سيرورتين هما: سيرورة الموضعة le processus d'objectivation وسيرورة الترسيخ le processus d'ancrage.

- **سيرورة الموضعة le processus d'objectivation:**

تتضمن هذه السيرورة ربط المخططات المفهوماتية (les schémas conceptuels) التي يعدها العلماء بمقابل مادي، وهكذا تُعَلَق «الإشارات اللغوية» بـ «بُنى مادية»، وتُختَزَل الدلالات المتعددة المصاحبة لمفهوم ما بجعلها مادية (Moscovici, 1961, p. 107-110)؛ ففيما يخص الدراسة التي أجراها **موسكوفيسي** حول الكيفية التي تغلغل بها التحليل النفسي في الفضاء السوسيو–معرفي للمجتمع الفرنسي؛ نجد، على سبيل المثال، أن الجهاز النفسي (le psychisme) كمفهوم تم تجسيده ليصبح جهازا ماديا يتكون من الشعور (le conscient) – وهو الجزء الظاهر من هذا الجهاز– واللاشعور (l'inconscient)– وهو الجزء المخفي منه وهو الذي يحتوي على العقد النفسية– ففي حالة إختلال هذا الجهاز (المرض النفسي) يتطلب الأمر غوص المحلل النفسي في الجزء غير الظاهر منه من أجل إخراج تلك العقد والتخلص منها (Dubois et autres, 2005, p. 167).

إن هذا الميل إلى ربط المفاهيم بصور (des images) أو أشكال (des figure) يرجع إلى عدم قدرة الأفراد العاديين على إستيعابها في حالتها المجردة كما يوضحه المثال المقدم أعلاه، ولكنه يمكن أن يرتبط أيضا بما يمكن أن تتضمنه النظريات العلمية من أنماط تفسير خارجة عن سيطرة الأنظمة الإجتماعية ومختلف المعايير والسلوكات التي تفرضها هذه الأخيرة، والتي يمكن أن تشكل خطرا على الهوية الجماعية؛ خصوصا عندما تغمر المعارف المتواصل بها القواعد التي وضعها المجتمع، لذا فإن الموضعة تضمن إدماج النظريات المجردة لجماعة متخصصة ما في عناصر المحيط العام اليومي للأفراد العاديين، حيث يؤكد **موسكوفيسي** على أن «الفرد عندما يواجه موضوع إجتماعي مهم ولكنه غير معروف أو غير مألوف (peu familier)، يشرع في عملية معقدة لإعادة تعريفه من أجل جعله مفهوما أكثر ومتوافقا (compatible) مع النظام الرمزي الخاص به».(Jodelet, 1989, p. 326) ، وذلك من خلال المراحل الثلاثة التالية:

1) مرحلة الإنتقاء la sélection:

يفصل الأفراد العاديون في هذه المرحلة المعطيات التي يتحصلون عليها حول موضوع التصور عن الإطار الذي أنتجت فيه؛ حيث تخضع لتحريف، عكس، تخفيض أو إضافة بعض المعطيات، أو القيام بتقييمات وإقصاءات أو حذف لبعض الخصائص، بهدف الحصول على صيغة تتماشى مع الإطار الإيديولوجي والثقافي الذي يتواجد فيه هؤلاء الأفراد، والإحتفاظ بالمعلومات التي يمكن استخدامها في شبكة التواصلات اليومية، وهكذا يتضمن التحريف الإبقاء على خصائص الموضوع ولكن يتم إبراز بعضها وتجاهل بعضها الآخر، أما الإضافات فهي دلالات أخرى تضاف للموضوع دون أن تكون لها علاقة به في الأصل، حيث يكون مصدرها في أغلب الأحيان إستثمارات الشخص ومخياله، وفي الأخير، يمكن حذف بعض خصائص الموضوع نتيجة الأثر القمعي للمعايير الإجتماعية، حيث بين **موسكوفيسي** في دراسته كيف يتجاهل (يحذف) الناس مفهوم الليبيدو (Le libido) نتيجة إرتباطه بالطابوهات الجنسية السائدة آنذاك وذلك بالرغم من أهميته في نظرية التحليل النفسي.

2) مرحلة التخطيط المُنَظِم la schématisation structurante:

يبدو أن مختلف التعديلات التي تحدث في مرحلة إنتقاء المعلومة لا تحدث دون أن تعطي قيمة أكبر لبعض العناصر المكونة للموضوع على حساب عناصر أخرى، ولكن الأهم من ذلك هو أن هذه العناصر تهيكل وفق تنظيم تَدَرُجِي (une organisation hiérarchique)، أي أن عنصرا ما لا يأخذ دلالته إلا من خلال مجموع العناصر الأخرى التي يرتبط بها، وذلك وفق علاقات مختلفة: علاقات تشابه (ما يذهب معا، ما له شيء ما مع)، علاقات تعارض، علاقة إطار (relation de contextualisation)، علاقة سببية (Jodelet, 1989, p. 411) . وهكذا نحصل على نواة تصويرية (un noyau figuratif) تنظم عناصر مادية تربطها علاقات ملموسة، **فالشعور** (الجزء الظاهر من الجهاز النفسي) يتعارض مع **اللاشعور** (الجزء الخفي من هذا الجهاز) فيؤدي إلى **كبت** عناصر الحياة النفسية للفرد، فتتولد عقد نفسية يمكن للنفساني إستئصالها كما تستأصل الأورام من قبل الجراح:

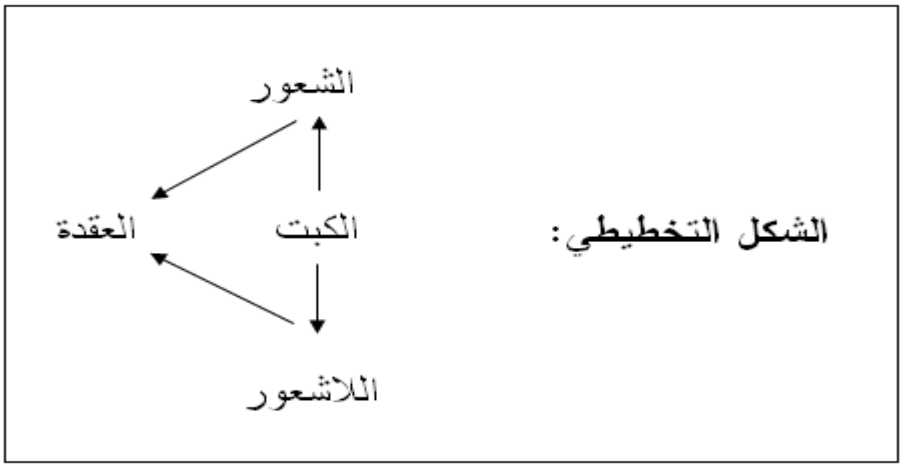

الشكل 2: *شكل يوضح التخطيط المنظم لآلية حدوث المرض النفسي* (بومدين، 2007، ص 31)

3) مرحلة التطبيع la naturalisation:

بعد أن يكون الأفراد عناصر تصويرية بالطريقة التي رأيناها في المرحلة السابقة، يحولون هذه العناصر النظرية في الأصل إلى أصناف ملموسة من الكلام؛ أي أشكال مادية يسهل إدراكها واستخدامها لتفسير وإعطاء معنى معقول لحدوث الظواهر؛ حيث تصبح هذه الأصناف ظواهرا مادية بديهية تنوب عن النظرية العلمية وتستعمل بسهولة ودون تحفظ من قبل الأفراد العاديين، وهكذا يصبح سلوك الشخص الذي يرتبك أثناء حديثه أمام جمهور ما راجعا ببساطة إلى عقدة الخجل، فيتم اختزال المشاكل التي يمكن أن يعاني منها الجهاز النفسي لفرد ما في مجرد عقد تكفي إزالتها للتخلص من هذه المشاكل.

بعد هذا العمل المعرفي الذي يقوم به الأفراد العاديون على محتوى علمي ما؛ من خلال "تفكيكه" وإنتقاء بعض مكوناته وإعطائها معنى مادي (ملموس) متوافق مع قدراتهم الفكرية والإدراكية، يتوجب عليهم نقل هذا المحتوى الجديد ودمجه في محيطهم الإجتماعي والعلائقي من خلال سيرورة الترسيخ.

- **سيرورة الترسيخ le processus d'ancrage:**

تشير سيرورة الترسيخ إلى ميكانيزمين في آن واحد؛ حيث يتعلق الميكانيزم الأول باستقبال المحتوى التصوراتي الجديد ودمجه في محتوى قديم، في حين يتعلق الميكانيزم الثاني بالكيفية التي يوظف بها هذا المحتوى من قبل جماعة إجتماعية ما.

بمجرد دخول محتوى تصوراتي جديد في الحقل السوسيو- معرفي لجماعة ما، تعطي له هذه الأخيرة جملة من الدلالات نابعة من نظام القيم الذي تملكه، والعناصر الأيديولوجية التي تسيرها من جهة، وطبيعة العلاقات (بما فيها العلاقات الصراعية) التي تربطها بجماعات إجتماعية أخرى، وهكذا يكتسي هذا المظهر من سيرورة الترسيخ أهمية بسيكو-سوسيولوجية كبيرة لأن هذه الدلالات الملحقة بهذا المحتوى يمكن إستخدامها للكشف عن طبيعة إدراك الأفراد والجماعات للعناصر المكونة لمحيطهم (المادي، العلائقي، الإجتماعي، الرمزي، ...)، ومختلف المعتقدات والمعايير الإجتماعية التي ينخرطون فيها، كما يمكن أن تعكس هويتهم.

يعطي **دواز Doise** أهمية كبيرة لهذا الجانب من سيرورة الترسيخ، ويعتقد أن الإقتصار على محاولة تمييز العناصر المكونة عن العناصر غير المكونة لتصور ما يعطي الإنطباع بأن التصورات الإجتماعية كيانات مستقلة، ويقتصر على وصف للمحتويات دون تفسير ما الذي جعل العناصر المكونة لتصور ما تكون جزءا منه، وما الذي جعلها تتخذ تنظيما معينا داخل هذا التصور يبقى غير كاف، فبالنسبة **لدواز**، حتى نفهم تصورا ما بشكل واف ونعطي معنى للتركيبة الخاصة للعناصر المكونة له، يجب أن نبحث عن ترسيخه في الديناميكيات العلائقية التي ينبثق منها، «فدلالة تصور ما متشابكة دائما أو مترسخة في دلالات أكثر عموما متدخلة في العلاقات الرمزية الخاصة بحقل إجتماعي معين» (Doise, 1992, p. 189)، وهكذا يمكن لهذا التصور أن يتأثر بالمعتقدات والقيم العامة السائدة في جماعة إجتماعية ما، وكذا الكيفية التي يتصور بها الأفراد العلاقات بين المكانات (les positions) أو الفئات الإجتماعية (les catégories sociales)، وفي النهاية يمكن لنفس هذه الإنتماءات والمكانات الإجتماعية التي يشغلها هؤلاء الأفراد، والتبادلات والتجارب المصاحبة لها أن تُعدِل تصوراتهم لمختلف المواضيع التي يواجهونها في حياتهم اليومية.

بين **دواز** ثلاث أوجه من الترسيخ؛ **الترسيخ البسيكولوجي** المستوحى من النظريات الساذجة للشخصية التي ترى أن فهمنا للآخر أو لأنفسنا يرتكز على معتقدات منتشرة، ننتمي إليها بدرجات متفاوتة، وذلك بحسب الخصائص الشخصية لكل فرد، الترسيخ **البسيكو-سوسيولوجي** الذي يتعلق بترسيخ محتويات التصورات الإجتماعية في الطريقة التي يتموقع بها الأفراد رمزيا بخصوص العلاقات الإجتماعية والتقسيمات المكانية (les divisions positionnelles) والفئوية (catégorielles) الخاصة بحقل إجتماعي معين، وفي الأخير **الترسيخ السوسيولوجي**، حيث ننطلق عند مقارنتنا لآراء ومعتقدات الجماعات المختلفة من فرضية أن التجارب المشتركة بين أعضاء جماعة ما واندماجهم الخاص في مجموعة من العلاقات الإجتماعية المتقاسمة يعطي ديناميكيات تصوراتية متشابهة(Doise, 1992, p. 189).

يعكس الميكانيزم الثاني الجانب البراغماتي من هذه السيرورة؛ حيث يضمن الترسيخ دمج هذا المحتوى الجديد في المحتوى الموجود قبلا كما أشرنا له أعلاه، وذلك بربطه مع ما هو معروف قبلا، حيث إعتبر **موسكوفيسي** أن «**جِدَّة**» التصور هي التي تسمح بإدماجه؛ ففيما يخص نظرية التحليل النفسي، سمح وضعها المخالف للأفكار الموجودة قبلها بإدماجها واستعمالها في التفاعلات اليومية حتى ولو كان ذلك على حساب محتواها الذي تم تعديله.

بعد إدماج هذا المحتوى الجديد والعمل عليه يأتي الوقت لتوظيفه في التواصلات اليومية للأفراد وأشكال التفكير الجماعية من أجل تفسير الظواهر اليومية، وهكذا تصبح أفكار التحليل النفسي مثلا أدوات لفهم أنفسنا والآخرين، وتصنيف الأشخاص والوضعيات في مصنفات تعمل كدليل لفهم واقعنا الإجتماعي؛ إلى درجة يصبح فيها هذا الدليل وسيطا قادرا على تعديل علاقاتنا الإجتماعية من خلال إقتراح كناشات (des répertoires) وأنماط (typologies) لتقييم الأحداث والسلوكات التي نصادفها في حياتنا اليومية (Fischer, 2005, p. 134-136).

إذن، تضمن كل من سيرورة الموضعة والترسيخ نقل محتوى علمي ما من إطاره الخاص إلى الإطار الإجتماعي والعلائقي للأفراد والجماعات الإجتماعية، مع ما يصاحب هذه العملية من تفكيك وحذف وإضافات لهذا المحتوى، تتماشى مع قدرات هؤلاء الأفراد والجماعات من جهة، ومع النظام الإجتماعي والقيمي الذي يسيرهم من جهة أخرى (سيرورة الموضعة)، ثم دمج هذا المحتوى «المعمول عليه» في محتويات موجودة قبلا وتوظيفه من أجل تسيير الحوارات اليومية وتفسير مختلف الظواهر (سيرورة الترسيخ). إن السؤال الذي يلح على طرحه في دراستنا هذه التي نهدف من خلالها لكشف وتحليل وفهم تصورات الشباب لظاهرة الهجرة السرية، يدور حول الكيفية التي تحدث بها هاتين السيرورتين في موضوع تصور متمثل في «**الهجرة السرية**»، فعلى عكس «**التحليل النفسي**» الذي درسه **موسكوفيسي** وبين من خلاله الأسس النظرية لفكرة التصورات الإجتماعية، يتخذ موضوع «**الهجرة السرية**» طبيعة أخرى، فبالنسبة للتحليل النفسي يتعلق الأمر ببناء نظري متماسك أنتج في حقل معرفي خاص، فحتى يستفيد منه الناس العاديون تطلب منهم مجهودا كبيرا تمحور حول السيرورتين التي تطرقنا لهما أعلاه، أما بالنسبة للهجرة السرية فنحن أمام ظاهرة إجتماعية (موضوع إجتماعي) تولدت داخل الوسط الإجتماعي للأفراد وليس خارجه؛ فحتى لو كان هذا الموضوع (الهجرة السرية) قد أثار العديد من التفسيرات و«التبريرات» من قبل مختصين في علم الإجتماع، علم النفس الإجتماعي، علم الإقتصاد، صحفيين، سياسيين، ...، فإننا بعيدون عن نظرية تمثل مرجعا أورثدوكسيا كما كان الشأن بالنسبة لنظرية التحليل النفسي، فمختلف التفسيرات التي قدمها ويقدمها المختصون حول ظاهرة الهجرة السرية جزء، في واقع الأمر، من الحوارات والنقاشات وحتى التجادبات التي تلت ظهور هذه الظاهرة.

أمام هذا الوضع الخاص لموضوع تصور كموضوع الهجرة السرية، من المفيد الفصل في «إحتمالية» أن تكون هذه الظاهرة موضوعا لسيرورة تصوراتية حقيقية، وهذا ما سنتناوله في عنصر لاحق سميناه: **الهجرة السرية كموضوع للتصور**. أما بالنسبة للسيرورتان اللتان تطرقنا لهما في هذا العنصر، فإن لسيرورة الموضعة دور كبير في تحديد إمكانية أن يكون موضوع ما موضوعا للتصور، ولذا سنعيد الحديث عنها في العنصر الذي نقترحه فيما بعد. في حين يمكننا أن نشير الآن إلى أن سيرورة الترسيخ تقدم خدمة إمبريقية كبيرة في دراستنا لتصورات الشباب للهجرة السرية؛ فإذا عدنا إلى فكرة **دواز** حول ترسخ التصور الإجتماعي لموضوع ما في المعتقدات والقيم العامة التي تسير مجتمعا ما، يتطلب فهم التصور الإجتماعي للهجرة السرية بشكل واف محاولة ربطه بهذه الأطر العامة، كما تصبح الإحاطة بهذا التصور الإجتماعي، من جهة أخرى، أداة للكشف عن القيم وأنماط التفسير والمعتقدات العامة التي تسير الواقع السوسيو– معرفي لمجتمع ما، بتعبير آخر، يمكن لتحليل تصورات الشباب الإجتماعية للهجرة السرية (فيما يتعلق بدراستنا هذه) أن يكشف لنا عن بعض المعتقدات والقيم العامة التي تسير علاقة أفراد المجتمع الجزائري مع واقعهم اليومي.

4. وظيفة التصورات الإجتماعية:

تنتمي التصورات الإجتماعية إلى ما يسمى «بمعرفة الحس المشترك»، وهي معرفة خاضعة للمنطق الطبيعي (la logique naturelle)، وهذا الأخير «محدد بالإطار الإجتماعي الذي يترسخ ويحدث فيه»، وذلك على عكس المنطق الشكلي (la logique formelle) الذي يتبعه العلم ولا يخضع للأشخاص الذين ينتجونه ولا لظروف إنتاجه، ولكن لمعايير منطقية معدة مسبقا وغير متغيرة (Rateau, 1995, p)، فالمعرفة التي تضمنها السيرورة التصوراتية حول موضوع (إجتماعي، مادي، مجرد،...) ما، تهدف إلى التواصل؛ وذلك من خلال تكوين معلومات يتقاسمها الأفراد المنتمون لجماعة ما حول موضوع ما، تعمل كأنظمة تشفير للواقع متفق عليها من قبل الجميع، فيوظفونها من أجل فهم وتأويل المظاهر المختلفة لمحيطهم المادي، الإجتماعي والرمزي، وهكذا فإن أول وظيفة يؤديها التصور الإجتماعي هو **وظيفة المعرفة une fonction de savoir** التي تضمن، بالإضافة للتواصل، إعادة بناء الواقع «كما نعتقد بأنه عليه أو يجب أن يكون» (Moscovici, 1961, p. 57)؛ أي أن المعرفة التي توفرها التصور(ات) الإجتماعية(ة) ليس همها فهم الميكانيزمات المعقدة التي تسير مختلف الظواهر اليومية، ولكنها

بنى معرفية تهدف لتسمية عناصر المحيط وإعطائها معنى معينا من خلال وضع علاقات سببية بين هذه العناصر وتصنيف السلوكات والحوادث اليومية ضمن فئات يستخدمها الفرد العادي لفهم والتنبؤ بسلوك الآخرين.

صحيح أن هذه البنى المعرفية التي تنتجها مختلف السيرورات التصوراتية تعمل كأنظمة لتأويل وفهم مختلف الظواهر التي يصادفها هذا الفرد في حياته اليومية، أو معطيات تتيح له التنبؤ بسلوكات الآخرين، ولكنها تفرض عليه في الوقت نفسه فهما معينا لواقعه اليومي، وهكذا تقوم التصور(ات) الإجتماعي(ة) **بوظيفة توجيه une fonction d'orientation**، فالمعرفة التي يحصل عليها الفرد من سيرورة تصوراتية ما معرفة محدودة؛ نظرا لمحدودية قدرات هذا الفرد وميله اللامتناهي لتبسيط محيطه المعقد والمتغير بشكل مستمر، وهكذا يتحصل على معرفة مُختَزَلة تعيقه عن إدراك جوانب أخرى من محيطه، كما أن التصورات الإجتماعية تعمل كخلفيات تسبق وتحدد شكل الفعل الذي يتبناه الفرد، ولكن القيمة التوجيهية لتصور إجتماعي ما تبرز أكثر من خلال الدور الذي يلعبه هذا الأخير في تلقين القيم الإجتماعية السائدة في جماعة ما للأفراد الذين يتبنون هذا التصور.

يقوم التصور(ات) الإجتماعي(ة) أيضا **بوظيفة تعزيز الهوية une fonction identitaire**، فكونه محتوى معد جماعيا، يجعله يميز أفراد جماعة إجتماعية ما عن بقية الجماعات في كيفية إدراكهم للعناصر المكونة لواقعهم اليومي، حيث يعزز هذا التميز من إنتمائهم لجماعتهم و**يبرر**، وهذه وظيفة أخرى يقوم بها التصور **une fonction de justification**، مواقفهم وسلوكاتهم المختلفة عن مواقف وسلوكات أفراد جماعات أخرى (Roussiau & Bonardi, 1999, p. 25).

تسمح وظيفة المعرفة لجميع أفراد جماعة ما «بأن يتحدثوا لغة واحدة»، وتجعل من التصور شبكة لقراءة الواقع، حيث يتموقع الأفراد الذي يتبنون هذه الشبكة في نظرة معينة للعالم الإجتماعي والمادي، محكومة هي نفسها بالمعايير والقوانين الإجتماعية السائدة، وهكذا يقوم التصور الإجتماعي بإعادة الإنتاج الإجتماعي الذي تحدث عنه دوركايم، من خلال تقديم نماذج فهم وتفسير جاهزة تفرض على الفرد خلال تفاعلاته اليومية مع أفراد جماعته، ولكن الشيء المهم بالنسبة للسيرورات التصوراتية هو إنتاجها لمنتوجات جديدة، وذلك بسبب الدور الذي يلعبه نفس هؤلاء الأفراد أثناء تفاعلاتهم اليومية، وقدرة المعرفة الإجتماعية على إستيعاب المعلومات والنظريات الجديدة كما رأيناه في سيرورتي الموضعة والترسيخ.

5. التصورات الإجتماعية ... «توجهات نظرية»:

منذ المُؤلَف المُؤسِس الذي نشره **موسكوفيسي** سنة 1961 (التحليل النفسي، صورته وجمهوره) إكتسبت «**نظرية التصورات الإجتماعية**» مكانة مهمة في علم النفس الإجتماعي، وبالخصوص في ميدان المعرفة الإجتماعية، كما جلبت إهتمام مشتغلين في حقول معرفية أخرى كعلم الإجتماع، الأنثروبولوجيا، اللسانيات، التاريخ، الجغرافيا البشرية، ... ما أكسبها سمة «نظرية متعددة التخصصات». جغرافيا، بقيت أغلب الأعمال المنشورة أوروبية وفرنسية بالخصوص، حتى ولو كانت هناك أعمال في آسيا، أمريكا الجنوبية، إفريقيا. أما في الولايات المتحدة الأمريكية فلم تعرف هذه النظرية النجاح المرجو من الأوروبيين؛ وذلك قد يرجع في جزء كبير إلى هيمنة دراسة السيرورات الداخل–فردية (les processus intra-individuels) على الأعمال المهتمة بالمعرفة الإجتماعية (وهذا ما يفسر هيمنة نظرية التنافر المعرفي (la dissonance cognitive) لعقود على علم النفس الإجتماعي الأمريكي)، على عكس نظرية التصورات الإجتماعية التي تهتم تاريخيا بالسيرورات مابين–الأفراد (les processus inter-individuels).

نظريا، عرفت فكرة التصورات الإجتماعية إنطلاقة جديدة في سنوات الثمانينات بعد بداية تراجع هيمنة التيار السلوكي وبروز التيار المعرفي، حيث يحاول المشتغلون عليها منذ ذلك الحين التأسيس نظريا وإمبريقيا لنظرية تجمع بين مختلف الحقول البحثية في علم النفس الإجتماعي، وذلك من خلال الربط بين ما يسمى حقل المعرفة الإجتماعية (الآراء، الإتجاهات، الأحكام المسبقة، القوالب الإجتماعية les stéréotypes، الإيديولوجيا) وبقية الحقول البحثية: التأثير الإجتماعي، العلاقات ما بين الأفراد، العلاقات ما بين الجماعات، العلاقات داخل الجماعات. إن هذا الطموح على أهميته، حدد طبيعة العمل على فكرة التصورات الإجتماعية، حيث إتخذت شكل ورشات أفتتحت هنا وهناك، سميناها «توجهات نظرية» مع الكثير من الحذر، لأننا لسنا، في واقع الأمر، أمام وجهات نظر مختلفة لفكرة التصورات الإجتماعية، ولكن أمام أعمال تهدف لدراسة مختلف أبعاد نظرية يريد لها أصحابها أن تكون جامعة لمختلف الحقول المعرفية لاختصاص بأكمله: هو علم النفس الإجتماعي.

1.5. النموذج السوسيو- تطوري le modèle sociogénétique:

بإحياءه لفكرة «التصورات الجماعية» وتطويرها من أجل إقتراح فكرة «التصورات الإجتماعية»، كان من المنطقي أن ينصب إهتمام **موسكوفيسي** على وصف كيفية تولد وتطور هذه التصورات التي تمثل شكلا من المعرفة الإجتماعية؛ وهكذا بين كيف أن ظهور تصور إجتماعي ما يتزامن مع «ظهور وضعية جديدة، ظاهرة غير معروفة، أو حدث غير مألوف»، وبما أن هذا الموضوع أو الظاهرة جديدين فإن المعلومات حولهما ستكون محدودة وغير كافية، بالإضافة إلى تشتتها بين أفراد الجماعات الإجتماعية المختلفة المعنية بهذا الحدث الجديد، وهكذا فإن أول شرط لبداية سيرورة تصوراتية ما يتمثل في **تشتت المعلومات** حول هذا الموضوع الجديد (la dispersion de l'information)، لكن تشتت المعلومات وفقرها لا يترك أفراد جماعة إجتماعية ما لا مبالين، بل يدفعهم القلق المصاحب لعدم فهمهم ومعرفتهم بمختلف جوانب هذا الموضوع (**الحاجة للإستدلال** la pression à l'inférence) إلى زيادة الأحاديث والحوارات والتواصلات بحثا عن أقل معلومة يمكن أن تزيل هذا القلق والإنشغال المصاحب لظهور الموضوع، وهكذا يؤدي تبادل معلومات، معتقدات وفرضيات إلى إنتاج مواقف متفق عليها من قبل الأغلبية في كل جماعة إجتماعية، ولكن هذا الإتفاق يكون عادة حول بعض جوانب الموضوع وذلك بحسب توقعات وتوجهات هذه الجماعات (**ظاهرة البؤرية** phénomène de focalisation) (Rateau et autres, 2011, p. 7)

وهكذا قدم موسكوفيسي ثلاث ظواهر تحدد السيرورة التصوراتية بخصوص موضوع ما هي: تشتت المعلومة، الحاجة للإستدلال والبؤرية، وهي ظواهر تحدث خلال سيرورتي الموضعة والترسيخ التي تحدثنا عنهما في عنصر سيرورة تكون التصورات الإجتماعية.

2.5. النموذج البنيوي le modèle structural:

يشير هذا النموذج إلى «نظرية النواة المركزية» التي طرحها كل من **أبريك** و**فلامون**، مرتكزان في ذلك على سيرورة الموضعة التي اقترحها **موسكوفيسي**، وأعمال **آش Asch** (1946) المتعلقة بالإدراك الإجتماعي.

قدم **آش** سبعة سمات طَبعِية لمجموعة من الأشخاص من أجل تقييم صورة الشريك، حيث لاحظ أن إحدى هذه السمات المقترحة تلعب دورا حاسما ومركزيا في تقييم هذا الشريك، وهي: بارد/حار، فهذه السمة تحدد بشكل قوي إدراك هؤلاء الأشخاص لهذا الشريك.

لا يهتم أصحاب هذا النموذج بكيفية تولد تصور إجتماعي ما، ولكن بالبنية التي تتخذها العناصر المكونة لهذا التصور، فالنظر إلى محتوى التصور على أنه بناء معناه أن العناصر المكونة له منظمة وفق تنظيم معين، أي ليست لها نفس المكانة كما أنها لا تلعب نفس الدور، وهي ليست تجمعا فوضويا لمجموعة من العناصر ولكنها مرتبطة ببعضها البعض بترابطات يقيمها الأفراد بحسب علاقتهم بموضوع التصور. وهكذا يحتوي كل تصور على جهازين يختلفان من حيث العناصر المكونة لهما والوظيفة التي يضمنانها:

أ) الجهاز المركزي:

يحتوي الجهاز المركزي (أو النواة المركزية) لتصور ما على عدد محدود من العناصر المعرفية المرتبطة بموضوع ما، تُحدَد بحسب طبيعة الموضوع المُتصوَر، والعلاقة التي تربط مختلف الأشخاص به، والغاية التي تم من أجلها إنتاجه، وأنظمة القيم والمعايير الإجتماعية التي تُكوِن المحيط الإيديولوجي للحظة والجماعة؛ فالجهاز المركزي مرتبط بالمحددات التاريخية، الرمزية والإجتماعية التي تخضع لها الجماعات الإجتماعية المختلفة، ويتميز بالثبات الذي يضمن إستمرارية التصور، وذلك لإحتواءه على عناصر متفق عليها ومتقاسمة من قبل أفراد هذه الجماعات) (Rateau et autres, 2011, p. 8-9).

أكدت العديد من الدراسات التي قام بها **أبريك** و**طافاني Tafani** (1995) و**راطو Rateau** (1995) فرضية طرحها **أبريك** حول إمكانية أن يكون الجهاز المركزي نفسه كيانا منظما، وبينت كيف أن هذا الأخير يحتوي على عناصر معيارية (des éléments normatifs) (مشبعة بالقيم المحمولة من قبل تاريخ المجتمع والثقافة المرجعية للفرد وجماعته، والتي تُشغَل فيما نسميه الأحكام les jugements) وأخرى وظيفية (des éléments fonctionnels) (مرتبطة بالنشاطات العملياتية مثل الممارسات les pratiques) تتخذ شكلا تدرجيا ويختلف تنشيطها بحسب طبيعة الجماعة والغاية من الوضعية التي تنشط فيها هذه الجماعة. كما بينت دراسة لـ **مولينر Moliner** وجود **عناصر مركزية نوعية** و**عناصر مركزية كمية**، حيث تشكل الأولى المكونات الحقيقية للنواة المركزية ويؤدي إلغاؤها إلى رفض أفراد الجماعة للتصور، في حين تشكل الثانية مكونات تملك تكرارا كبيرا ولكن إلغاءها يمكن تقبله من قبل أصحاب التصور (Jodelet, 1989, pp. 221-227)، فبعد أن قام بتقديم مجموعة من الأفراد – لطلبة من جامعة Paul-Valéry، مونبولييه، فرنسا– على أنهم أصدقاء حميمون، لا توجد بينهم مراتب، ولهم آراء متفقة (بينت دراسة قام بها **فلامون** بأن النواة المركزية لتصور «الجماعة المثالية» تتضمن: «الصداقة» و«غياب المراتب»). قسم في مرحلة ثانية هؤلاء الطلبة إلى مجموعتين، حيث أخبر المجموعة الأولى

بأنه في حالات الشدة يتولى أحد هؤلاء الأفراد قيادة الجماعة (وجود مراتب)، في حين أخبر المجموعة الثانية أن آراء أفراد الجماعة غالبا ما تختلف بخصوص مواضيع مختلفة (إختلاف في الآراء). النتيجة هي أن المجموعة الأولى لا تعتبر هذه الجماعة جماعة مثالية، في حين تبقى هذه الجماعة مثالية بالنسبة للمجموعة الثانية، وهكذا يبين **موليـنر** كيف أن غياب المراتب داخل الجماعة عنصر مركزي نوعي يؤدي إلغاءه إلى رفض التصور في حين يمكن للجماعة أن تتغاضى عن غياب الإتفاق بالرغم من كون تكرار هذا الأخير كبيرا.

إذن، تكون عناصر النواة المركزية هي الأكثر إستقرارا ومقاومة للتغير، ولكن تغيرها سيؤدي إلى تدمير التصور أو إعطاءه دلالة مختلفة، فلا يمكننا أن نتحدث عن تصورين مختلفين إلا إذا تضمن كل واحد منهما عناصر مركزية نوعية مختلفة. أما فيما يخص أهمية دور النواة المركزية داخل التصور فهي ترجع لكونها، أولا، تعطي معنى لبقية العناصر المكونة للحقل التصوراتي وقيمة خاصة للأفراد (**وظيفة مولدة للمعنى** une fonction génératrice de sens)، ثانيا، تحدد الروابط التي تجمع بين عناصر التصور، فهي العنصر الموحد والضامن لإستقرار التصور (**وظيفة منظمة** une fonction organisatrice) (Jodelet, 1989, p. 215).

ب) الجهاز المحيطي:

في حين يعتبر الجهاز المركزي (النواة المركزية) هو الجزء المجرد للتصور، يمثل الجهاز المحيطي الجزء الملموس والعملياتي له، لأنه في إرتباط وثيق مع متطلبات الحياة اليومية، فهذا الإختلاف في الجوهر يعطي للعناصر المحيطية لتصور ما دورا مغايرا للعناصر المركزية؛ حيث إعتبر **فلامون** أن العناصر المحيطية تتيح للتصور العمل كشبكة لفك تشفير الوضعيات الإجتماعية التي يصادفها الأفراد، حيث إرتكز **فلامون** على نظرية السيناريوهات (Schank & Abelson,1977) la théorie des scripts، التي تعرف الـ un script على أنه سيناريو أو سلسلة من الأفعال الضرورية التي تتضمنها وضعية ما، فبالنسبة لـ script « الذهاب إلى المطعم » يمكن أن يلخص في: «الدخول، الطلب، الأكل، دفع الحساب، الخروج»، فاعتبار العناصر المحيطية كشيمات (schèmes) أو سيناريوهات، يعني أنها تعمل كشبكات جاهزة يستعملها الأفراد لتقييم الوضعيات التي يواجهونها في حياتهم اليومية، حيث يقيمون وضعية جديدة على أنها «عادية» إذا لم تتعارض مع تلك الشبكات، وهكذا تعمل هذه الأخيرة كشيمات معيارية (des schèmes normaux) تتيح لهؤلاء الأفراد تقييم الوضعيات الجديدة بشكل إقتصادي ودون الحاجة، في كل لحظة، إلى تحليل هذه الوضعيات بالعودة إلى المبدأ المنظم المتمثل في النواة المركزية (Jodelet, 1989, p. 2).

حدد فلامون ثلاث وظائف أساسية للجهاز المحيطي، بدءا بعمل هذا الأخير كنظام محدد لسلوكات ومواقف الأفراد، حيث يسمح لهم بمعرفة ما هو عادي قوله أو فعله في وضعية إجتماعية ما، وهكذا يسمح بشخصنة التصور والسلوكات المرتبطة به بحسب الإطار، حيث يمكن لنفس التصور إعطاء مواقف فردية مختلفة داخل الجماعة. في النهاية يحمي الجهاز المحيطي النواة المركزية من التغيرات والتناقضات التي يتضمنها الواقع اليومي للأفراد (Rateau et autres, 2011, p. 9)، حيث بينت نظرية الشيمات* المحيطية أنه يمكن لجماعتين تحتيتين تشتركان في نفس النواة المركزية لتصور ما أن تنشطا، لأسباب ظرفية، شيمات محيطية بشكل غير متساو أو خطابات مختلفة.

3.5. النموذج السوسيو- دينامي le modèle sociodynamique:

أُقتُرح هذا النموذج من طرف **وليام دواز Willem Doise** مُركِزا على أهمية ربط البنية التصوراتية بامتداداتها في الأطر الإجتماعية والأيديولوجية الكبرى؛ فبالنسبة **لدواز**، التصورات الإجتماعية محصلة للعديد من السيرورات الفردية والأيديولوجية، والسيرورات ما بين الأفراد وما بين الجماعات، تكون في تفاعل مستمر فيما بينها، حيث تتجسد السيرورات الفردية في مواقف الأفراد المتمثلة في الإتجاهات والآراء والأحكام، في حين تعمل السيرورات ما بين الأفراد وما بين الجماعات باعتبارها إنتماءات وانذماجات محددة لمواقف الأفراد، أما السيرورات الأيديولوجية، فيمكن إعتبارها أسس مشتركة بين العديد من الأفراد، تعمل كـ «مبادئ منظمة تتدخل في كيفية إستيعاب الأفراد للمعارف تتمفصل بين الديناميكيات الإجتماعية وتلك المعرفية الفردية» (Roussiau & Bonardi, 1999, p. 95).

تهتم نظرية النواة المركزية بالكشف عن البنية المكونة لتصور ما، حيث يسمح الكشف عن الجهاز المركزي بمعرفة العناصر المتقاسمة من قبل جماعة ما، كما تسمح هذه النظرية بمعرفة تنوع مواقف الأفراد بخصوص موضوع ما من خلال الكشف عن العناصر المكونة للجهاز المحيطي للتصور، أما بالنسبة لنظرية المبادئ المنظمة فهي لا تفترض مسبقا وجود إتفاق، ولكن تهتم بالكشف عن النقاط المشتركة بين جماعة من الأفراد، أي العناصر التي تربط بين مجموع إدراكاتهم، وذلك من خلال الربط بين هذه النقاط وبين مختلف الإنذماجات الإجتماعية التي تلقي بثقلها على تصور هؤلاء الأفراد. فإذا كان موسكوفيسي قد إعتبر أن الإتفاق هو محصلة تقاسم أفراد الجماعة لمجموعة من المعتقدات التي يتبادلونها فيما بينهم من خلال عملية التواصل، **فدواز** يعتبر بشكل مخالف لذلك، بأن

* يمكن إعتبار الشيمات les schèmes مخططات أو برامج للحركات القابلة للملاحظة أو العمليات الإستدلالية غير الملاحظة التي تتشكل وتتعزز نتيجة لتكرار الأفعال والإدراكات المميزة للحياة الإجتماعية للأفراد.

هذا الإتفاق يكون على مستوى نقاط ترسيخ هذه التصورات الإجتماعية، حيث يعود التطابق والتباين بين نقاط الترسيخ هذه إلى بنية العلاقات الإجتماعية الموجودة داخل هذه الجماعات.

يأخذ هذا النموذج الذي إقترحه **دواز** تسمية نظرية المبادئ المنظمة بسبب نظرته للتصور الإجتماعي؛ فبالنسبة لصاحب هذا النموذج، لا يمكن أن ندرس هذه الأخيرة دون ربطها بالدينامكية الإجتماعية التي تميز الواقع اليومي للأفراد، حيث تضع هذه الديناميكية، من خلال علاقات التواصل، الأفراد في وضعية تفاعل تنتج عنه مواقف خاصة حول موضوع إجتماعي مهم، وتتخذ هذه المواقف أشكالا متنوعة بحسب إنتماءاتهم الإجتماعية، فكل فرد يتواصل مع الآخرين يشارك في بناء الديناميكيات ما بين الأفراد والعلاقات الإجتماعية، ويساهم في إعادة إنتاج وتحيين المعايير الإجتماعية والتصورات الإيديولوجية السائدة.

وهكذا يعتبر **دواز** أن المواقف التي يُعبِر عنها الأفراد بخصوص مسألة معينة مرتبطة أساسا بالإنتماءات الإجتماعية لكل واحد منهم، حيث يلتقي **دواز** في هذه النقطة مع سيرورة الترسيخ التي قدمها **موسكوفيسي** والتي تحدثنا عنها في عنصر سابق، ولكن ما يضيفه **دواز** هو أن هذه المواقف مرتبطة أيضا بالوضعيات التي تنتج من أجلها هذه الأخيرة، وهكذا تنتج مصادر التنوع هذه (التنوع في الإنتماءات الإجتماعية والتنوع في الوضعيات اليومية) تنوعا ظاهريا – يقول **دواز**– لمواقف منتجة إنطلاقا من مبادئ مُنظِمة مشتركة.

ترجع هذه المبادئ المنظمة إلى الطابع الرمزي الذي يحمله التفاعل الإجتماعي؛ حيث يتيح هذا التفاعل للأفراد بتحديد أنفسهم (رمزيا) عن بقية الأفراد، وبالتالي يلعب دورا في تكوين هوية مشتركة لهم، لذا يتوجب على هذا التفاعل أن ينتظم وفق قواعد مشتركة بين أفراد كل جماعة، وذلك من خلال ضمان نقاط مرجعية متقاسمة يمكن للأفراد والجماعات أن يأخذوا موقفا منها، فهذه القواعد ما هي إلا تصورات إجتماعية تنظم السيرورة الرمزية المتحكمة في التفاعل الإجتماعي، «فإذا كانت التصورات تسمح بتعريف موضوع النقاش، فهي تنظم أيضا هذا النقاش من خلال الإيحاء بالأسئلة الواجب طرحها» (Rateau et autres, 2011, p. 10).

يؤكد **دواز** على وجود نظام خلفي un méta-système مستقر نسبيا، ينظم العلاقات الإجتماعية المادية (علاقات الإنتاج، علاقات القوى، ...) والرمزية، ويؤثر في التنظيمات المعرفية للأفراد، ويعتبر أن سيرورتي الترسيخ والموضعة اللتان قدمهما موسكوفيسي تضمنان عمل الواجهة بين هذا الـ méta-système والتصورات الإجتماعية، حيث تؤثر الديناميكيات الإجتماعية لـ méta-système على الديناميكيات المعرفية التطورية، ويؤدي

الجمع بينهما إلى إنتاج مبادئ منظمة لمحتوى التصورات ومتحكمة في الديناميكيات الرمزية للعلاقات الإجتماعية» (Roussiau & Bonardi, 1999, p. 106).

بالنسبة لموضوع كموضوع دراستنا، نحن نعتقد بأن تبني هذه التوجهات النظرية معا سيكون مفيدا على المستوى النظري والميداني، حيث سيساعدنا الإهتمام بكيفية تولد وتطور التصور الإجتماعي للهجرة السرية في فهم السيرورات المعرفية التي ينشطها الشباب خلال بناء تصورهم المحتمل لظاهرة إجتماعية تخصهم في المقام الأول، فبما أن التصور هو في نهاية المطاف محاولة لترتيب عناصر الظاهرة بشكل متوافق مع الواقع الرمزي والمادي للجماعة المعنية بهذا التصور، فإنه يمكن لدراسة التولد المحتمل لتصور الهجرة السرية عند الشباب أن يكشف عن المناخ الإجتماعي والعلائقي الذي كان سائدا خلال بداية هذه الظاهرة وتطوره المحتمل مع مرور عدة سنوات منذ أولى محاولات الهجرة السرية.

إن إحدى أهداف دراستنا هذه هو الكشف عما إذا كان هناك إطار أيديولوجي أو قيمي أو معتقدات تم توظيفها من قبل الشباب خلال محاولاتهم تبرير السلوك الذي قاموا أو ينوون القيام به، فمن أجل الكشف عن هذه الأطر المعرفية الإجتماعية يبدوا من الملائم توظيف نظرية النواة المركزية، من خلال الكشف عن محتوى وبنية الجهاز المركزي الذي ترتبط مكوناته بالتاريخ السوسيو–ثقافي للجماعة، في حين سيساعدنا الكشف عن مكونات الجهاز المحيطي في الكشف عن الفروقات الفردية في تصور الشباب للهجرة السرية، حيث لاحظنا أعلاه، كيف أن عناصر الجهاز المحيطي تتنوع بحسب الأفراد وتجاربهم اليومية.

6. التصورات الإجتماعية والتواصل:

تشغل سيرورة التواصل (le processus de communication) مكانة هامة في نظرية التصورات الإجتماعية التي قدمها **موسكوفيسي**، حيث خصص حيزا كبيرا في كتابه المُؤسِس لشرح العلاقة العضوية التي تربط بين هذه السيرورة وبين تكون وتطور التصور الإجتماعي لموضوع ما، فالتصورات الإجتماعية تخدم تواصل الأفراد والجماعات فيما بينهم، من خلال منحهم «رمز un code –متفق عليه– يوظفونه في تبادلاتهم، وتسمية وتصنيف أجزاء عالمهم، وتاريخهم الفردي والجماعي» (Roussiau & Bonardi, 1999, p. 21)، ولكن هذا الرمز هو

نفسه محصلة سيرورة تواصل، تسمح للفرد باستقبال وإرسال معارف ومعتقدات وقيم تتيح تقاسم نظرة مشتركة للأشياء والآخرين.

يستعمل الفرد الحوار (كأبسط أشكال التواصل) من أجل إعادة ترتيب وتنظيم العناصر المكونة لمحيطه اليومي، فالحوار يسمح لهذا الفرد بالتخلص من السكوت، وإشباع الفضول الذي قد ينتابه بخصوص بعض الأحداث، القصص، الأفكار التي قد تغزو يومياته، كما يتيح له التواطؤ ومشاركة محاوريه في محاولاتهم اليومية للتفكير حول هذه الظواهر ومحاولة فهمها، فالذي يميز هذا التفكير الطبيعي الشفوي، هو إعتماده على التواصل بالأفكار، أي أن المتحاورين ينحتون آراءهم بشكل إرتجالي من خلال علاقة وجه لوجه مباشرة وعابرة (Moscovici, 1961, pp. 253 99.)

بالإضافة إلى الحوار (إتصال ما بين الأفراد)، يمكن للتواصل أن يكون مؤسساتيا (المسجد، الحزب، الجمعية، المصنع، ...)، أو إعلاميا (الجرائد، الإذاعة،...)، وهذا الأخير يشغل أهمية كبيرة في تكوين التصورات بخصوص موضوع ما، حيث يؤدي التعرض له، بالإضافة إلى التبادلات التي تحدث ما بين الأفراد، إلى التشارك في العناصر المكونة للتصور قيد التكوين، فمن خلال هذه التواصلات المختلفة وسيرورات التأثير، la normalisation، التطابقية (le conformisme) المنجرة عنها، يمكن للمعتقدات الفردية أن تصبح معتقدات متفق عليها، كما يمكن، في الوقت نفسه للمعتقدات الجماعية أن تفرض على الأفراد (Rateau et autres, 1999, pp. 3 6).

ترجع أهمية دراسة التواصل بمختلف أشكاله إلى دوره في تكوين التصورات الإجتماعية، حيث يتضمن هذا الأخير تنشيطا لمختلف السيرورات البسيكو سوسيولوجية أثناء الحوارات اليومية التي يقيمها الأفراد، أو خلال تعرض هؤلاء لمختلف الرسائل الإعلامية. فالأفراد عندما يتبادلون المعلومات والرسائل خلال حواراتهم اليومية هذه، لا يقتصر دورهم على نقل هذه المعلومات كما هي، والشيء نفسه ينطبق على مختلف الركائز الإعلامية التي يتولى من خلالها مرسلون (صحفيون، مذيعون،...) نقل معلومات تخص مواضيع متنوعة، بل يغيرون هذه المعلومات ويترجمونها ويفسرونها، ويشبعونها بدلالات مختلفة بحسب المعايير الإجتماعية السائدة والرموز الجماعية المتفق عليها، وهكذا تغير الكلمات معانيها واستعمالاتها، حتى ولو كان ذلك يؤدي إلى إختزال مواضيع الحوار في عدد محدود من المعلومات وفق مبدأ إقتصاد المعلومة، الذي يشير إلى قدرة الأفراد العاديين المحدودة على إستيعاب مختلف المعلومات، ما يحتم عليهم إختزالها في عناصر قليلة يمكن الإحتفاظ بها وتقاسمها مع محاوريهم. وهكذا

يؤثر التواصل على مختلف المظاهر البنيوية والشكلية للتفكير الإجتماعي، من خلال تفعيل سيرورات التأثير الإجتماعي، والتأثير والتوافق وعدم التوافق والجدال.

أكد **موسكوفيسي** على الدور الحاسم للإتصال الموجه للجماهير في تكوين وتطوير وحتى تعديل التصورات الإجتماعية، حيث بين– من خلال دراسة 1640 مقال نشر في 230 جريدة ومجلة طبعت في الفترة الممتدة من جانفي 1952 إلى 1956، حول موضوع التحليل النفسي– ثلاث أشكال يمكن أن يتخذها هذا الإتصال هي: البث (الإذاعة)، الترويج (النشر)، الدعاية. وتختلف هذه الأنواع الثلاثة للإتصال في بنية الرسائل التي ترسلها للمستقبلين، وإعداد النماذج الإجتماعية، وكذا السلوكات المرجو ملاحظتها لدى مستقبلي هذه الرسائل:

أ) البث la diffusion:

يقدم مرسل الرسالة في هذا النوع من الإتصال (كاتب المقال بالنسبة للجريدة) نفسه على أنه وسيط بين مصدر المعلومة ومتلقيها، حيث يحرص على أن يكون دوره منحصرا في الحصول على معلومات حول الموضوع الجديد (التحليل النفسي مثلا) وتكوين رصيد يسمح له بتقديم تعريف واف عن هذا الموضوع لمجموع القراء، فبالرغم من حرص هذا المرسل على الإختلاف في الأدوار (دور المرسل والمستقبل) فإنه يحرص أيضا على التعادل والتساوي مع جمهوره فيما يخص تعامله مع الموضوع الجديد، كما يحرص على أن يعتبره الجمهور كناقل للمعلومة وكتعبير عنهم وذلك ليضمن جدبهم.

يعود هذا النهج المتبع من قبل مرسل المعلومات المتعلقة بموضوع ما، إلى طبيعة البث الذي يستهدف كل شرائح المجتمع، لذلك يحرص كاتب المقال مثلا على مسافة بينه وبين المعلومة التي ينقلها، حتى لا يبدوا في مظهر المؤيد أو المتبني لهذه المعلومة وبالتالي يمكن أن يخسر شريحة ما رافضة للآراء التي يتضمنها هذا المقال. إن هذا الوضع يخلق مشكلة تكيف بين الناشر والقارئ، حيث يكون الأول في تبعية دائمة للثاني، فالجريدة التي تتبع هذا النوع من الإتصال لا تكون موجهة لجماعة محددة بشكل واضح، بل تستهدف جمهورا غير منسجم، لذا يتوجب عليها، حتى تضمن إستمراريتها، أن تبحث عن مواضيع يمكن أن تتقاسمها أغلبية شرائح هذا الجمهور، كما أن أداة النشر تحرص على عدم ثبات النهج التحريري والتنوع في المواضيع حتى لا تحصر نفسها في توجه معين يمكن أن تخسر معه شرائح من الجمهور لا تساير هذا التوجه (Moscovici, 1961, p. 317-323).

إن ما يسمح بهذا التوجه التحريري يرجع في جزء كبير منه إلى عدم نية المرسل في هذا النوع من الإتصال في الحصول على سلوك أو ردود فعل ما لدى مستقبليه، بل يقتصر في أغلب الحالات على إنتاج الآراء.

ب) الترويج la propagation:

على عكس البث، يتوجه المرسل في الترويج إلى جماعة محددة، تكون إنشغالاتها قريبة من إنشغالات الموضوع الذي تقترحه الرسالة، ولكن أعضاء هذه الجماعة منقسمون في مواقفهم تجاه هذا الموضوع، وبالتالي يكون دور المرسل متمثلا في محاولة إيجاد نظرة مشتركة (نموذج) لهذا الموضوع، يحاول أن يوجه من خلالها أعضاء الجماعة بالنسبة لهذا الموضوع من خلال إدماجه في إطار معارف الجماعة وعواطفها، ففي دراسة **موسكوفيسي** للتحليل النفسي بين أن الجرائد الموجهة للكاثوليك قدمت التحليل النفسي كميدان علم يتشارك مع الدين في الإهتمام بالروح، ولكنها أهملت فكرة الجنسية الطفولية والميكانيزمات النفسية الخفية التي تتحكم في سلوكات الأفراد، لأن هذه الأفكار لا تتماشى والنظرة الدينية لهذه المواضيع، في المقابل ركزت هذه الجرائد على أفكار أخرى تتماشى مع نظرة الكاثوليك للتربية مثلا أو المسائل العاطفية أو العلائقية داخل العائلة(Roussiau & Bonardi, 1999, p. 28) .

يقوم المرسل في الترويج بنفس المجهود الذي يقوم به المرسل في البث، غير أنه يكون أكثر تعقيدا وتنظيما، حيث يتوجب عليه تحليل وإعادة تنظيم المعلومات التي يجمعها من أجل إقتراح معارف تسمح لكل واحد من المستقبلين بإيجاد تماسك بين الموضوع الجديد وبين معايير الجماعة وسلوكاتها، حيث يعاد تأويل هذه الأخيرة وتجديد بعضها وتعزيز أخرى دون خلق ضغط بين الجديد والقديم.

يهدف الترويج لإعداد إتجاهات أفراد جماعة معينة تجاه الموضوع الجديد، ويتولى إعداده أفراد جماعة لهم نظرة منظمة جيدا عن العالم، ومعتقد يودون ترويجه، إذ يحاولون موائمة المواضيع الجديدة مع معتقداتهم، من أجل الحفاظ على تماسك الجماعة المتوقف على الأفكار والمعتقدات المتقاسمة، فالمرسل في هذا النوع من الإتصال يجد نفسه أمام فئات من الجمهور تكون حساسة للحججية المستعملة في رسائله، لذا يجب على هذه الأخيرة أن تكون:

- مساحة عملها محددة ولكنها مباشرة، لأنه هناك جماعة محددة مستهدفة بهذه الرسائل.
- يجب أن تُدمَج الرسائل ومن تم الموضوع المقدم في إطار مرجع موجود قبلا.
- لها هدف، متمثل في حث الجماعة على قبول فكرة (une conception) محددة لموضوع معد بنضج من قبل بعض أعضاء الجماعة، وهي فكرة مطلوب من الجماعة إشهارها في وجه الآخرين. (Roussiau & Bonardi, 2001, p. 184)

ج) الدعاية la propagande:

يحدث هذا النوع من الإتصال عندما يكون هناك صراع بين الجماعات حول موضوع ما، حيث تحدد عدم الإحاطة بهذا الموضوع هذه الجماعات وتماسك نظرتها للعالم، وبالتالي يكون الدور الجوهري للدعاية إنتاج تصور للموضوع يمكن تبنيه من قبل أعضاء الجماعة بحيث يمكن أن يوجه أفعالها وسلوكاتها ويعزز هويتها (Roussiau & Bonardi, 1999, p. 30-31).

على خلاف البث والترويج، يتمتع المرسل (الكاتب الصحفي في الجريدة مثلا) باستقلالية أكبر في تحديد محتوى رسائله، كما أنه يحافظ على إستمرارية في المعايير التي تسير وفقها الركيزة الإعلامية التي يمثلها، فالهدف الرئيسي للدعاية هو توجيه الجماعة ليكون لها إدراك وإتجاه مشترك لموضوع ما، من أجل الحصول على سلوك موحد لهذه الجماعة تجاه هذا الموضوع (Moscovici, 1961, p. 394).

توظف الدعاية في الوضعيات الصراعية، أي عندما تكون هناك جماعتان في وضعية صراع، كما كان الشأن بالنسبة للرأسماليين والإشتراكيين في سنوات الخمسينات، حيث يصبح ظهور موضوع جديد، التحليل النفسي في هذه الحالة، مصدرا لتنشيط هذا الصراع، من خلال تحيين مختلف القوالب الإجتماعية (les stéréotypes) التي تملكها كل جماعة عن الجماعة الأخرى، فيكون إهتمام المرسل في الدعاية منصبا على التمييز بين المعلومات الخاطئة والمعلومات الصحيحة، وتأكيد أوجه الإختلاف بين أفكاره وأفكار الجماعة المضادة، وهكذا تعمل الدعاية من خلال التعبير عن أفكار مخالفة وآراء محتقرة لأفكار الجماعات المخالفة، وبالتالي محاولة ضمان سلوك مستقبلي محدد لأفراد الجماعة التي تستهدفها الدعاية في إتجاه معين (Jodelet, 1989, p. 245-246).

تقوم الدعاية بوظيفتين أساسيتين، وظيفة مُعدِلة وأخرى مُنظِمة:

- **وظيفة معدلة une fonction régulatrice**: تتمحور حول التأكيد على هوية الجماعة أو إعادة بناءها، من خلال القضاء على موضوع الصراع، بالتأكيد على التناقض بين ما تملكه الجماعة وما هو مقدم كموضوع خارجي، أي أن هوية الجماعة تتعزز من خلال إبراز معارضتها لما هو آت من خارجها.
- **وظيفة منظمة une fonction organisatrice**: تتمثل في الإعداد الملائم لمحتوى التواصلات، وتحويل الحقل الإجتماعي وتصوره في وضعية محددة، وذلك من خلال تجديد العلاقات القديمة، واقتراح علاقات جديدة في علاقة مع مظاهر قريبة أو بعيدة عن الحياة اليومية.

بشكل عام يمكن أن يؤدي التواصل وظيفتين، وظيفة أدواتية (une fonction instrumentale) تترجم العلاقة الموجودة بين الأهداف التي يضعها المرسل أثناء إعداد رسالته والسلوكات أو التظاهرات التي يود إنتاجها، أي أن التواصل يهدف لتوجيه أفكار الناس وسلوكاتهم في إتجاه ولغرض معينين. في المقابل، يمكن أن تكون وظيفة التواصل إستهلاكية (une fonction consommatrice)، أي أن التواصل في هذه الحالة يكون من أجل التواصل، دون أن تكون هناك نية من طرف المرسل لإعداد محتوى مؤثر بشكل ما في مستقبلي رسائله، فبالإضافة إلى أن هذا الجانب من التواصل يخدم حاجة مخلوقة إجتماعيا، يمكن أن يكون له آثار هامشية ولكنها غير واضحة بشكل صريح (Moscovici, 1961, p. 438-439).

لعل أحد أهم المظاهر التي ميزت بداية أولى محاولات الشباب للهجرة السرية، الزخم الإعلامي الذي صاحبها، بالخصوص في الجرائد اليومية التي سارعت إلى نقل أخبار الشباب، سواء الذين نجحوا في بلوغ الأراضي الأوروبية أو المفقودين، ورواية تفاصيل رحلاتهم والقلق الذي تركوه لدى عائلاتهم، ولكن دورها لم يقتصر على الإعلان عن المغامرات، بل أصبحت تقدم تفسيرات وتحليلات لمختصين، حيث أصبح التطرق للهجرة السرية يحمل دلالات جدال سياسي يقيم من خلاله نظام التسيير القائم. ومع إستمرار هذه الظاهرة، نجد أنه من الضروري الكشف عن نمط الإتصال الذي إنتهجه الصحفيون الذين يكتبون عنها، ونتساءل عن الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه الجرائد في توجيه الرأي العام الجزائري (وبالخصوص الشباب) نحو هذه الظاهرة المستمرة.

7. التصورات الإجتماعية والنظام الخلفي (الأيديولوجيا، المعايير، القيم، المعتقدات):

يشير مصطلح النظام الخلفي le méta-système في هذا الإطار إلى مجموعة من السيرورات والمنتوجات المعرفية التي ينشطها أو ينتجها المجتمع عبر تاريخه، وتُتنَاقل من جيل إلى جيل من أجل ضمان إستمراريته وإستقراره، حيث تعمل المدرسة، الأسرة، وسائل الإعلام وبقية المؤسسات الرسمية وغير الرسمية على تلقيننا – منذ الصغر– نظرة معينة للعناصر المكونة لمحيطنا المادي والإجتماعي، وتفرض علينا تنظيما معرفيا مسبقا لهذا المحيط الذي نعيش فيه، فالنظام الخلفي إذن يعكس المجهود المعرفي الذي يبدله المجتمع ككيان رمزي من أجل «مفهمة» النشاطات والعلاقات والقواعد المميزة للحياة الإجتماعية، وإعطائها منطق معقول يسمح له بعرضها على أفراده كنظام تشفير يتيح لهم التوجه في المحيط الإجتماعي الذي ينتمون إليه.

تمثل المعتقدات، المعايير، القيم، الأيديولوجيا، ...، والتداخلات الموجودة فيما بينها هذا النظام المعرفي المعقد الذي نتحدث عنه، والذي يحمل خصائص الوعي الإجتماعي التي طرحها **دوركايم**، حيث تختلف أشكال المعرفة الإجتماعية هذه عن التصورات الإجتماعية، في الدور الذي يلعبه الأفراد وتواصلاتهم اليومية في نحت هذه الأخيرة في حين تعتبر الأخرى (المعتقدات، المعايير، ...) أشكالا معرفية مستقلة وواسعة الإنتشار.

تختلف أشكال النظام الخلفي هذه عن بعضها البعض في طبيعتها، محتوياتها المعرفية ووظيفتها داخل أفراد جماعة إجتماعية ما، فالمعتقدات (les croyances) مثلا، تُربَط عادة بالخرافة (le mythe)، بالتفكير السحري (la pensée magique)، أو باللاعقلانية (l'irrationalité)، والإنحرافات (les biais) التي تمس التفكير الإجتماعي مقارنة بالتفكير العلمي، فعلماء النفس الإجتماعيون ينظرون إلى المعتقد كمعرفة مناقضة للمعرفة العلمية، وذلك لأنها غير مبنية على منطق علمي منهجي، وبالتالي فهي معرفة محدودة وغير دقيقة (Roussiau & Bonardi, 2001, p. 192) ، ولكن كونها غير دقيقة مقارنة بالمعرفة التي يبنيها العلماء لا يعني أنها غير مهمة بالنسبة لأفراد المجتمع، حيث يؤكد Askevi-Leherpeux على أهمية المعتقدات بالنسبة لإبيستيمولوجيا الحس المشترك، وذلك لأنها تلعب دور «شبه–معرفة un pseudo-savoir» تعطي شكلا للتفكير الإجتماعي، وتتيح لأفراد المجتمع مراقبة أو التكيف مع العالم المحيط (Mannoni, 1998, p. 33). فالمعتقدات مرتكزة على قاعدة سوسيو– ثقافية، وخاضعة لمختلف التنظيمات البسيكوسوسيولوجية للأفراد وكذا ممارساتهم وتجاربهم، فهي تتحكم في المناخ السوسيو معرفي لمن ينخرطون فيها، حيث تتيح لهؤلاء توقع الأحداث، وتعزز هويتهم، وتضمن لهم وسيلة تعبير (Apostolidis et autres, 2002, p. 7-11).

يعرف **ديكونشي Deconchy** الأيديولوجيا على أنها «*مجموع متماسك من التصورات والتفسيرات المتعلقة بمحيطنا والعلاقات المكونة له، فهذا المجموع غير مؤسس على معايير الموضوعية، العقلانية (la rationalité)، المراجعة (la vérification)، بالمعنى الفرضي–الإستدلالي الذي نجده في العلم*»، ولكن الذي يميز هذا النوع من المعرفة الإجتماعية عن المعتقدات، هو الإعتقاد بأن محتوى الأيديولوجيا صحيح، واقعي ومؤسس، والتشكيك في صحة الأيديولوجيا التي تحملها جماعة أخرى (Roussiau & Bonardi, 2001, p. 192)، بعبارة أخرى، تهدف الجماعة من خلال إنتاج هذه الأيديولوجيا لتوجيه الأفراد المنتمين إليها في إتجاه ما، ومواجهة أيديولوجيا أخرى تحملها جماعة ما ومعتبرة كمجرد معتقدات.

تختلف المعتقدات عن التصورات الإجتماعية في المحتوى، حيث تضم مجموعة من الدلالات المعقدة في حين تتعلق محتويات التصورات الإجتماعية بموضوع يشكلها وتنظمه، فالتصورات لا تكون إلا تصورات لموضوع ما، على عكس المعتقدات التي تحضر الأرضية وتلعب دورا في تحديد هذا الموضوع، أما الإختلاف الثاني فيتعلق بمدى الإنتشار، ففي الوقت الذي يخص فيه التصور الإجتماعي جماعة ما، تكون المعتقدات أكثر إنتشارا، حيث يمكن أن تغطي جميع أفراد المجتمع، فهذه الميزة بالإضافة إلى الديمومة في الزمن (يمكن للمعتقدات أن تستمر لأجيال) تجعل من المعتقدات أنظمة ترسيخ تُتَصوَر المواضيع إنطلاقا منها، فأثناء تشكل التصورات الإجتماعية خلال التفاعلات والتواصلات اليومية تلعب المعتقدات دور الخلفية (l'arrière-fond) الثقافية للدلالات المتقاسمة.

تكتسي دراسة العلاقة الموجودة بين المعتقدات والتصورات الإجتماعية أهمية كبيرة لفهم العناصر التي تتدخل في تكوين هذه الأخيرة، حيث تساعد على «فهم الدور الذي يلعبه إنخراط الأشخاص في تنظيم إجتماعي وتاريخ (une historicité) ما، والأخذ بالحسبان البناء الإجتماعي–من خلال إنتماءاتهم وتواصلاتهم بالضرورة– للتأويلات التي يقيمونها في إطار ثقافة ما»، حيث يمكن للمعتقد أن يتخذ شكلا ظاهرا أو ضمنيا ولكنه نشيط وظيفيا.

يمكن للمعتقدات أن تؤسس لخطابات معيارية أو تحملها في شكل أنظمة تصورات، حيث يؤكد **مانوني Mannoni** على الدور الذي يلعبه التصور الإجتماعي كجهاز مركزي في نظام أكثر عموما (نظام معرفي خلفي)، يعيد تنشيط مكونات هذا النظام، ويعطيها تنظيما معينا ويساهم في إستمراريتها عبر الزمن (Mannoni, 1998, pp. 37 61)، كما يمكن للمعتقدات أن تُكوِن النواة المركزية لما سماه **موسكوفيسي** التصورات الإجتماعية المشتركة (les représentations sociales communes)، حيث تتميز بالتجانس، العاطفية وعدم القابلية للإختراق من المعطيات التي تفرضها التجارب أو التناقضات اليومية أو المتغيرات الفردية، في مقابل تصورات إجتماعية مشتركة مبنية على المعارف (les connaissances) تكون أكثر سيولة وبراغماتية والمتأثرة بحالات الفشل أو النجاح، التجارب والنقد الذي يقيمه الأفراد (Mannoni, 1998, p. 133).

بما أن الأطر المؤسساتية والأيديولوجية تنحت الحياة الجماعية والإجتماعية من خلال فرض أشكال عمل معينة، عادات في التفكير، وتحدد بشكل متفاوت المواقف التي يقيمها الأفراد بخصوص العناصر المكونة لمحيطهم المادي والرمزي، فالعلاقة بين التصورات الإجتماعية والأيديولوجيا تدرس من قبل البسيكو سوسيولوجيين إنطلاقا من الكشف عن الدور التي يمكن أن تلعبه هذه الأيديولوجيا في توجيه التصورات التي يقيمها الأفراد حول موضوع ما،

خصوصا لما نعلم أن كل خطاب تنتجه جماعة ما هو خطاب متموقع أيديولوجيا، إلى درجة يمكن معها لهذا التموقع أن يحدد محتويات هذا الخطاب، من خلال فرض تصورات جاهزة لموضوع ما، أو من خلال المساهمة في تكوين النواة المركزية التي ترجع بالضرورة إلى الإطار اليومي، الإجتماعي، التاريخي، أو الأيديولوجي الذي يحدد معايير وقيم الأفراد والجماعات.

إن القبول بتجدر التصورات الإجتماعية في إطار إيديولوجي معين، معناه أن إيجاد معنى لمحتوى وبنية هذه التصورات يمر حتما من خلال الأخذ بعين الإعتبار مختلف الأيديولوجيات التي تنتمي إليها الجماعة المعنية بموضوع التصور، وهكذا يتيح لنا الربط بين الأيديولوجيا والتصورات الإجتماعية، على المستوى المنهجي على الأقل، توظيف الأولى ككراسة شفرة لفك تشفير وفهم محتوى وبنية الثانية، كما تصبح دراسة الثانية وسيلة للكشف عن السياق الأيديولوجي العام الذي تنتمي إليه (Roussiau & Bonardi, 2001, p. 192-195).

يمكن للمعايير والقيم التي تتقاسمها جماعة ما أن تلعب أيضا دورا في تحديد التصور الإجتماعي لموضوع ما، بدءا بالتأثير على موقف أفراد هذه الجماعة من هذا الموضوع، فيكون إيجابيا أو سلبيا، كما يحدد الجوانب التي سيتم التركيز عليها في إعداد التصور، وذلك بحسب المعطيات البسيكوسوسيولوجية المكونة للجماعة، فنظام المعايير والقيم هو الذي سيحدد الرهان الذي يمكن أن يخلقه النظام الجديد، وفائدته بالنسبة للجماعة، وهو الذي سيحدد مصيره داخل الإطار المعرفي المتقاسم من قبل أفراد هذه الأخيرة (Rouquette & Garnier, 1999, p. 64).

8. التصورات الإجتماعية ونظرية العزو السببي:

هيمنت *نظرية العزو السببي (la théorie de l'attribution causale)* على علم النفس الإجتماعي الأمريكي، وضمت العديد من المقاربات النظرية التي كانت تهدف جميعها للإجابة عن مجموعة الأسئلة التالية: ما هي المعلومة التي يستعملها الشخص المُدرِك؟، كيف ينظم هذه المعلومات في شكل عزو سببي؟، ما هي الدوافع التي تحثه على هذا العزو؟ والسيرورات المعرفية التي تقف خلف هذا الأخير؟

قدم **هايدر** (1958) نوعين من العزو يلجأ إليهما الشخص العادي أثناء تفسيره للأحداث، حيث تحدث عن سببية داخلية، تعزى فيها أسباب السلوك إلى سمات وقدرة الشخص على القيام بالفعل، وسببية خارجية، تعزى فيها أسباب

السلوك إلى معطيات الوضعية، في حين إهتم **كيلي** (1983) بدراسة الكيفية التي يدرك بها الأشخاص أسباب الأحداث اليومية في محور زمني معين، وبين كيف أن تفسيرات الأزواج المتعلقة بانفصالهم، أو إدراك مرضى القلب لأسباب نوباتهم، ترتب أسباب وآثار هذه الأحداث في تسلسل زمني يربطها مع بعضها البعض (Jodelet, 1989, p. 273-275).

يرتكز الإنطلاق من الأسئلة الأربعة (ماذا؟ متى؟ كيف؟ ولماذا يحدث العزو السببي؟) لدراسة هذا النشاط المعرفي على إعتقاد ساد بأن السيرورات المعرفية عالمية (Taylor et Fiske, 1981)، حيث تحدث **كريغلونسكي Kruglanski*** (1979) عن نظرية أولية (une théorie unitaire) يمكن أن تدور حول سيرورة إكتساب المعرفة، على إعتبار أن هذه السيرورة غير متغيرة بتغير المحتويات المعرفية التي يحملها الشخص. فهذا الإعتقاد في قوانين مشتركة (عالمية) تحكم معالجة الأفراد المعرفية للعناصر والأحداث التي تميز حياتهم اليومية، ساعد على إغفال السؤال حول أصل العزو السببي (من أين يأتي؟) الذي يمكن أن يوسع نظرية العزو السببي التقليدية (Jodelet, 1989, p. 286-290).

أقر **موسكوفيسي** (1981) بأن «التصورات الإجتماعية تشير إلى مجموعة من المفاهيم، والمُعلنات des énoncés والتفسيرات التي تأتي من الحياة اليومية، ...»، وقبل ذلك إعتبر **فوكوني Fauconnet**** (1928) و**هايدر** (1944) فيما بعد بأن عزو المسؤولية (l'attribution de la responsabilité) فعل إجتماعي، أي أن نظام التصورات الجماعية المرتبط بالمواضيع والأحداث والأشخاص المتواجدين في وضعية ما يؤثر على السيرورة التي يعزو من خلالها فرد ما مسؤولية حدوث حدث ما إلى شخص أو عوامل موضوعية. إن هذا الإعتراف بوجود علاقة بين التصورات الإجتماعية والعزو السببي يفيد، برأي الباحثين، في معرفة الطبيعة الإجتماعية للعزو السببي والوظيفة التفسيرية للتصورات الإجتماعية في آن واحد.

بينت العديد من الدراسات وجود نظريات تفسيرية معدة مسبقا وفق منطق وسيرورة خاصة ومتقاسمة بين عدد كبير من الأشخاص، حيث بينت تحليلات **بولياكوف Poliakov***** (1980)، بأن الناس يميلون إلى الإعتقاد بوجود سببية أولية (une causalité élémentaire) (سبب أصلي) تفسر كل المشاكل التي يعانون منها، حيث

* Arie W. Kruglanski (1939-)، بسيكو–سوسيولوجي، بولندي الأصل حامل للجنسية الأمريكية.

** Paul Fauconnet (1874-1938)، سوسيولوجي فرنسي.

*** Léon Poliakov (1910-1997)، مؤرخ روسي، أقام أبحاث حول المحرقة Shoah.

تستمر هذه «السببية الشيطانية une causalité diabolique» لأجيال، وتغدي الإعتقاد بوجود مؤامرة عالمية كان منفذوها في وقت ما اليسوعيون، أو الماركسيون، أو اليهود، أو ينفذها الإرهابيون كما هو الحال في عصرنا هذا (Jodelet, 1989, pp. 273 274 282).

كما هو الشأن بالنسبة للتفسيرات العلمية، تخضع تفسيرات «الرجل المشترك l'homme commun» لمنطق معين، حيث بين **فانديش Windisch** (1982) بعض النماذج الفكرية السببية التي يمكن أن يستعملها هذا الرجل وهي:

أ) **السببية المجزئة la causalité segmenté:** حيث يقدم الرجل المشترك تفسيرا دون أن يكون هناك خيط يبين تسلسل الأحداث.

ب) **الدائرية:** يدور الخطاب في دائرة.

ت) **سببيات معدية des causalité contingentes:** يربط الرجل المفسر بين الظواهر التي تظهر بشكل متزامن في النسيج الإجتماعي أو في تفكيره.

ث) **تفسيرات متعددة:** يتم إستعمال العديد من العوامل السببية لتفسير أقل من ظاهرة إجتماعية ممكنة.

ج) **تشبع سببي une sursaturation causale:** تفسر كل الظواهر الإجتماعية بعدد قليل من الأسباب.

بين **فانديش** كيف أن هذه النماذج الفكرية السببية تتفاعل مع محتوى الخطابات وتشكل باراديغمات (des paradigmes) تفسيرية، وكشف عن ثلاثة منها عندما حلل الخطابات الخائفة من الأجانب (des discours xénophobes) والخطابات المضادة لها (des discours anti-xénophobes) :

1. **الإنحراف la déviance:** يرجع الناس العاديون المشاكل التي يعاني منها مجتمعهم إلى إنحرافات في سلوكات بعض الأفراد عن المعايير الإجتماعية، حيث يمكن أن يكون هؤلاء الأفراد أرباب عمل أنانيون، أو مهاجرون وافدون معتبرين خائنين لشعوبهم، أو يقومون بممارسات متباينة عن معايير المجتمع السويسري.
2. **المادية le matérialisme:** يختلف هذا الباراديغم (le paradigme) عن باراديغم الإنحراف في كونه قريب من الباراديغمات التي يستعملها التفكير العلمي، حيث يقوم الفرد بتحليل للأسباب التي يمكن أن تقف وراء حدوث الظاهرة.

3. **اللاتحديد l'indétermination:** لا يُكوِن الأفراد وفق هذا البارادیغم تفسيرات شخصية بل يتبنون أو يقدمون آراءهم باسم الجماعة، من خلال إستعمال ضمائر الغائب: on، ça، ils، حيث تكون البنية الإجتماعية حاضرة أكثر من القدرات الشخصية للفعل، كما يعطي هؤلاء الأفراد دورا أكبر للقدرية (la fatalité)، ويعترفون بعدم قدرتهم، فيتمتعون نتيجة لذلك بغياب المسؤولية عن الجميع (Roussiau & Bonardi, 1999, p. 50).

تخضع هذه النماذج التفسيرية لمنطق تبسيطي إذن، فالناس يستعملونها للإقتصاد في الجهد والوقت الذي يبدله العالم عادة من أجل تفسير مختلف الظواهر، ولمحدودية قدراتهم أيضا، فحتى وسائل الإعلام يمكن أن تلجأ لمثل هذه النماذج؛ ففي دراسة قام بها كل من **بوتر Potter** و **ليتون Litton** (1985) حول التفسيرات التي يقدمها التلفزيون، الإذاعة، الصحافة المكتوبة حول أعمال الشغب، إستطاعا الكشف عن وجود تفسيرات معدة مسبقا، محدودة في العدد، ومتقاسمة بين وسائل الإعلام هذه، كأن يرجعوا أسباب أعمال العنف إلى العرق، أو إلى تساهل أو تضييق الحكومة، فيعتبر عنصر ما سببا للظاهرة (أعمال العنف في هذه الحالة) عندما يظهر كإختلاف في خلفية.

لا تقوم العناصر السببية المنبثقة عن السلوك الإجتماعي بنفس الدور في حدوث ظاهرة ما، حيث يؤكد **أنطاكي Antaki** (1986) بأنه عادة ما يقدم الناس العاديون مجموعة من الأسباب كتفسير لحدث ما، ويبين كيف أن بعض هذه الأسباب يمكن إعتبارها أسباب أولية يمكن تقسيمها إلى أسباب أكثر تحديدا، ففيما يخص البطالة مثلا، تعتبر التغيرات التي طرأت على نماذج التجارة العالمية سببا أوليا، في حين تعتبر القناعات الإقتصادية للحزب الذي يتولى السلطة سببا أكثر تحديدا (Jodelet, 1989, p. 275-278).

تساعد دراسة التصورات الإجتماعية على فهم أكبر للسيرورات المعرفية التي تتدخل في إنتاج "التفسيرات السببية العادية"، فالأفراد يقدمون خلال إعدادهم لتصوراتهم حول موضوع ما تفسيراتهم الإجتماعية لهذا الموضوع، بعبارة أخرى، يمكن للتصورات الإجتماعية أن تكشف عن الأصل الإجتماعي المحتمل للتفسيرات السببية التي يقيمها الأفراد "العاديون"، إن هذه الفكرة ليست جديدة، فبالنسبة لـ **موسكوفيسي** (1981) نحن «نشعر بأننا مطالبون بإيجاد تفسير عندما لا يتطابق شيء أو شخص (ما) مع تصوراتنا» (Jodelet, 1989, p. 278)، فمختلف الأسباب التي يمكن أن نحصل عليها كتفسير لحدوث ظاهرة ما، ترشح وتصنف بحيث تعتبر التفسيرات التي لا تتطابق مع تصوراتنا أقل واقعية (حقيقية) من تلك التي تتطابق مع هذه الأخيرة.

يرجع إهتمامنا بالدراسات المقامة حول العلاقة بين التصورات الإجتماعية والعزو السببي إلى غنى الأدوات النظرية التي يمكن أن يوفرها هذا التوجه لدراسة مثل التي نقوم بها، فعندما نعترف بوجود تفسيرات سببية جماعية متوارثة معناه التسليم بتأثير هذه الأخيرة (خلال سيرورة ترسيخ محتويات التصور) في تنظيم وعمل التصورات التي نقيمها حول موضوع ما. في المقابل يمكن لتبني التقسيم "الكلاسيكي" لتفسيرات تعزوا حدوث الشيء لأسباب شخصية (داخلية) وأخرى تعزوه لأسباب وضعياتية (خارجية)، أن يكون مفيدا هو الآخر، فهو يدعوا إلى التساؤل حول الدور الذي يمكن أن يلعبه نمط التفسير الذي يتبعه الشخص المُتصور في تحديد محتوى وتنظيم عناصر تصوره لموضوع ما. إن الإهتمام بالعلاقة بين التصور الإجتماعي والعزو للسببي لمختلف الظواهر مفيد جدا بالنسبة لدراستنا، حيث نعتقد بأن التاريخ السوسيو–إقتصادو–إجتماعي للمجتمع الجزائري قد خلق أنماط تفسير جماعية توظف لمفهمة العناصر المكونة للحياة اليومية للأفراد، وأن نفس هذه الأنماط ستكون حاضرة في تصور الشباب للهجرة السرية، وكفيلة بإعطاء معنى لموقف الشباب من هذه الظاهرة، ولكننا نعتقد أيضا بأن عزو الشباب لأسباب هذه الظاهرة سيؤثر على تصورهم لها ولبقية الظواهر المرتبطة بها.

9. التصورات الإجتماعية والممارسات (السلوكات):

تسير الدراسات التي تهتم بالعلاقة بين التصورات الإجتماعية والممارسات في إتجاهين؛ فمنها ما تعطي أسبقية للتصور على الفعل، في حين تعطي دراسات أخرى أهمية للممارسات باعتبارها محددة للتصورات.

يعتبر القسم الأول من الدراسات التصورات الإجتماعية جزءا من بناء معرفي معد مسبقا ومهيمن في مجتمع ما، إلى درجة يفكر معها جميع أفراد هذا المجتمع في إطار عقلية مشتركة (une mentalité commune)، وبما أن هذه العقلية تعطي معان لمختلف العناصر المكونة لمحيط الأفراد المادي والرمزي، وتقيم مختلف السلوكات التي يقومون بها وتعمل على تصنيفها، فهي تصبح فضاء معرفي يعمل في إطاره الأفراد ويعبرون عن مشاعرهم، فتلعب التصورات الإجتماعية في هذا الفضاء دور «نقاط معلمية للفعل، فمحتواها لا يمكن أن لا يعني الشخص، أي أنه لا يمكن فصل المعرفي عن العاطفي» (Jodelet, 1989)، فتواصل الأفراد وسلوكاتهم تجاه بعضهم البعض غير مبني على العناصر الموضوعية للوضعية التي يتواجدون بها فقط ولكن على التصورات التي يقيمونها عن هذه العناصر، فليست سلوكات أفراد جماعة ما هي التي تحدد ردود فعلنا نحوها ولكن التصورات التي أعددناها مسبقا

عن هذه الجماعة وبالتالي التوقعات بشأن سلوكاتها هي التي تحدد ردود الفعل هذه (Jodelet, 1989, p. 183-184).

تلعب التصورات الإجتماعية دور دليل للسلوكات، يوظفه الأفراد من أجل التعامل مع الوضعيات المختلفة، فمجرد تقاسم الأفراد لنفس الأفكار بخصوص كل جوانب محيطهم، سيتيح لهم أرضية مشتركة لتواصلهم اليومي، فالتصورات تتيح للفرد إمكانية وضع سلوك الآخر في إطار معقول ومبرر إجتماعيا، بعبارة أخرى، يتصرف الأشخاص ويتعاملون مع بعضهم البعض بحسب تصوراتهم عن بعضهم البعض، والتقييمات التي تمنحهم إياها هذه التصورات للوضعية الإجتماعية التي يكونون فيها.

يتجه الشق الثاني من الأبحاث إتجاها معاكسا للإتجاه الأول، فبالنسبة للذين يتبنون هذا التوجه، التصورات الإجتماعية ليست «دليل شفرات» يستعمله الأفراد من أجل فك تشفير العناصر المكونة لواقعهم اليومي، أو «خريطة» يوظفونها في توجيه سلوكاتهم وتحديد علاقاتهم مع بقية الأفراد، بل هي إنعكاس للواقع الذي يعيشون فيه والممارسات التي تميزه.

حتى نفهم هذه العلاقة المهيمنة للممارسات الإجتماعية مع التصورات، يجب أن نتمعن في التعريف الذي قدمه **أبريك** (1994) للممارسات: «(هي) أنظمة معقدة من السلوكات المستثمرة إجتماعيا والخاضعة لرهانات محددة إجتماعيا وتاريخيا»، أو تعريف **مولينر** (1998): «مجموعة من السلوكات المنتجة من قبل ومن أجل جماعات إجتماعية» (Roussiau & Bonardi, 1999, p. 102-103)، حتى نعلم أن السلوكات التي نقوم بها في حياتنا اليومية ليست معزولة عن الإطار الإجتماعي الذي تحدث فيه، وبالتالي فإن أي دور محتمل للتصورات الإجتماعية لن يكون سوى إعطاء غطاء معرفي لهذه الممارسات، يكون هو الآخر مشبعا بدلالات إجتماعية وتاريخية، بعبارة أخرى، تقوم التصورات الإجتماعية بوضع الممارسات في منطق عقلاني يبرر هذه الأخيرة، ولعل الشيء الذي يؤكد هذه الأسبقية للممارسات على التصورات الإجتماعية، مجموعة الأبحاث (Guimelli et Jacobi, 1990 ; Guimelli, 1989, 1994) التي أجريت من أجل فهم سيرورة تعديل (تغير) التصورات الإجتماعية، والتي بينت أن الجماعات الإجتماعية التي تضطر في ظروف ما إلى تغيير ممارساتها اليومية، بشكل تصبح معه هذه الممارسات متناقضة مع التصورات التي كونتها هذه الجماعات عن موضوع ما، ما يحتم عليها تعديل تصوراتها لتفادي «عدم الإرتياح المعرفي» الناجم عن عدم التطابق بين التصورات والممارسات المتعلقة بموضوع ما.

يمكن لهذا التعديل الذي يمس التصور الإجتماعي لموضوع ما أن يكون تدريجيا أو عنيفا، ففي الحالة الأولى تتموقع العناصر الجديدة التي جلبتها الممارسات الجديدة في الشيمات المحيطية (les schèmes périphériques) للتصور، حيث تكون هذه العناصر غير فعالة في البداية فتبقى مستقرة في الجهاز المحيطي، ولا تؤثر على النواة المركزية، ولكن بمجرد ظهور الظروف التي تزيد من تكرارها وتنشطها، تمارس هذه العناصر تأثيرا على النواة المركزية وتساهم في التعديل التدريجي للتصور. أما في الحالة الثانية، فتكون الممارسات في تناقض واضح مع التصور، فتظهر شيمات غريبة (des schèmes étranges) تؤدي إلى تحول عنيف في التصور وقطيعة مع الماضي (Jodelet, 1989, p. 231).

إستطاعت الأبحاث التي إهتمت بسيرورة تغير التصورات الإجتماعية الكشف عن وجود شيمات (des schèmes) في حالات مختلفة «متعايشة» مع العناصر المركزية والمحيطية لتصور موضوع ما، ولكنها ليست متوافقة معها بالضرورة، حيث أكد الباحثون وجود:

- **شيمات نائمة des schèmes dormants:** تتواجد هذه الشيمات داخل التصور، ولكنها غير منشطة لقلة الممارسات المتطابقة معها.
- **شيمات موقَظة des schèmes éveillés:** تنشط هذه الشيمات بشكل ضعيف، وتدل على أن العالم الدلالي للفرد غير متعارض مع الممارسات الجديدة، مع ذلك لم تتح الفرصة لهذه الشيمات لتنشط بشكل كاف.
- **شيمات نشيطة des schèmes actives:** أصبحت هذه الشيمات ديناميكية ومنشطة بفعل الممارسات الجديدة.

لفهم ممارسة إجتماعية ما، يؤكد **أبريك** (1994) على ضرورة ربطها بالظروف الإجتماعية، التاريخية والمادية التي تتسجل فيها هذه الممارسة، وطريقة إستيعابها من قبل الفرد أو الجماعة المعنية، والعوامل المعرفية، الرمزية والتصوراتية المصاحبة لها، فحتى تدوم ممارسة إجتماعية ما (حتى ولو كانت مفروضة) يجب أن تدمج في نظام القيم والمعتقدات والمعايير السائدة في مجتمع ما» (Roussiau & Bonardi, 1999, p. 102-103).

تقودنا خطورة سلوك الهجرة السرية إلى التساؤل حول طبيعة العوامل المعرفية والرمزية والتصورات التي يمكن أن تؤطرها، والسيرورة المعرفية التي ينشطها الشباب بحيث يتجنبون التعارض مع نظام القيم والمعتقدات السائدة في المجتمع الجزائري، فاستمرار هذا السلوك كل هذه السنوات (أكثر من 12 سنة) يجعلنا نعتقد بوجود نظام تصوراتي

منظم لدى الشباب ومرسخ في الإطار السوسيو–ثقافي ومشبع بالدلالات السوسيو–تاريخية يستعمل كخلفية لتبرير هذه الممارسة، حيث سنسعى في هذه الدراسة إلى الكشف عن هذا النظام كمحاولة لفهم أكبر لهذا السلوك الخطير.

بالإضافة إلى الإهتمام بالخلفية التصوراتية التي تأطر إقدام الشباب على سلوك الهجرة، نعتقد بأنه سيكون من المفيد الكشف عن تعديل محتمل للتصورات المرتبطة بالهجرة السرية عند الشباب الذين أقدموا على هذه المغامرة، وذلك من خلال مقارنة تصورات هؤلاء مع تصورات من لم يقدموا على هذا الفعل.

10. الهجرة السرية كموضوع للتصور:

أهدف من إثارة عنوان مثل «الهجرة السرية كموضوع للتصور» إلى الإستجابة إلى دعوات المختصين في حقل التصورات الإجتماعية بضرورة إخضاع مواضيع التصورات المختلفة إلى معايير تثبت أن هذه الأخيرة قد قادت فعلا إلى إعداد ظاهرة تصوراتية، وأن الجماعات المدروسة جماعات في علاقة وثيقة مع هذا الموضوع، فمنذ نشر العمل المؤسس لـ **موسكوفيسي** سنة 1961، وضع العديد من الباحثين (مولينر 1993، قيميلي 1994، روكاث وراطو 1998، ...) معايير تبين إمكانية أن يصبح موضوع ما موضوعا للتصور، كما بينوا مجموعة من المعطيات التي تجعل جماعة ما في علاقة وطيدة – أكثر من غيرها– مع موضوع تصور ما.

قامت **فرنسواز ماريوتي Françoise Mariotti** في مقال بعنوان: *هل كل المواضيع الإجتماعية مواضيع للتصورات الإجتماعية؟* بتقديم حصيلة لمجموعة الأعمال والمقترحات التي قدمها الباحثون الذين سبقوها كإجابات عن هذا السؤال الجوهري، وحاولت تطبيقها على موضوعين محتملين للتصورات الإجتماعية هما: *العلم والمهن العلمية*، وقدمت بعض الإضافات والتعاريف العملية لهذه المعايير بشكل يسهل المهمة على أي باحث منشغل بمدى أحقية موضوع دراسته ليكون موضوعا للتصور الإجتماعي.

سأرتكز، إذن، في تحليلي الموالي على هذا المقال، وسأحاول إتباع الأسلوب الذي إتبعته **ماريوتي** في محاولتها معرفة ما إذا كان موضوعين مثل *العلم والمهن العلمية* يمكن أن يكونا موضوعين للتصور، وذلك بالإرتكاز على المعايير التي وضعها الباحثون منذ بداية الإشتغال في حقل التصورات الإجتماعية.

يعتبر **موسكوفيسي** أول من أشار إلى وجود خصائص في موضوع التصور وأخرى لدى الجماعات التي تتصور هذا الموضوع، حيث إعتبر أن تشتت المعلومة (la dispersion de l'information)، البؤرية

(la focalisation)، والحاجة للإستدلال (la pression à l'inférence) شروط ضرورية لظهور تصور إجتماعي لأي موضوع. ولكن قبل شرح هذه الشروط من المفيد الإشارة إلى الإختلاف في طبيعة موضوع «الهجرة السرية» مقارنة بموضوع «التحليل النفسي» الذي تناوله **موسكوفيسي** في دراسته الشهيرة، والذي إستنتج منه هذه الشروط، فالتحليل النفسي نظرية علمية وطريقة علاج، أي أنها محتوى معرفي في المقام الأول، في حين يمكن إعتبار الهجرة السرية «ممارسة إجتماعية» في المقام الأول، فحتى لو كانت **جودلي** (1989) قد أكد أن التصور هو إستحضار شخص ما لموضوع ما، سواء كان هذا الموضوع «شخص، شيء، حدث مادي، نفسي أو إجتماعي، ظاهرة طبيعية، فكرة، نظرية، (كما) يمكن أن يكون واقعي أو متخيل أو أسطوري» (Jodelet, 1989, p. 54)، فإننا نشاطر **ماريوتي** في ما خلصت إليه من أن مجموعة المعايير التي وضعها الباحثون لا تحتل نفس الوزن في كل المواضيع، حيث يمكن أن يكون معيارا ما قويا بالنسبة لموضوع مثل التحليل النفسي مثلا ولا يتمتع بنفس القوة في موضوع كالهجرة السرية، لذلك ستكون التحليلات الموالية مرتكزة على وجهة النظر هذه.

يؤدي موضوع معقد إلى درجة يصعب معها فهمه بشكل مستوفي، إلى تشبث الناس غير المختصين بمعلومات مختزلة ومحرفة وجزئية كنتيجة **لتشتت المعلومات** بشأنه، وما دامت هذه المعلومات تمثل جزءا من الكل، فالناس يتمسكون بالمعلومات التي تفيدهم وتتوافق مع تاريخ وتوجه جماعة الإنتماء، أي أن كل فرد يتمركز (البؤرية) خلال بناءه لتصوره للموضوع حول المعلومات التي تقبلها جماعته، فحتى يجيب موسكوفيسي عن السؤال الممكن طرحه عن السبب الذي يجعل فردا ما (وبالتالي جماعته) يقوم بهذا المجهود من أجل التحكم في محتوى معرفي يفوق قدرته على الإستيعاب، يقول أن مواجهة الجماعات الإجتماعية المختلفة لموضوع ما تجعلها مضطرة لتكوين فكرة عنه (حتى ولو كانت محرفة وجزئية) وذلك لتلبية متطلبات التواصلات الإجتماعية اليومية.

فيما يخص موضوع الهجرة السرية نعتقد بأن التشتت لن يكون في المعلومة (أي في محتوى معرفي) كما هو الشأن مع التحليل النفسي ولكنه سيكون تشتتا للأسباب الواجب تبنيها من أجل تبرير هذا الفعل الجماعي، خصوصا لما نلاحظ كثرة الأسباب التي تعزى لها هذه الظاهرة: أسباب إقتصادية، إجتماعية، شخصية، نفسية، سياسية، أمنية، مشاكل في الهوية الوطنية، ...، وبالتالي فإن تمركز جماعة أو تبنيها لسبب ما سيكون بحسب الموقف من هذا الفعل (الهجرة السرية) أو الذين يقومون به أو المجتمع بأكمله، أما فيما يخص الحاجة للإستدلال فتفرضها خطورة الظاهرة التي تعني كل شرائح المجتمع (الشباب، أسرهم، السلطات العمومية، ...).

إعتبر **موليـنر** هذه الشروط ضرورية ولكنها غير كافية، إذ يمكن حسبه أن تؤدي إلى عدد لا متناهي من التصورات دون أن تنتج سيرورة تصوراتية كاملة، أي أنها ستقتصر على مجموعة من الآراء والإتجاهات.

يعتقد **موليـنر** بأنه «سيكون هناك إعداد تصوراتي عندما يكون هناك – لأسباب بنيوية أو ظرفية (مصادفاتية)– جماعة في مواجهة لموضوع متعدد الأشكال (un objet polymorphe) يمثل التحكم فيه رهانا بالنسبة لهوية هذه الجماعة وتماسكها الإجتماعي، كما يكتسي التحكم فيه (هذا الموضوع) أهمية بالنسبة لفاعلين آخرين في تفاعل مع هذه الجماعة، في غياب نظام أورتودوكسي (un système orthodoxe) يراقب ويعدل تفكير هذه الجماعة» (Mariotti, p. 2)، تختزل هذه الفقرة 5 معايير وضعها هذا الباحث حتى تجعل من الموضوع موضوعا قادرا على بعث سيرورة تصوراتية حقيقية:

- **الموضوع l'objet:** على الموضوع أن يتمتع ببعض الخصائص، كأن يكون متعدد الأشكال، أي موضوع يمكن فهمه بأكثر من صيغة، أو مثيرا للجدل (un objet polémique)، كما إقترح **مارشون Marchand** (2000)، فالموضوع المثير للجدل ينشط مختلف الإستثمارات الإجتماعية للجماعة وبالتالي علاقات التحالف والتعارض الإجتماعية، على عكس المواضيع المعتادة التي تنشط أفكار مسبقة متفق عليها في وسط الجماعة. هناك من الباحثين من تحدث عن موضوع كبير وموضوع صغير، فوحده الموضوع الكبير قادر على تنشيط التفاعلات داخل الجماعات، في حين تحدث كل من **قيميلي** و**ديشوم Deschamps** (2000) عن **الموضوع الحساس l'objet sensible**، بالنسبة لجماعة ما أكثر من غيرها من الجماعات.
- **الرهان l'enjeu:** يمكن للموضوع أن يولد نوعين من الرهان، رهان يهدد هوية الجماعة، حيث يمكن لهذا الموضوع أن يهدد الصورة التي بناها الأفراد عن جماعتهم، أو يكون رهان يهدد تماسك هذه الأخيرة وذلك من خلال المعطيات الجديدة التي يدخلها عليها والتفاعلات والتواصلات التي ينشطها داخلها ومع بقية الجماعات، بعبارة أخرى، يمكن للموضوع الجديد أن يأتي بعناصر جديدة يمكن أن تلغي عناصر كانت أساسا لوحدة الجماعة.
- **الجماعة le groupe:** يجب أن تكون هناك جماعات معنية بهذا الموضوع، أي أن هذا الأخير يمس هوية الجماعة وتماسكها الإجتماعي.
- **الديناميكية الإجتماعية la dynamique sociale:** يجب على الموضوع أن يكون قادرا على تنشيط الجدل والحوار اليومي بين مختلف أفراد وشرائح المجتمع.

- **المرجعية الأورثودكسية l'orthodoxie**: حتى تكون هناك سيرورة تصوراتية حقيقية يشترط ألا تكون هناك مرجعية علمية، مؤسساتية أو إيديولوجية توجه البناء المعرفي للأفراد والجماعات، وتفرض عليهم أنماط تفكير جاهزة.

بقي الآن أن نعرف ما إذا كان موضوع كالهجرة السرية يستجيب لهذه المعايير:

تعتبر الهجرة السرية ظاهرة مثيرة للجدل لأنها إستطاعت أن تنشط الحوارات والتجادبات بين مختلف شرائح المجتمع، فالذي يغذي هذا الجدل هو هذا الوضع المتناقض بين وضعية بلد يتمتع بقدرات مالية وثروات باطنية وبشرية كبيرة وشباب يمثلون شريحة كبيرة منه يقدمون على عمل بهذه الخطورة، حيث زادت وفيات الشباب في عرض البحر أو إعتقالهم في بلدهم أو بلدان الوجهة من حجم هذه الظاهرة، حيث أصبح الحديث عنها شكلا من أشكال التعبير بالنسبة لهؤلاء الشباب وموضوعا مثيرا للقلق بالنسبة لأسرهم وموضوعا للنقاش الإعلامي والسياسي.

تشكل الهجرة السرية رهانا كبيرا بالنسبة للشباب الراغب في القيام بهذه المغامرة، حيث يتوجب عليه القيام بعمل معرفي من أجل التخلص من عدم الإرتياح التي يمكن أن يولدها التفكير في عمل لا توافق عليه الأسرة على الأقل نظرا لخطورته، كما يهدد تماسك الجماعة (ولو على مستوى مجتمعي sociétal) لأنه يمكن أن يهز قيم التضامن ووحدة المصير والإنتماء للوطن التي سادت لمدة طويلة.

بالرغم من أن الهجرة السرية في الجزائر تعود إلى سنوات التسعينات، إلا أن المنحى الجديد الذي إتخذته منذ 2005، بتجرأ الشباب على الهجرة الجماعية باستخدام قوارب صيد مزودة بمحركات، وأجهزة GPS، مخترقين الحدود البحرية الوطنية والأجنبية، ومغامرين بأنفسهم ومتجاهلين لمختلف العواقب التي قد تنجر عن هذه المغامرة، جعل المجتمع الجزائري يدخل في نقاشات وحوارات غذاها قلق العائلات على مصير أبنائها، التي اتخذت الصحافة المكتوبة والسمعية البصرية وسيلة للتعبير عن هذا القلق المتنامي، ما جعل الصحافة تتنافس للتطرق لهذا الموضوع، تضاف إليه حوارات الشباب أنفسهم (في الشارع، في المقهى، في مقاهي الأنترنت، في جدران المدينة،...). ومع ظهور قانون يجرم الهجرة السرية تزايدت هذه الديناميكية الإجتماعية لتصبح من بين المواضيع المفضلة التي تتناولها الأحزاب السياسية، لتتجاوز هذه الظاهرة مجالها الإنساني والإجتماعي لتصبح ظاهرة يتم التطرق إليها للتعبير عن عدم الرضا عن كل جوانب الحياة في هذا البلد.

فيما يخص المرجعية الأورثودكسية L'orthodoxie، نعتقد بأن هذه المرجعية مرتبطة أكثر بالمحتويات المعرفية، حيث تلعب هذه المرجعيات الدينية أو السياسية، أو أي مرجعية أخرى دور الموجه لنظرة الأفراد الخاضعين لها لموضوع التصور، ففي التحليل النفسي مثلا، حاولت كل من المرجعية الإشتراكية والمرجعية الدينية (المسيحية) توجيه متتبعيها – من خلال وسائل الإعلام (الصحف على وجه التحديد) – في تعاملهم مع هذه النظرية الجديدة، وذلك لأن هذه الأخيرة يمكن أن تهدد الفلسفة الإشتراكية، ما جعل القائمين عليها يقدمون التحليل النفسي كوسيلة تخدم اللبراليين دون الطبقة الكادحة. نفس هذا التهديد شعرت به العقيدة المسيحية (الكاثوليكية) نتيجة للحيز الكبير الذي يحتله الجنس في نظرية **فرويد**، حتى ولو كانت القيمة الكبيرة التي أعطاها هذا الأخير لمراحل النمو الأولى تسير في صالح المرجعية المسيحية وتأكيدها على أهمية التربية. أما فيما يخص موضوع الهجرة السرية فنعتقد أن الأمر مختلف، فنحن لسنا أمام محتوى معرفي، قد يضطر جماعة ما إلى تبني وجهة نظر معينة، ولكننا أمام ممارسة إجتماعية لا يمكن تفسيرها من منظور واحد فقط، فإذا كانت نظرية التحليل النفسي محتوى معرفي أنتج خارج إطار الحياة الإجتماعية من قبل مجموعة تتحكم في أدوات ومعارف تفوق قدرات الناس العاديين على الإستيعاب، وبالتالي تضطرهم إلى وسيط (الصحف الإشتراكية، الصحف المسيحية) من أجل فهم هذا المحتوى المعرفي، فالأمر مختلف مع الهجرة السرية، فهذه الأخيرة ظاهرة إجتماعية تولدت داخل المجتمع، فهي تمس جميع أفراده، ما يجعلهم قادرين على «التنظير» لها بأدواتهم الخاصة، حيث يمكن لتفسيرات وتحليلات المختصين (علماء الإجتماع، علماء النفس، الإقتصاديين، القانونيين،...) أن تغني هذه التنظيرات ولكنها لا تستطيع أن تكون مرجعية أورثودكسية.

يمكننا إذن أن نعتبر المعايير التي تطرقنا لها أعلاه خصائص مرتبطة بموضوع التصور، فإذا كان المشتغلون في ميدان التصورات الإجتماعية مهتمون جدا بهذه المعايير، فهم مهتمون أيضا بمعيار آخر لا يقل أهمية – حسبهم– عن الأول، حيث يشترطون أن تكون الجماعة في علاقة حقيقية مع الموضوع، «فالإتفاق الذي نلاحظه حول عناصر التصور، مرتبط بتناسق الجماعة وموقف الأفراد من الموضوع، فالإتفاق عادة ما يكون جزئي ومتمركز حول بعض العناصر» (Rateau et autres, 2011, p. 3). بالنسبة لجماعات الشباب التي يهدف بحثنا هذا لمعرفة تصورها للهجرة السرية، نحن نعتقد أن تقسيم الشباب إلى شباب أقدم على فعل الهجرة السرية وفشل ولكنه يرغب في إعادة المحاولة، شباب أقدم على فعل الهجرة السرية وفشل ولكنه لا يرغب في إعادة المحاولة، شباب لديه الرغبة في المحاولة ولكنه لم يفعل بعد وشباب ضد هذه المغامرة ولا ينوي القيام بها، تقسيم يهدف لمحاولة معرفة تأثير الممارسات والإتجاهات والعزو السببي للهجرة السرية على تصور هؤلاء الشباب لهذه

الظاهرة. بعبارة أخرى، يمكن لهذه الجماعات أن لا تكون جماعات إجتماعية بالمعنى البسيكو–إجتماعي للكلمة، ولكن هذا لا يمنع أن أفراد هذه الجماعات معنيون بشكل كبير بإعداد تصور لهذه الظاهرة، فالذين حاولوا الهجرة أو يحاولون مجبرين على تبرير سلوكهم هذا من أجل تفادي الدخول في صراع (ولو رمزي) مع مجتمعهم، كما أن الذين لا يساندون هذه الممارسة مجبرون هم الآخرون على تبرير موقفهم، والشيء نفسه بالنسبة لمن يساند هذا الفعل. كل هذه المعطيات تجعلنا نعتقد بأن الشباب على إختلاف تجاربهم وموقفهم من هذه الظاهرة معنيون بشكل كبير بتكوين تصور لهذه الأخيرة.

الفصل الثالث: واقع الهجرة السرية في الجزائر

تمهيد

1. واقع الهجرة الدولية
2. أشكال الهجرة والمهاجرين
3. العوامل المؤدية للهجرة
4. مشكلة الهجرة السرية (الهجرة غير الشرعية)
5. تاريخ هجرة الجزائريين نحو الخارج
6. واقع الهجرة السرية في الجزائر
7. ملمح المهاجرين السريين الجزائريين
8. مسالك المهاجرين السريين الجزائريين
9. الوضع الهجراتي الإقليمي
10. واقع الجزائريين المقيمين في أوروبا
11. إجراءات الدول الأوروبية لمواجهة الهجرة السرية
12. المقيمون السريون في الجزائر

تمهيد:

يؤكد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1948 (المادة 13) ومعه ميثاق الأمم المتحدة للحقوق المدنية والسياسية لسنة 1966 (المادة 12) على أنه بإمكان كل فرد مغادرة بلده أو أي بلد آخر والعودة إليه بكل حرية، مع عائق واحد مرتبط بحماية الأمن الوطني، النظام العام، الصحة أو الأخلاق العامة أو حقوق وحرية أفراد آخرين (Perrin, 2009, p. 26)، كما تعطي المادة 14 من نفس الإعلان لأي شخص الحق في البحث عن ملجأ في بلد أجنبي إذا تعرض للإضطهاد في بلده الأصلي (Musette, 2006, p. 63)، لكن واقع الهجرة الدولية لا يمتثل في أغلب الأحيان إلى هذه القوانين، فحتى لو كان الشطر الأول من هذين الميثاقين يعترف بحق الفرد في التنقل إلى مكان آخر غير الذي ولد فيه من أجل تحقيق مشروع دراسي، مهني، أسري أو لمجرد السياحة واكتشاف عوالم أخرى أو تغيير نمط حياة، فإن الشطر الثاني يمنح ذريعة لدول الإنطلاق أو الوجهة لمنع خروج أو دخول أفراد يودون التمتع بهذا الحق العالمي.

إن إنقسام دول العالم إلى دول متقدمة تكنولوجيا وإقتصاديا وأخرى متخلفة في هذين الميدانين خلق وضعا ثابتا للهجرة الدولية، حيث نتحدث دائما عن هجرة جنوب–شمال، يفرضها، في الكثير من الأحيان، وضع إقتصادي واجتماعي وأمني سيء في دول الإنطلاق (دول إفريقيا، المكسيك وأمريكا اللاتينية، دول جنوب شرق آسيا، الشرق الأوسط)، ورخاء إقتصادي واجتماعي في دول الوجهة (أوروبا، أمريكا الشمالية، أستراليا)، فحتى لو كانت هجرة الأفراد لا تستثني أي بلد إلا أن الهجرة جنوب–شمال تبقى الأكثر دلالة إحصائيا والأكثر حساسية من الناحية الإجتماعية والأمنية والسياسية، ففيما يخص قارة إفريقيا، بينت إحصاءات المنظمة الدولية للهجرة لسنة 2003 أن 64 مليون إفريقي يتواجدون في الخارج، أي 6 % من مجموع سكان القارة (Musette, 2006, p. 19).

تبقى أوروبا الوجهة الرئيسية للمهاجرين من الدول المغاربية سواء كانت هجرتهم قانونية أو سرية (84,4 % من التونسيين بالخارج متواجدون في أوروبا) (Musette, 2006, p. 96)، وهو وضع فرضه موقعها الجغرافي القريب من دول الإتحاد الأوروبي الغنية، حيث تملك الدول الأوروبية المتوسطية لوحده 88 % من الناتج المحلي الخام لمحيط المتوسط (Clochard, 2003, p. 159)، بالإضافة إلى عوامل تاريخية وسياسية وإجتماعية جعلت الهجرة تحتل مكانة مركزية في العلاقات المغاربية الأوروبية، باعتبارها بلدانا مصدرة للمهاجرين ومعبرا لا يمكن لمهاجري دول جنوب الصحراء تفاديه لبلوغ الضفة الشمالية للمتوسط، خصوصا لما يتعلق الأمر بالهجرة السرية التي تنامت في العشرين سنة الأخيرة كنتيجة لسياسات أوروبية متزايدة التشدد إزاء الراغبين في الهجرة إليها.

بالرغم من أن الدول المغاربية تُقدَم عادة ككتلة واحدة معنية بالهجرة (الهجرة السرية على وجه الخصوص) مطلوب منها التعاون مع دول الإتحاد الأوروبي بهذا الشأن، إلا أن هجرة مواطنيها لا تحمل نفس الدلالات، ففي حين تبرر هجرة المغاربة والتونسيين والموريتانيين، ولو بشكل غير رسمي، بفقر هذه الدول من الموارد الطبيعية (البترول، الغاز، المعادن،...) وقلة مواردها المالية، تثير هجرة الليبيين والجزائريين الإستغراب بالنظر لغنى هذين البلدين بالموارد الطبيعية والعائدات المالية من تصدير هذه الأخيرة. إن الوضع الجغرافي عامل مميز أيضا للوضع الهجراتي لهذه الدول، فتونس والمغرب أقرب إلى أوروبا من بقية الدول المغاربية، ما يسهل محاولات مواطنيها الهجرة السرية ويجعل منها دول عبور لمواطنين مغاربة أو من بلدان أخرى (إفريقية أو شرق أوسطية)، ليأتي في الأخير العامل التاريخي، حيث تبقى الوجهة الأولى لمواطني هذه المستعمرات السابقة البلدان المُستعمِرة بالأمس.

سيكون الهدف الرئيسي لهذا الفصل فهم تطور علاقة الجزائريين بالهجرة القانونية أولا والظروف التي ظهرت فيها الهجرة السرية (أو غير القانونية) فيما بعد، ومحاولة رسم ملمح للشاب الجزائري المرشح للقيام بهذا النوع من الهجرة والمسالك والأساليب التي يتبعها لبلوغ هدفه، ثم الكشف، في الأخير، عن الظروف التي تميز إقامة المهاجرين السريين في البلدان الأوروبية وموقف هذه الأخيرة من تواجدهم على ترابها، ولكن قبل ذلك سنقدم عرضا عن واقع الهجرة في العالم ومختلف أشكال هذه الأخيرة والتوجه الذي يأخذه كل شكل.

1. واقع الهجرة الدولية:

بلغ عدد المهاجرين في العالم سنة 2013 حوالي 230 مهاجرا، إذ لم تتوقف هذه الأعداد عن الزيادة طوال الـ 20 سنة الماضية، إحتلت فيها القارة الأوروبية المرتبة الأولى في إستقبال هؤلاء المهاجرين، حيث بلغ عددهم 72 مليون مهاجر، أي 10 % من مجموع سكانها، لكن البلد الأكثر إستقبالا للمهاجرين في العالم يبقى الولايات المتحدة الأمريكية بـ 46 مليون مهاجر، أي 14,5 % من مجموع السكان (317 مليون أمريكي) (Gourévitch, 2014, p. 21)

بالرغم من أن الحكومات الحالية تقدم الهجرة بمختلف أشكالها على أنها مشكل يجب التعاون لحله، وذلك لدواع إقتصادية، أمنية أو سياسية، تعتبر هجرة الأفراد أو الجماعات عبر العصور من ثوابت الحضارة، فالمهاجرون يغامرون بتخطي الحواجز الجغرافية والإثنية والدينية من أجل تحسين وضعهم وتغيير نمط حياتهم، فيساهمون، مع مرور الزمن، في تغيير التركيبة الجينية والثقافية للمجتمعات التي يقصدونها وتحسين الوضع الإقتصادي لهذه المجتمعات ومجتمعاتهم الأصلية (Straehle, 2009, p. 87)، فالهجمات الإعلامية التي تقدم المهاجرين على

أنهم خطر على المجتمعات الغربية، تستجيب لمتطلبات سياسية وانتخابية محلية في أغلب الأحيان وتتجاهل الإحصاءات الحقيقية بهذا الشأن، فحتى سنة 2007، قدر عدد المهاجرين في العالم بحوالي 200 مليون شخص، أي 3,1 % من سكان العالم، وهي نسبة ثابتة خلال القرن الأخير، فمراحل الهجرة الكبيرة التي تصاحب عادة بزخم إعلامي تكون مرحلية وتمس مناطق جغرافية محددة وتكون مؤقتة في الكثير من الحالات (Straehle, 2009, p. 88).

تكمن الدوافع التي تقف وراء التضخيم الإعلامي الذي تمارسه المجتمعات الغربية بشأن قضايا الهجرة في رغبة هذه الأخيرة في إنتقاء هؤلاء المهاجرين، حيث تفضل المهاجرين القادمين من دول متقدمة أخرى (أمريكا الشمالية، أوروبا، أقصى شرق آسيا، أستراليا) أو دول أقل تقدما ولكنها أقرب ثقافيا وحضاريا (دول أوروبا الشرقية)، في حين تشتكي من قدوم الأفارقة، الشرق أوسطيين وسكان جنوب شرق آسيا، وذلك بالرغم من أن هؤلاء يمثلون أقلية بين المهاجرين ما بين القارات، فإذا أخدنا نسبة الأفارقة (بما فيهم المهاجرون من المغرب العربي) في أوروبا، نجد أنه باستثناء **فرنسا، بلجيكا، إيطاليا، الأراضي المنخفضة** لا يندرج المهاجرون الأفارقة المتواجدون بصفة قانونية ضمن الـ 15 جنسية أجنبية الأكثر تواجدا في الإتحاد الأوروبي (Perrin, 2009, p. 20).

تتمثل البلدان الأكثر إستقبالا للاجئين وهي نفسها البلدان المستقبلة للمهاجرين في: المملكة المتحدة، ألمانيا، الولايات المتحدة، فرنسا، كندا، هولندا، بلجيكا، سويسرا، السويد وأستراليا (Straehle, 2009, p. 98)، بالإضافة إلى دول أخرى كانت مصدرة للمهاجرين ثم أصبحت مستقبلة لهم مثل: اليونان، إيطاليا وإسبانيا، ...

تميز هذه البلدان بين مواطنيها الذين يحملون جنسياتها ويتمتعون بالحقوق المدنية والسياسية وآليات الإستهلاك التي توفرها هذه البلدان وبين غير المواطنين (les non-citoyens) الذين ينقسمون بدورهم إلى:

- **المهاجرون–المقيمون المرغوب فيهم (les immigrants convoités):** هم المهاجرون القادمون من بلدان متقدمة منحتهم الكثير من الفرص الفردية، فهم في مثل أو يفوقون مستوى مواطنيها في الجوانب المدنية والكفاءة المهنية ولديهم حظوظ أكبر للاندماج والنجاح في المجتمعات التي إستقبلتهم.
- **المهاجرون–المقيمون الغير مرغوب فيهم كثيرا (les immigrants peu désirables):** يأتي هؤلاء من بلدان منحتهم فرص ضئيلة للتطور الذاتي والإجتماعي، بالإضافة إلى إختلافها الثقافي والحضاري عن البلدان التي يقصدونها، حيث يمكن لهذه الأخيرة أن تقدم فرص فردية كبيرة، لكن البلدان المستقبلة لا تستقبلهم في أغلب الحالات بنفس الحماس الذي يكون لدى هؤلاء المهاجرين (Straehle, 2009, p. 18).

إن هذا التقسيم يكشف عن المنطق السائد في التعامل مع المهاجرين، حيث يثير هؤلاء ردود فعل إعلامية وإجراءات قانونية وسياسية وأمنية رادعة عندما يأتون من دول تعاني من مشاكل إقتصادية وذات ثقافة وعادات إجتماعية مختلفة، في حين يُرحَب بالقادمين من الدول المتقدمة، المنتمون لنفس الثقافة الديمقراطية وذوو التكوين الفني العالي، والذين يندمجون بسرعة في المجتمع، على عكس المهاجرين من دول العالم الثالث الذين يبدؤون حياتهم في أسفل السلم الإجتماعي (Boyd & Vickers 2000)، فلا تتحسن وضعيتهم في الغالب إلا بعد مرور جيلين (Straehle, 2009, p. 20)، لكن هذا المنطق في التعامل مع المهاجرين من دول العالم الثالث لا يتوافق دائما مع مصالح الدول المتقدمة، حيث بين تقرير نشرته هيئة الأمم المتحدة في سنة 2000، حاجة الدول الأوروبية لليد العاملة المهاجرة إليها، وأشار إلى أن أوروبا عليها إذا أرادت ضمان إستقرار حجم شريحة من هم في عمر النشاط (15 – 64 سنة) أن تستقبل 55,6 مليون عامل من هنا إلى سنة 2050، أي حوالي 1,4 مليون مهاجر سنويا، وهو أمر تعيه هذه الدول جيدا، فهذه الأخيرة لا تبحث عن غلق حدودها أو طرد المهاجرين المتواجدين بطريقة غير قانونية على أراضيها بقدر بحثها عن التحكم في توافدهم وإنتقائهم بحيث تضمن إندماجهم السريع في مجتمعاتها بحيث تتجنب تكتلاتهم الإثنية وصعوبة ذوبانهم في المجتمعات التي إستقبلتهم (Perrin, 2009, p. 21).

تحتل دول المغرب العربي (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريطانيا) مكانة مهمة في المعادلة الهجراتية في البحر الأبيض المتوسط، فالبعض منها كانت منخرطة في هجرة اليد العاملة إلى الدول الأوروبية (في سنوات 60 و70 بالخصوص)، كما أنها منطقة عبور للمهاجرين السريين القادمين من جنوب الصحراء وبلد مصدر للمهاجرين أيضا، حيث يقدر عدد المهاجرين القادمين من هذه الدول بـ 5,5 مليون، أي 5 % من مجموع السكان، وهو مقدار عال مقارنة بالمتوسط العالمي الذي يمثل 3,2 %، يتجه أغلبيتهم نحو أوروبا (86 %) والبقية نحو آسيا (6 %) وأمريكا (4 %) (Musette, 2016, pp. 35 37)، ومع زيادة الدول الأوروبية لإجراءاتها المانعة والمبعدة للمهاجرين أصبحت هذه الدول منطقة إنتظار وإقامة لكل القادمين من إفريقيا عبر الصحراء.

2. أشكال الهجرة والمهاجرين:

تتفق كل التعريفات المقدمة للهجرة على إعتبارها تنقلا فرديا أو جماعيا لجزء من جماعة ما من بلد لآخر، لكن هذا التنقل لا يعبر دائما عن واقع واحد، كما لا يعبر عن نفس الفاعلين ولا تترتب عنه نفس النتائج، لذلك تعتبر الهجرة إحدى الظواهر البشرية الأكثر تعقيدا في الزمن الراهن.

تختلف الهجرة بحسب المكان الذي ينتقل إليه المهاجرون، إرادة المهاجر، مساراتها، مدة إستمراريتها، الهدف منها أو حسب وضعيتها القانونية:

أ. تصنيف الهجرة حسب مكان الإنتقال:

هجرة داخلية: بالرغم من أن بعض المؤلفات تسمي تنقل الأفراد أو الجماعات داخل البلد الواحد هجرة داخلية، إلا أن المختصين يشيرون بهذه التسمية إلى الهجرة داخل القارة الواحدة.

هجرة خارجية: هي هجرة فردية أو جماعية إلى قارة أخرى غير القارة الأصلية (Gourévitch, 2014, p. 10).

ب. تصنيف الهجرة حسب إرادة المهاجر:

هجرة إختيارية (إرادية): يقوم بها الفرد رغبة في الإنتقال من بلده الأصلي إلى بلد آخر بحثا عن فرص عمل وظروف حياة أفضل.

هجرة قسرية (إجبارية): هجرة يُدفع الأفراد أو الجماعات فيها إلى الإنتقال من بلدهم الأصلي إلى بلد آخر نتيجة لظروف طارئة (حرب داخلية أو مع دولة أجنبية، كوارث طبيعية، إنتشار وباء، جماعة مضطهدة).

(رزيق المخادمي، 2012، ص 37)

ت. تصنيف الهجرة على أساس مساراتها:

هجرة ثنائية: تكون هذه الهجرة بين دول بينها حدود جغرافية (فرنسا/بلجيكا، فرنسا/إيطاليا، سويسرا/إيطاليا، المكسيك/الولايات المتحدة) أو تتكلم نفس اللغة (فرنسا/بلجيكا، إيرلندا/المملكة المتحدة) أو بينها علاقات تاريخية معينة (فرنسا/مستعمراتها في إفريقيا، المملكة المتحدة/الهند وباكستان).

هجرة شبكية: تبدأ هذه الهجرة بوجهة محددة، لكن المهاجر قد يقرر التوجه نحو بلد آخر، مجاور أو بعيد، حيث يحدد قراره هذا ظروف إقامته في البلد الذي يتواجد فيه (زيادة البطالة، سياسة متشددة تجاه المهاجرين) وفرص

تحسينها في البلد الذي يتجه إليه (فرص سياسية وإقتصادية)، فإذا رسمنا مسارات هذا المهاجر نحصل على شبكة من التنقلات (Gourévitch, 2014, p. 24-25).

ث. تصنيف الهجرة على أساس إستمراريتها:

هجرة دائمة: حيث يهاجر الأفراد أو الجماعات نحو دول الوجهة بنية الإستقرار النهائي فيها.

هجرة مؤقتة: يكون مشروع الهجرة مؤقتا منذ البداية، كالهجرة من أجل التحصيل العلمي، العمل المؤقت من أجل تحسين الظروف الإقتصادية، العلاج أو ظروف سياسية في البلد الأصلي.

ج. تصنيف حسب الوضع الإقتصادي لبلد الوجهة:

الهجرة جنوب–شمال: تتضمن هجرة الأفراد أو الجماعات من بلدان العالم الثالث المتخلفة إلى الدول المتقدمة، حيث يكون الهدف الرئيسي تحسين الوضع المعيشي.

الهجرة جنوب–جنوب: تكون هجرة الأفراد في هذه الحالة نتيجة لإختلاف الوضع الإقتصادي من بلد عالم–ثالثي لآخر، حيث يمكن لبلد مجاور أن يقدم فرص عمل وظروف حياة أو نظام سياسي وإقتصادي أفضل، كما يمكن لبلد متخلف يقوم بمشاريع تنموية أن يجدب الكفاءات من البلدان المجاورة (رزيق المخادمي، 2012، ص 37).

ح. تصنيف الهجرة حسب الهدف منها:

الهجرة من أجل العمل (الهجرة الإقتصادية): تكون الهجرة في هذه الحالة مدفوعة ببحث المهاجر عن منصب عمل لم يحصل عليه في بلده أو لا يمكن أن ينال منه نفس الأجر، كما تتخذ عدة أشكال، كهجرة اليد العاملة الدائمة أو الموسمية (كما هو الشأن بين فرنسا والجزائر في سنوات 60–70، المغرب وإسبانيا حاليا)، هجرة العمال نتيجة إستثمار مؤسستهم في بلد آخر، هجرة الكفاءات.

الهجرة الدراسية: يقوم بها الطلبة الباحثون عن مستوى علمي أفضل في جامعات في دول متطورة* من أجل الحصول على دبلوم وكفاءة تزيد من حظوظهم في الحصول على منصب عمل جيد في بلدانهم الأصلية، لكن هناك من تكون هجرته هذه مرحلة من مشروع هجراتي دائم.

* قدرت منظمة اليونسكو عدد الطلبة الأجانب في العالم بـ 3600000، أما الدول الأكثر إستقبالا لهؤلاء فهي: و م أ، المملكة المتحدة، فرنسا، ألمانيا.

الهجرة العائلية: يحدث هذا النوع من الهجرة عندما يقرر المهاجر من أجل العمل جلب بقية أفراد عائلته في إطار آلية «التجميع العائلي le regroupement familiale».

الهجرة الطبية: يقوم بها من يبحثون عن العلاج في بلد يتكفل بجزء من تكاليف العلاج أو يتوفر على مستشفيات مجهزة بشكل جيد وتضمن متابعة طبية حقيقية.

الهجرة السياسية: تحدث هذه الهجرات عادة نتيجة صراعات سياسية أو حروب أهلية داخل البلد الأصلي، تحتم على المهاجر مغادرة بلده وطلب اللجوء إلى بلد آخر أكثر أمنا، حيث تكون الوجهة الأولى بلدا مجاورا لأن اللاجئين يأملون دائما في العودة إلى بلدهم بعد عودة الأمور إلى سابق عهدها ولكنهم يقررون مواصلة الهجرة نحو بلد أبعد أو يستوطنون في البلد الذي يتواجدون على ترابه في حالة إقتناعهم بديمومة الأزمة في البلد الذي غادروه مكرهين (Gourévitch, 2014, p. 38-39).

خ. تصنيف الهجرة حسب وضعها القانوني:

الهجرة الشرعية (القانونية): تتم وفقا للقانون والإجراءات التي تقرها البلدان على الشخص المهاجر منها أو إليها، في ظل الأعراف والقوانين الدولية.

الهجرة غير الشرعية (غير القانونية): تتم هذه الهجرة بصفة غير قانونية دون علم الجهات الرسمية المختصة بمراقبة دخول وخروج الأفراد من التراب الوطني، ويمكن أن تتخذ 3 أشكال:

- مهاجرون يدخلون البلد المستقبل بطريقة قانونية، ويمكثون فيه بعد إنقضاء مدة الإقامة القانونية وهو تصرف يمكن أن يعرضهم للمتابعة وحتى السجن.
- المهاجرون الذين يشتغلون بطريقة غير قانونية خلال الإقامة القانونية المسموح بها.
- المهاجرون الذين يدخلون بطريقة غير قانونية ولا يسوون وضعهم القانوني.

(رزيق المخادمي، 2012، ص 38–39)

إن تعدد أشكال الهجرة هو الذي يفسر في جزء منه تعقيدها، تضاف له الديناميكية التي تصاحب الفعل الهجراتي عادة، حيث يمكن لهجرة دراسية أن تتحول إلى هجرة دائمة أو إقامة غير شرعية، كما يمكن لمن هاجر من أجل العمل أن يسعى لتهجير بقية أفراد عائلته، كما يقرر المهاجر بشكل مؤقت (اللاجئ على وجه الخصوص) البقاء بشكل دائم والقطيعة مع بلده الأصلي. إن تعقيد الظاهرة الهجراتية مرتبط أيضا بطبيعة المهاجر ونواياه التي تقف

خلف مشروعه الهجراتي، فما يصرح به المهاجر عند مغادرته لبلده، أو عند دخوله لبلد أجنبي لا يعكس دائما نيته ولا مساره الهجراتي.

3. العوامل المؤدية للهجرة:

تلخص العوامل المشجعة للهجرة في عوامل الجدب (في البلدان المستقبلة) وعوامل الطرد (في البلدان المصدرة للمهاجرين)، حيث يمكن أن تكون هذه العوامل سياسية–أمنية، دينية، إقتصادية، ديمغرافية أو عوامل مركبة.

تتمثل العوامل السياسية–الأمنية في القرارات والظروف السياسية التي تتخذها بعض الدول في موضوع الهجرة كقانون التجميع العائلي le regroupement familiale الذي سنته فرنسا في سنة 1976 أو الحروب الدولية أو الحروب الداخلية كالتي حصلت في يوغسلافيا السابقة في سنوات 1990، وما هو حاصل في ليبيا منذ 2011 وهجرة الكثير من الليبيين إلى تونس، حيث تنمي الأنظمة المضطهدة للحريات أو غير المستقرة رغبة مواطنيها في مغادرة البلد.

يرتكز بعض المختصين في ميدان الهجرة (Zimmermann 1996, Kutzvinetsa 2003) على «**نظرية الطرد والجدب push-pull theory**» للحديث عن الفروق في أسواق العمل ومستوى الدخل بين البلدان التي يهاجرون منها وتلك التي يهاجرون إليها، خصوصا لما يتعلق الأمر بهجرة الكفاءات، حيث تستقطب البلدان التي تتوفر على فرص وظروف عمل أفضل ومعدل بطالة أقل* العمال من البلدان التي توفر فرصا وظروفا أقل مستوى. (Perrin, 2009, p. 25). لكن يبقى دور الحكومات حاسما في تشجيع الهجرة الإقتصادية من خلال إتفاقيات ثنائية أو دولية كتلك التي حصلت بين بلجيكا وإيطاليا في 23 جوان 1946 والذي أرسلت بموجبه هذه الأخيرة 2000 عامل أسبوعيا إلى بلجيكا، أو تترجم بظروف مالية وضريبية أو قوانين إقتصادية جاذبة لرؤوس الأموال، أو من خلال غض الطرف عن إقامة المهاجرين غير القانونية وحتى تشجيعها رغبة في توسيع السوق غير الرسمية من أجل الحصول على يد عاملة رخيصة وغير متطلبة فيما يخص ظروف العمل، وهكذا توفر البلدان المصنعة هامشا يتيح لمؤسساتها المنافسة في السوق العالمية، كما تتيح القرارات السياسية تخفيف إجراءات عبور البضائع والأموال والأشخاص عبر الحدود تنقلا أسهل للأفراد بين البلدان المختلفة وتسمح للمهاجرين بإرسال الأموال إلى أسرهم في بلدانهم الأصلية، لكن الملفت للإنتباه، هو أن سياسات الدول المستقبلة للمهاجرين يمكن أن تسهل أو

* مقدار البطالة في دول شمال إفريقيا هو 17 % مقابل 10 % في دول جنوب أوروبا (Gourévitch, 2014, p. 22).

تكبح من أعداد القادمين إليها لكن لا يمكنها إيقافها، وكأن الهجرات تخضع "لقانون طبيعي" لخصه عالم الديموغرافيا الفرنسي **ألفريد صوفي Alfred Sauvy** في مقولته: «إما أن ترحل الثروات حيث يوجد البشر وإما أن يرحل البشر حيث توجد الثروات».

يمكن للهجرة أن تكون نتيجة للتعرض للإضطهاد الديني أو السياسي بسبب الإنتماء إلى إثنية، طائفة دينية صغيرة أو ممنوعة، أو حركة معارضة سياسية، وتبدأ الهجرة في هذه الحالة بطلب اللجوء إلى بلد أكثر أمنا في أغلب الأحيان (Gourévitch, 2014, p.100).

يلعب التوزيع الديمغرافي دورا في تحديد طبيعة الهجرات أيضا، فكثيرا ما ينتقل الناس من أماكن مكتظة أصبحت مواردها لا تكفي الجميع أو تعاني من ندرة مناصب العمل بالمعنى الحديث نحو عوالم جديدة غير مأهولة كما كانت الهجرات قديما أو بلدان بموارد كبيرة ومناصب شغل شاغرة وكثافة سكانية قليلة كما هو الشأن في عصرنا الحالي*، فإذا أخدنا مثال الهجرة بين بلدان حوض المتوسط نجد أنها تتجه من بلدان جنوب وشرق المتوسط (PSEM) نحو بلدان شماله، ففي حين عرفت الكتلة الأولى (PSEM) زيادة في عدد السكان بين 1950 و2000 قدرت بـ 150 %، كانت هذه الزيادة لدى الكتلة الثانية 30 % فقط (Clochard, 2003, p. 4).

يمكن أن تكون الرغبة في التكوين (الأولي أو المستمر) عاملا للهجرة أيضا، فحتى التكوين عند بعد يمكن أن يصاحب بتربصات فعلية في البلدان التي ترعاه، كما تبرمج الشركات هجرات دولية لمتعامليها من أجل خلق فروع تسويق، شركات إنتاجية أو إتفاقيات شراكة.

أصبحت التغيرات المناخية تخلق، في بعض الأحيان، أوضاعا لا تتوافق مع معايير نوعية الحياة لدى بعض السكان، كما حدث في مالي الذي دفع الجفاف بسكانه في الشمال إلى الهجرة نحو الجنوب وزاد من عدد المهاجرين نحو أوروبا عبر الصحراء ثم البحر الأبيض المتوسط. لكن يمكن لنفس هذه التغيرات المناخية أن تسهل وصول السكان إلى مناطق كانت متجلدة قبلا وإستغلالها (Dumont, 2006, p. 15-24).

مهما تعددت العوامل التي تقود المهاجر إلى إتخاذ قرار الهجرة، فهي تشترك في كونها سلبية، فالهجرة هي في النهاية خاتمة لمأساة شخصية على حد تعبير **ڤوريفتش Gourévitch**** فلا أحد يغادر بلده وأسرته وأصدقاءه عن طيب خاطر، فبالإضافة إلى هاته العوامل البارزة يمكن لعوامل أخرى أقل شأنا أن تساهم في إتخاذ المهاجر لقرار

* في منتصف 2016 أعلنت مدينة نيوزيلندية إستعدادها لإستقبال مهاجرين، وأكدت بأن من سيتم قبول ملفه سيحصل على بيت وعمل، وأعدت فيديو ترويجي لهذه المدينة التي تعاني نقصا حادا في السكان.

** Jean-Paul Gourévitch: مختص في الهجرات وشؤون إفريقيا.

الهجرة أو الإستقرار بشكل نهائي في بلد الوجهة، ومنها المساعدات الإجتماعية التي تقدمها البلدان المتقدمة للمواطنين أو المهاجرين المتواجدين في وضعية هشة، كما تساهم الروابط وشبكة العلاقات التي يقيمها بعض المهاجرين بين بلدانهم الأصلية وبين بلدان الهجرة في تسهيل هجرة الأقارب وتأقلمهم في هذه الأخيرة.

4. مشكلة الهجرة السرية (الهجرة غير الشرعية):

تعد الهجرة السرية أو غير القانونية نتيجة لتشديد الدول المتقدمة (أو دول الوجهة) لإجراءات الدخول إليها، لدواع أمنية، إقتصادية أو سياسية، حيث أدى فرض الإتحاد الأوروبي لتأشيرة شنغن Schengen سنة 1995 على مواطني 101 دولة أغلبها دول إفريقية إلى وضع عائق أمام تنقلهم القانوني وزيادة الحركات غير المنتظمة (les mouvements irréguliers) (غير المحترمة للقانون) والسرية (المتخفية) وتنويع أشكال تنقلهم (عبر المسالك البرية والبحرية) (Perrin, 2009, p. 22).

إن الحديث عن الهجرة السرية (غير القانونية) يتضمن حالتين متباينتين، تظهران بشكل واضح في التسميات باللغات الأجنبية:

(émigration clandestine/illégale/irrégulière, immigration clandestine/illégale/irrégulière) على عكس التسمية الوحيدة في اللغة العربية (الهجرة السرية/غير القانونية/غير المنتظمة) التي لا تأخذ بعين الإعتبار هذا الفرق في الحالتين:

أ. الهجرة السرية/غير القانونية/غير المنتظمة l'émigration clandestine/illégale/irrégulière:

نقصد بهذه التسمية الكيفية والمسلك الذي يتخذه المهاجرون من أجل بلوغ البلد الذي يقصدونه بهجرتهم، وهو مسلك متخفي وملتف على كل الإجراءات الأمنية والجمركية للبلد الذي ينتمي إليه هؤلاء المهاجرون والبلد الذي يقصدونه، فهناك من المهاجرين من يتسلل إلى سفن الشحن أو المسافرين المتجهة إلى البلد الذي يودون الهجرة إليه، في حين يختار آخرون الهجرة بتأشيرة ثم البقاء بعد إنتهاء مدة صلاحيتها، فبالرغم من كون هذه الطريقة قانونية في البداية إلا أن ما يجعلها مصنفة ضمن الهجرة السرية هو نية المهاجر البقاء بشكل غير قانوني بعد إنتهاء مدة صلاحيتها. أما الشكل الأبرز للهجرة السرية فيبقى ظاهرة الهجرة الجماعية بالقوارب، والتي تعود إلى سنة 1975 في الفيتنام، حين فر حوالي 250000 من سكان الفيتنام الجنوبي بعد سقوط عاصمتهم سايغون Saigon في يد قوات الفيتنام الشمالي الشيوعي، عن طريق آخر المروحيات والطائرات الأمريكية المغادرة وفي قوارب هشة

باتجاه الدول المجاورة (Thuy Co Hoang, 2005, pp. 12 14)، لتصبح تسمية «أناس القوارب –the boat» people التي أطلقت على هؤلاء الفارين الفيتناميين التعبير الذي أستعمل لوصف رحيل Mariel (نسبة لميناء Mariel بكوبا) الذي قام به 125000 كوبيا طردهم نظام فيدال كاسترو سنة 1980 ليتجهوا على متن قوارب نحو ولاية فلوريدا الأمريكية، ويستعمل أحيانا لوصف المهاجرين الأفارقة على متن القوارب باتجاه الشواطئ الأوروبية الجنوبية.

إن المشكل البارز لهذا النوع من الهجرة متمثل في صعوبة التحكم فيها، حيث يغير المهاجرون السريون من مسالكهم وطرق هجرتهم تبعا للإجراءات الأمنية والرقابية التي تتخذها دول الوجهة لمنع دخولهم إلى أراضيها، ففيما يخص الهجرة إفريقيا–أوروبا تزداد محاولات الهجرة السرية جرأة وخطورة منذ بداية التسعينات، أي منذ تعزيز الواقع الأوروبي السياسي والإقتصادي المشترك وخلق آليات لتقنين أعداد القادمين من إفريقيا، حيث يحاول المهاجرون اليوم الولوج إلى البلدان الأوروبية عن طريق المضايق والجزر والمناطق المحصورة والمسالك البحرية الخطرة التي يصعب على السلطات البحرية لهذه الدول التحكم فيها، ما يزيد من أعداد الهالكين في البحر المتوسط، حيث قالت Lydie Virgine في كتابها: «عبور ممنوع! الحراقة في مواجهة حصن أوروبا» أن 15638 مهاجرا (من مختلف الجنسيات) هلكوا على الحدود الأوروبية، 6566 منهم هلكوا في البحر بين عامي 1988 و2010 (Arezki, 2014, p. 32)، أما «أطلس المهاجرين في أوروبا» فيشير إلى أن عدد المهاجرين الهالكين في المتوسط والمياه الإفريقية والأوروبية للمحيط الأطلسي بلغ 9470 مهاجر بين عامي 1988 و2009 (Terray, 2009, p. 14)، لكن هذا الرقم بعيد جدا عن الرقم الحقيقي لكونه مبني على عدد الجثث المنتشلة من البحر وتقديرات المهاجرين الناجين ولا يأخذ القوارب التي فقد جميع راكبيها بالحسبان.

تمس محاولات الهجرة السرية جميع مناطق العالم (الهجرة من دول إفريقيا نحو إيطاليا وإسبانيا واليونان، من المكسيك نحو الولايات المتحدة، من إندونيسيا إلى ماليزيا)، حيث يتعلق الأمر، كما أشرنا له أعلاه، بمهاجرين يقصدون دولا متقدمة أو غنية من أجل تحسين وضعهم، حيث تتحول الهجرة والدخول السري إلى هذه الدول إلى إقامة سرية (une immigration clandestine)، يتأجل معها مشروع المهاجرين فيصبحون مقيمين في مجتمعات متقدمة دون أن يتمكنوا من التمتع بما تقدمه هذه المجتمعات.

ب. الهجرة–الإقامة السرية/غير القانونية/غير المنتظمة:

L'immigration clandestine/ illégale/irrégulière

تشير هذه الحالة إلى وضعية المهاجرين الذي نجحوا في دخول بلد أجنبي معين بشكل سري أو قانوني ولكن إقامتهم غير قانونية لعدم حصولهم أو فقدانهم للوثائق التي تسمح لهم بالعيش بشكل طبيعي (العمل، الدراسة، السكن، التأمين، الزواج،...) في هذا البلد، فتحتم عليهم هذه الوضعية العيش بشكل متخف تجنبا للتعرض للإعتقال وربما الترحيل من جهة، والسعي بشكل دائم لتسوية وضعيتهم (أنظر عنصر واقع الجزائريين المقيمين في أوروبا) من جهة أخرى، حيث تطلق عليهم السلطات الرسمية وكذا وسائل الإعلام وعامة الناس المهاجرون–المقيمون السريون les clandestins أو المهاجرون بدون وثائق (les sans-papiers) أو المهاجرون في وضعية غير نظامية (les migrants en situation irrégulière) إذا أرادت هذه الجهات نعت الوضعية وليس المهاجر.

يصل المهاجرون السريون إلى دول الوجهة بعد المرور بصعوبات والتعرض للكثير من المخاطر، والإقامة في مراكز إحتجاز، فالوصول لوحده إلى هذه البلدان غير كاف، حيث يعيشون، بسبب عدم إمتلاكهم لوثائق الإقامة، هشاشة إجتماعية، فتواجدهم بشكل غير قانوني يفرض عليهم العمل بشكل سري في ظروف صعبة دون أن يتمكنوا من المطالبة بتحسين هذه الظروف، ويسكنون على هامش المدينة في بنى هشة أو بيوت مهجورة أو غير مستغلة، حيث أصبحت وضعيتهم هذه موضوعا للنقاش بين مختلف شرائح المجتمعات الأوروبية، إذ يكفي أن يتسبب بعض هؤلاء المهاجرين السريين في مشكلة ما، بالخصوص في الظروف الإقتصادية الصعبة، حتى يحتدم النقاش بين السياسيين والإعلاميين الرافضين (بشكل معلن أو مخفي) لتواجدهم وبين الفاعلين الجمعويين والمؤيدين لسياسات الإدماج الذين يؤكدون على إرادة هؤلاء المهاجرين في الإندماج وقدرتهم على أن يصبحوا فاعلين في هذه المجتمعات.

بمجرد نجاح المهاجر بشكل سري في بلوغ وجهته، يصبح مستقبله مرهونا بحصوله على وثائق تسمح له بالإقامة القانونية في ذلك البلد، وهنا يبرز واقع آخر مرتبط بهذه الوثائق، فعلاقة المهاجرين بالوثائق ليست واحدة:

- هناك من المهاجرين من لا يملكونها لأن أرباب العمل الذين جلبوهم إلى البلدان التي يعملون فيها صادروا جوازاتهم حتى يسددوا تكلفة نقلهم، فهذا النوع من السلوكات شائع لدى المافيا الآسيوية التي تسير هجرة العمالة من أقصى شرق آسيا والتي يتجه شطر منها إلى دول الخليج العربي الغنية.
- هناك المهاجرون المنحدرون من بلدان لا يمكنها منح وثائق رسمية لمواطنيها بسبب غياب أجهزة الدولة نتيجة للحرب الأهلية (كما حدث في هاييتي، ليبيا، الكونغو الديمقراطية، الصومال، ...) أو لأن الفساد مستفحل في

الهيئات الرسمية فلا يستطيع هؤلاء المهاجرون دفع مبالغ كبيرة كرشا من أجل الحصول على الوثائق المطلوبة (الكاميرون، جمهورية إفريقيا الوسطى).

- هناك المهاجرون الذين لا يجلبون وثائقهم عن قصد أو يتلفونها إستجابة لنصائح منظمات الدفاع عن المهاجرين التي تقنعهم بأنه يصعب ترحيلهم في حالة عدم تمكن سلطات البلد المستقبل من تحديد هويتهم والبلد الذي ينحدرون منه (عادة ما تتبع هذه الطريقة من قبل المهاجرين المغاربيين والقادمين من جنوب الصحراء) (Gourévitch, 2014, p. 16).

تشكل الهجرة السرية مشكلة لدول المصدر ودول الوجهة معا، حيث يشكل الخروج السري (أو غير القانوني) (l'émigration clandestine) من الأولى مشكلا لهذه الأخيرة بسبب خطورة هذا الفعل والضغوطات التي تتلقاها من دول الوجهة، وارتباط هذه الهجرات بشبكات متعددة الجنسيات للهجرة السرية تغري الشباب بترحيلهم إلى دول الإستقبال بمبالغ مالية معتبرة ودون ضمانات، كما تشكل الإقامة السرية في الدول المستقبلة مشكلة لهذه الأخيرة، بالخصوص لما يتعلق الأمر بالوافدين المختلفين إثنو–ثقافيا، الذين يصبحون مواضيع مفضلة للنقاش الإعلامي والسياسي وعرضة لمختلف القوانين وسياسات الإدماج ومختلف الإجراءات الإدارية، حيث يجلب المهاجرون المغاربة ومن جنوب الصحراء الأنظار ويكونون عرضة للإعلام الموجه بالرغم من أنهم يشكلون أقلية بين القادمين إلى البلدان المتواجدة في الحدود الجنوبية لفضاء شنغن (إسبانيا وإيطاليا بالخصوص) (Perrin, 2009, p. 20).

5. تاريخ هجرة الجزائريين نحو الخارج:

1.5. الهجرة إلى تونس والمغرب خلال الإستعمار الفرنسي:

تعود هجرة الجزائريين إلى تونس، خصوصا الذين يسكنون المناطق الشرقية الحدودية، إلى ما قبل 1830، ولكنها إزدادت وتسارعت بعد تقدم سيطرة القوات الفرنسية الإستعمارية على مختلف المناطق الجزائرية بدءا باحتلال مدينة قسنطينة في سنة 1837، يليها إنهاء مقاومة الأمير عبد القادر في سنة 1847 وإلحاق الجزائر بفرنسا بموجب دستور 1848 لتبلغ ذروتها بعد إحتلال الميزاب وورقلة عامي 1853 و1854 ثم السيطرة التامة عليهما سنتي 1872 و1882. حيث ساعد على هذه الهجرة تساهل السلطات التونسية آنذاك مع دخول الجزائريين إلى

أراضيها وحتى تشجيعهم على ذلك عندما منحتهم في سنتي 1868 و1873 قطع أرض زراعية في منطقتي المحمدية وطبرية بالإضافة إلى إعفاءات ضريبية.

إنحدر أغلبية المهاجرين الجزائريين الذين إختاروا تونس مقصدا لهم من مناطق الشرق الجزائري بالخصوص وبعض مناطق الوسط (أم البواقي، واد سوف، ورقلة، تبسة، باتنة، بريكة، بجاية، تيزي وزو، الجزائر العاصمة، المدية) واستقروا في العاصمة تونس، بنزرت، المناطق الحدودية بالشمال والجنوب الغربيين، أما عن عددهم فقد أشار تقرير للقنصل الفرنسي في تونس في شهر أوت 1876 إلى أن عدد الجزائريين قد بلغ حوالي 16600 فرد يعمل جلهم في الزراعة أو فرق الزواوة التابعة للجيش التونسي آنذاك (طرشون وآخرون، 2007، ص260–263).

إحتل الجزائريون المنحدرون من واد سوف مكانة مهمة في الحركة الهجراتية بين تونس والجزائر منذ سنين، حيث كانوا يقصدون المدن التونسية الجنوبية بالخصوص لبيع التمور وجلب ما يحتاجونه من مواد إستهلاكية، لكن هجرتهم أصبحت قسرية بعد الإحتلال الفرنسي، ففي الوقت الذي كانت فيه تونس زاهية بحياتها على الطريقة الشرقية (مقاهي، حمامات، نوادي موسيقية، جمعيات خيرية، جامع الزيتونة، النوادي الفكرية) عانى فيه سكان هذه المنطقة الصحراوية من الضغوطات الإقتصادية والإجتماعية التي فرضها الإستعمار والتي بلغت أوجها مع المرسوم الذي فرض التجنيد الإجباري على شباب المناطق العسكرية (التي تنتمي إليها واد سوف) في سنة 1917 (عزام عوادي، 2014، ص ص 80 116).

قدر الحاكم الفرنسي بمدينة وادي سوف Jean Pigoreau عدد المهاجرين المنحدرين من منطقته في سنة 1955 بحوالي 12000 سوفي (عزام عوادي، 2014، ص 140) أما في تونس العاصمة فقد بلغ عددهم 4350 فردا في سنة 1939 (شويخ وآخرون، 2015، ص 69) حيث كان الكثيرون منهم يعملون لمدة ستة أشهر ثم يعودون إلى منطقتهم خاصة في شهر جني التمور، أما عن مهنهم في تونس فقد كانت في النظافة، تصليح المجاري المائية، العمل في المحلات، سقاية الماء، تفريغ سفن الشحن في الموانئ، كما عمل السوافة في مناجم الفوسفات في: قفصة، الرديف، المتلوي، أم العرائس، المظيلة حيث وصل عددهم إلى 2083 عاملا في سنة 1924 لكن عدد السوافة ومعهم بقية الجزائريين الوافدين على تونس بدأ يتراجع مع تشديد السلطات الفرنسية على تنقلهم ليتوقف مع غلق الحدود التونسية سنة 1955 ما اضطرهم لتغيير وجهتهم نحو فرنسا التي بلغ عدد السوافة الواصلين إليها في السنة الموالية 1500 مهاجر من أجل العمل (شويخ وآخرون، 2015، ص ص 72 76).

لم تكن هجرة الجزائريين إلى المغرب بنفس حجم هجرتهم إلى تونس، بسبب تدهور العلاقات بين الحكومتين في العهد العثماني، حيث كانوا يسافرون إما للدراسة أو التجارة، ولكن أعدادهم إزدادت مع سقوط مدينة الجزائر في

1830، حيث إنحدر النازحون الجزائريون من المدن الغربية للبلاد: تلمسان، معسكر، مستغانم، وهران وبعض مناطق الوسط: البليدة، الجزائر العاصمة أما عن المدن التي قصدوها فهي: وجدة، فاس، طنجة، تطوان، الرباط، سلا (طرشون وآخرون، 2007، ص266–267).

2.5. الهجرة إلى المشرق العربي خلال الإستعمار الفرنسي:

لقد كانت هجرة الجزائريين إبان الحكم العثماني إلى المشرق العربي بهدف الحج (الحجاز) أو الدراسة (الحجاز، جامعة الأزهر، سوريا) أو التجارة (مصر، سوريا، فلسطين) لكن الوضع تغير منذ الإحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، حيث إزداد عدد الفارين من الجزائر بسبب إجراءات المستعمرين:

- الإلغاء التدريجي للملكية الجماعية للأراضي وتقسيم أراضي القبيلة إلى ملكية فردية لتسهيل إستحواذ المستوطنين عليها عن طريق الشراء، الرهن أو الدين.
- إصدار قانون مصادرة الأراضي في عهد بيجو (1845) ثم قانون تحديد الأراضي في عهد الحاكم العام راندون (1851) وكذا قانون 1846 الذي إعتبرت فيه السلطات الفرنسية الإستعمارية عدم زراعة المالك لأرضه سببا كافيا لإنتزاعها منه ووضعها في خدمة المصلحة العامة.
- إصدار قانون سناتوس كانسولت الذي وضعه نابليون الثالث سنة 1863 والذي هدف من خلاله لإضعاف سلطة رؤساء القبائل وإضعاف قبائلهم.
- معاقبة القبائل المشاركة في الثورات الشعبية بنفي أفرادها ومصادرة أراضيها.
- فرض التجنيد الإجباري سنة 1912 والبدء في إحصاء الشباب المؤهلين للخدمة العسكرية.

يضاف إلى هذه الأسباب:

- حث رجال الدين والزوايا الجزائريين على مغادرة البلاد الواقعة تحت حكم المستعمر.
- تشجيع الدولة العثمانية لهجرة الجزائريين إلى المناطق العثمانية في الشام، واستحداث مكتب للهجرة في عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني لإستدعاء المسلمين من الجزائر وتونس وبقية المناطق التي كانت تابعة لها إلى الأراضي العثمانية (طرشون وآخرون، 2007، ص ص 11 149 151 157 184).
- ترويج القولون لإشاعات عن توفير الدولة العثمانية لقطع أرض زراعية ومنحة شهرية لكل أسرة.
- تدهور الحالة الإقتصادية للجزائريين وانتشار المجاعات كما حدث في سنة 1893، والجفاف الذي ضرب الشلف من سنة 1895 إلى 1899.

كانت العائلات الغنية (عائلات رجال الأعمال، التجار الكبار، الملاك) أول من هاجرت إلى دمشق إلى غاية 1856 حيث بدأت تلتحق بها بقية العائلات الأقل مالا وعلما، حيث كانت أهم الهجرات في سنوات: 1888، 1899 (هجرة الجزائريين من تونس إلى لبنان بتشجيع من العثمانيين)، 1890، 1893 (بسبب إنتشار المجاعات)، 1896، 1907، 1911 (هجرة سكان تلمسان بسبب قانون التجنيد الإجباري)، أما عن أهم المناطق التي إنطلقت منها هذه الهجرات فهي: سطيف، دراع الميزان، دلس، سور الغزلان، الجزائر العاصمة، البليدة، المدية، تيارت، الشلف، مستغانم، تلمسان (هلال، 2007، ص ص 18 19 88).

لقد كان خروج الجزائريين في العشريات الأولى التي تلت إحتلال الجزائر بجواز سفر أو رخصة خروج من البلد تمنحها السلطات الفرنسية وسمحت للجزائريين بالسفر إلى لبنان إلى غاية 1888، كما كان الجزائريون يهاجرون بشكل سري بادعاء السفر للحج ثم البقاء في المشرق أو السفر إلى تونس ثم ركوب السفن الإنكليزية أو الفرنسية أو العثمانية التي ضمنت النقل بين موانئ : سكيكدة، تنس، وهران، الجزائر العاصمة، تونس ومالطا وبين مينائي عكا ويافا في فلسطين وبيروت في لبنان (هلال، 2007، ص ص 44 75)، أما في حالات تشديد الرقابة عليهم فهناك من كان يختار المسلك البري بالرغم من صعوبته فيسافر عبر صحراء ليبيا باتجاه مصر ليستقر بها أو يواصل رحلته باتجاه فلسطين أو دمشق.

تبقى الإحصائيات التي قدمت حول أعداد الجزائريين المهاجرين إلى المشرق العربي جزئية وغير دقيقة، حيث إعتمدت السلطات الفرنسية على أعداد المسجلين في قنصلياتها في دمشق وقدمت تقارير من حين لآخر عن ذلك، من بينها ما تحدث عن دخول أكثر من 2500 نسمة إلى دمشق ما بين 1856 و1865، وتحدثت مصادر تاريخية عن بلوغ عدد الجزائريين في مطلع القرن العشرين 20 ألف جزائري، وعن إحصاء 1744 آخرين في مصر في سنة 1870 (هلال، 2007، ص ص 23 166)، لكن من المرجح أن هذه الإحصائيات غير دقيقة بسبب إحصاء الفرنسيين للرحلات الرسمية وغياب هيئة عثمانية رسمية لإحصاء الوافدين إلى المشرق العربي آنذاك.

3.5. الهجرة إلى فرنسا الإستعمارية:

فتح صدور قانون الخدمة العسكرية الإجبارية الذي أصدرته السلطات الفرنسية الإستعمارية في 1912 المجال لجلب الجزائريين إلى فرنسا، حيث بلغ عدد المجندين حوالي 175 ألف جندي أدوا خدمتهم ما بين 1914-1918، أما بخصوص العمال الجزائريين في أوروبا فقد قدرت دراسة رسمية أجريت في سنة 1912 عددهم ما بين 4 و5 آلاف عامل في مجال الأعمال الشاقة في المناجم، مصانع الحديد والحفر، لكن هذا العدد لم يكن مرضيا للسلطات

آنذاك، ما دفعها لإلغاء شرط الحصول على الإذن الذي كان ساري المفعول منذ 1879 وتعويضه بقانوني جوان 1913 وجويلية 1914 لتسهيل الهجرة إلى فرنسا (بلهامل، 2014، ص ص 36 38).

سمحت فرنسا الإستعمارية للجزائريين بالتنقل بحرية بين الجزائر وفرنسا إنطلاقا من سنة 1947، وكان الهدف من وراء هذا القرار إعادة إعمار فرنسا التي خرجت مدمرة بعد الحرب العالمية الثانية، حيث كانت إمكانية الهجرة فرصة الشباب الجزائريين للحصول على عمل وتحسين وضعهم، وهكذا ضمنت سفينة القيروان أنداك الرحلات بين شمال إفريقيا ومرسيليا، فبالرغم من ظروف الإقامة السيئة (في مراقد تحت الأرض، في قبو أحد المواطنين الفرنسيين، في المقاهي، الفنادق، في بيوت قصديرية) وظروف العمل الصعبة، سمحت هجرة العمل هذه للشباب بإكتشاف عوالم أخرى وإرسال المال والعودة إلى أهلهم بحقائب مليئة بأشياء من الدول المصنعة آنذاك.

(Azzoug, 2012, p. 143)

4.5. الهجرة القانونية من أجل العمل:

أدى إنهيار الإمبراطوريات الإستعمارية وفقدانها لمستعمراتها، والخسائر الهائلة في الأرواح خلال الحرب العالمية الثانية، ثم عدم إمكانية جلب العمال من دول أوروبا الشرقية بعد بناء حائط برلين في سنة 1961 فيما بعد، إلى توجه الدول الأوروبية إلى جلب العمالة الرخيصة وغير المتطلبة من دول جنوب المتوسط، من أجل تغطية العجز في اليد العاملة التي أصبحت، بالإضافة إلى نقصها، متطلبة بشأن العطل المهنية ومطالبة بخفض ساعات العمل في الأسبوع (Musette, 2006, p. 43).

فيما بعد ضمنت إتفاقية إيفيان Evian، بطلب من فرنسا، التنقل الحر لرعايا البلدين بعد إستقلال الجزائر سنة 1962، حيث كانت هذه الأخيرة بحاجة إلى اليد العاملة الضرورية للتوسع الإقتصادي الذي بدأته في تلك الفترة، وفي منافسة مع بقية الدول الأوروبية (وبالخصوص ألمانيا) على هذه اليد العاملة، في المقابل، كانت الجزائر الخارجة من حرب تحرير قاسية وشح في الموارد المالية بحاجة إلى ضمان سوق عمل لرعاياها، لكن رغبة الفرنسيين في اليد العاملة الجزائرية لم يكن دون شروط، حيث حددت السلطات الفرنسية أعداد العمال المهاجرين الجزائريين وقامت بإنتقائهم وفق شروط صحية ومهنية، إلى أن إحتجت السلطات الجزائرية على معاملة مواطنيها على الحدود وتفضيل المؤسسات الفرنسية للعمال البرتغاليين والإسبان، ما أدى إلى توقيف العمل بهذه الإتفاقية سنة 1965 (Têtu-Delage, 2009, p. 120).

السنة	عدد العمال المهاجرين
1962-1954	50000 عامل مهاجر
1962	180000 عامل مهاجر
1963	262000 عامل مهاجر
1970	300000 عامل مهاجر

الجدول رقم 01: *جدول يبين تطور عدد العمال المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا منذ الثورة التحريرية الجزائرية إلى سنوات 70* (De la Guérivière, 2005, p. 127)

بعد ثلاث سنوات من ذلك (1968) تم عقد إتفاق آخر تم إلحاقه بإتفاقية Evian، يسمح للجزائريين بالهجرة من أجل العمل في فرنسا ولكنه لا يعطيهم الحق في التنقل داخل التراب الفرنسي، ويعطي الحق لسلطات هذا البلد بمراقبة إقامتهم. فعليا، عملت فرنسا على كبح الإقامة الدائمة للعمال الجزائريين، في حين حاولت الجزائر إعادة إدماج المهاجرين العائدين في سنوات 1970 بمساعدة فرنسا التي اقترحت منحة العودة (la prime de retour)، إلى أن قرر الرئيس هواري بومدين توقيف هجرة الجزائريين سنة 1973 بعد إعتداءات مستهم على التراب الفرنسي، أعقبه قرار السلطات الفرنسية، سنة 1974، إيقاف إقامة العمال المهاجرين وعائلات العمال المستقرين في فرنسا، حيث تم إيقاف الهجرة الإقتصادية في هذه السنة، في حين إستمرت الهجرة العائلية وسفر السواح بين البلدين إلى أن تم فرض التأشيرة بين البلدين سنة 1986 (Têtu-Delage, 2009, p. 121).

لقد كانت الأعمال العدائية ضد الجزائريين وقرار السلطات الفرنسية إيقاف توافد العمال الجزائريين راجعا في جزء كبير منه لإنتهاء ورشة إعادة الإعمار والتوسع الإقتصادي، بالإضافة للصدمة البترولية في سنة 1973* وبالتالي إزدياد معدل البطالة والأزمة الإقتصادية، حيث حاولت في البداية الحصول على تعاون الجانب الجزائري ولكنها تراجعت عن ذلك وإنتهجت سياسة تشجع العودة الإرادية وإعادة الإدماج في سنتي 1981-1982.

يشير **باتريك فيل**** **Patrick Weil** بأن قرار السلطات الفرنسية في سنة 1977 إستهدف الجزائريين بالدرجة الأولى لأنهم كانوا يمثلون الأغلبية بين المهاجرين المغاربة، حيث بلغ عددهم 800000 شخص، فمن بين 690000 شهادة إقامة منحت، كانت 400000 منها صالحة لمدة 10 سنوات، 270000 صالحة لـ 5 سنوات، و20000 لعام واحد، فالوثائق التي تم إعدادها بعد إتفاقية 1968 قدمت في أغلبها سنة 1969 أي أن مدة صلاحيتها تنتهي عام 1979 وهو أمر في صالح السلطات الفرنسية أنداك.

* أوقفت كل من ألمانيا وبلجيكا جلب عمال مهاجرين من بلدان المغرب العربي بعد هذه الصدمة مباشرة.

** باتريك فيل، ولد سنة 1956، مؤرخ فرنسي مختص في مسائل الهجرة والمواطنة.

سمح قانون 1984 بمنح الإقامة لمدة عشر سنوات لضمان إستقرار إقامة الأجانب وتحفيز إندماجهم، ولكنه أقصى التسويات الجماعية وحارب الإقامة غير القانونية (Têtu-Delage, 2009, p. 121-122).

بعيدا عن هذا الوصف الإقتصادي والسياسي المحض لتاريخ هجرة الجزائريين إلى فرنسا قبل وبعد التحرير، قدم السوسيولوجي الجزائري المختص في الهجرة الجزائرية **عبد المالك صياد*** تحليلا سوسيولوجيا للأعمار الثلاثة التي ميزت الهجرة الجزائرية حسبه:

– **العمر الأول (هجرة الأفراد)**، الذي بدأ من حوالي 1871 واستمر إلى غاية الحرب العالمية الثانية، حيث يُعتبَر المهاجر مندوبا عن الجماعة الباقية في البلد الأصلي، أرسل من أجل ضمان بقاءها بما يساهم به من عائدات عمله في بلد الغربة، فتبقى إقامته مرهونة بها كما يتوجب عليه أن يثبت خلال فترات عودته بأنه لم يتخلى عن تراثها وعاداتها.

– **العمر الثاني (تحرر الأفراد)**، بدأ من حدود 1945 واستمر إلى سنة 1962، تميز بتلاشي رقابة الجماعة في البلد الأصلي عن الفرد المهاجر الذي أصبح إهتمامه منصبا على تحقيق ذاته، حيث توكل لفرد باق في البلد الأصلي مهمة تسيير الأموال المرسلة له واستثمارها (بناء منزل، فتح تجارة).

– **العمر الثالث (هجرة العائلات)**، بدأ نسبيا من 1962 فما بعد، حيث سعى العمال المهاجرون الجزائريون في فرنسا إلى جلب عائلاتهم في إطار إجراءات التجميع العائلي ليشكلوا ما يشبه مستعمرات جزائرية في فرنسا.

(بلعباس، 2013، ص ص 27 33).

6. واقع الهجرة السرية في الجزائر:

إن الحديث عن الهجرة السرية أو غير الشرعية (غير القانونية) في الجزائر يتطلب التمييز بين عدة أشكال لهذه الظاهرة؛ حيث يتعلق الأمر بالشباب الجزائريين الذين يحاولون مغادرة التراب الوطني دون اللجوء إلى الإجراءات الإدارية والأمنية التي تفرضها مصالح الدولة الجزائرية بهذا الشأن، فبالإضافة إلى هؤلاء الشباب المهاجرين هناك الفاعلون الذين يؤمنون نقلهم والذين يشكلون مجموعات متفاوتة التنظيم قد تصل إلى مستوى شبكات لتهريب البشر، والذين تحث الإتفاقية رقم 143 (1975) للمنظمة الدولية للعمل على معاقبتهم (بلعباس، 2013، ص 64).

* ولد عبد المالك صياد في بجاية سنة 1933 وتوفي سنة 1998.

يطلق الجزائريون تسمية «الحرڤة» على الهجرة السرية، وتسمية «الحراڤة» على من يقومون بهذه المغامرة، وهي آتية من الفعل «حرق» ولكنها تعني بالضبط تجاوز قانون أو أسلوب عمل متعارف عليه، حيث يمكن للشخص أن يحرق (لا يحترم) طابورا أمام محل أو شباك إدارة عمومية، كما أن «الحراڤة» نعت كان يطلق أيضا على ركاب القطارات والحافلات العمومية الذين يتهربون من دفع تذاكر رحلاتهم، أما اليوم فهو يشير إلى الشباب الذين يحرقون وثائقهم ليصبحوا دون هوية، فلا يمكن تحديد بلدهم الأصلي وماضيهم وبالتالي يصعب على بلدان الوجهة إرجاعهم. لكن الهجرة السرية يشار إليها بـ «الهربة» أيضا؛ أي الهروب والتخفي أو «الهدة»؛ أي إتخاذ موقف غير قابل للتراجع، في حين يشار إلى الهجرة عن طريق التسلل إلى سفن البضائع أو المسافرين بـ «الكالة»*.

بدأت أولى محاولات الشباب الجزائريين للهجرة السرية عن طريق الموانئ مع بداية التسعينات، وكانت تسمى «الكالة»، حيث يتسلل المهاجر أو المجموعة التي لا تتجاوز عادة الثلاثة أفراد إلى سفن المسافرين أو البضائع الراسية في الموانئ الجزائرية الأكثر نشاطا (ميناء عنابة، سكيكدة، الجزائر العاصمة، ...) بعد أشهر من مراقبة الميناء ونظام الحراسة ونشاط السفن بحثا عن ثغرة للتسلل إلى داخله وضمانا لصعود السفينة المطلوبة، حيث يتوجب على المهاجر البقاء لأيام داخل السفينة قبل مغادرتها وأيام أخرى خلال إبحارها، في مغامرة قد تنتهي بالنجاح عند النزول في بلد مناسب (بلد متطور أو غني) أو الفشل (الموت على متن السفينة لسبب ما، إكتشاف أمر المهاجر وترحيله أو إلقاءه في البحر، النزول في بلد فقير غير مرغوب فيه). أما الهجرة السرية باستعمال القوارب فقد بدأت مع سنوات 2000 تحت تسمية «الهدة» التي تعني الخروج غير القانوني وبصورة خاطفة (Slemnia, 2008, p. 89-90)، لتدشن عهدا جديدا للشباب الجزائري وعلاقته مع مجتمعه وسلطاته وبقية بلدان العالم.

إزدادت حدة «الحرڤة» بين عامي 2005 و2008، ففي عام 2007 وصل إلى شواطئ جزيرة سردينيا 1396 جزائريا، وفي إحصائيات قدمتها وزارة التضامن الوطني، بلغ عدد الشباب الذين تم القبض عليهم في عرض البحر المتوسط وبحر إيجة بين عامي 2005 و2006، 2340 فردا، تتراوح أعمارهم ما بين 18 و40 سنة، أما أولئك الذين قضوا في البحر في سنتي 2006 و2007 لوحدهما فقدرت جمعية Fortress Europe عددهم بـ 3949 شخصا (Slemnia, 2008, pp 8 93). أما فيما يخص الجانب الجزائري لوحده فقد تم القبض على 4255 حراق ما بين سنتي 2005 و2008، في حين تم إحصاء 232 وفاة و99 شاب مفقود في نفس الفترة.

* تشير مراجع إلى أن البحرية الجزائرية قدرت نسبة الهجرة بالقوارب بـ 87 % مقابل 13 % للهجرة عن طريق التسلل إلى سفن الشحن أو المسافرين الراسية في الموانئ [فريحة محمد كريم، عوامل الهجرة غير الشرعية بمنطقة العبور الشرقية–حي سيدي سالم–عنابة، في بوسلطان محمد وآخرون، الهجرة غير الشرعية، مخبر: القانون، المجتمع والسلطة، وهران، 2014].

(Mohammedi, 2014, p. 285)

تنطلق رحلات القوارب السرية عادة من الولايات الشرقية الأقرب إلى جزيرة سردينيا والولايات الغربية الأقرب إلى الشواطئ الجنوبية لإسبانيا، حيث تتصدر ولاية عنابة المرتبة الأولى من حيث عدد المهاجرين السريين، تليها ولاية وهران، ثم مستغانم، عين تيموشنت، تلمسان، الشلف، الطارف، جيجل، سكيكدة، والوادي (Mohammedi, 2014, p. 96) ، أما عن الأشهر، فهي تزيد في الفترة الممتدة من شهر ماي إلى شهر أكتوبر.

إن الهجرة السرية في الجزائر تخص أيضا المهاجرين القادمين من جنوب الصحراء والمتجهين إلى أوروبا في الغالب، حيث يمكن أن يمكثوا لمدة في الجزائر في إنتظار مواصلة هجرتهم وقد ينتهي بهم المطاف بالإستقرار في هذا البلد.

تتعدد التفسيرات التي يقدمها المهتمون والباحثون في شؤون الهجرة السرية بخصوص هجرة الشباب الجزائريين بشكل سري، فإن كان سبب إختيارهم لهذا النوع من الهجرة راجعا للحواجز الموضوعة أمام هجرتهم القانونية (العادية)، تبقى أسباب لجوئهم لهذا النوع من الهجرة مثيرة للإهتمام.

تختلف التفسيرات التي يقدمها الباحثون عادة بحسب الحقل الذي يشتغلون فيه والمنظور الذي يتبنوه في معالجة الظاهرة، فهناك من قدم تفسيرا شاملا يمكن أن ينطبق على كل مهاجر سري ومستندا على محددات شخصية الأفراد والدوافع التي تسير سلوكاتهم، حيث يعتقد الباحث **عامر مصباح*** بأن نظرية الحاجات **لأبراهام ماسلو A. Maslow**، التي تفيد بتدرج حاجات الإنسان من: حاجات فيزيولوجية أساسية ضرورية للبحث عن تحقيق حاجات السلامة والأمن، ثم حاجات الإنتماء والحب، ثم حاجات تقدير الذات ، وفي الأخير حاجات تحقيق الذات، يمكن أن تُتخذ إطارا نظريا لتحليل ظاهرة الهجرة السرية، يضاف لها عامل آخر أكثر شمولا مرتبط بتآكل الهوية الوطنية كإحدى النتائج السلبية لواقع العولمة الذي تتجه إليه البلدان المغاربية (مصباح، 2010، ص 61-69).

بنفس الشمولية في التفسير تقريبا، يرجع **سلامنية بن داود**** لجوء الشباب الجزائريين إلى الهجرة بشكل سري إلى تغير القيم الأخلاقية (التسامح، التواضع، إحترام الجار، التمسك بتقاليد الأجداد،...) للجزائريين وإبتعادهم عن الثقافة الإسلامية ما نجم عنه ظهور عادات جديدة كالبحث عن الثراء والتباهي بالماديات. أما **علي بن ساعد***** فيعتقد أن التقهقر السوسيو–إقتصادي يساهم في إستمرار هذه الظاهرة، مع ما يرسخه في نفوس الشباب من أنه لا يمكنهم

* مصباح عامر، أستاذ محاضر بكلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر.

** سلامنية بن داود، كاتب جزائري.

*** بن ساعد علي، أستاذ محاضر بجامعة Provence (فرنسا) وباحث بالمركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي (CNRS) ومعهد الأبحاث في العالم العربي والإسلامي (IREMAM).

تحقيق دواتهم في المجتمع الحالي نتيجة لغياب مشروع مجتمع وتراجع معنى الدولة (Slemnia, 2008, pp. 21-107).

قدم **مهدي لحلو*** مجموعة من العوامل التي تساهم في إتخاذ المهاجرين لقرار الهجرة، فهناك نمط الحياة في أوروبا الذي تزداد جاذبيته بسبب تطور وسائل الإعلام والإتصال التي أصبحت في متناول الشباب من الدول المتخلفة، ولكن رغبتهم في الهجرة إليها إزدادت تعقيدا بسبب تعميم التأشيرة على أغلبية المنحدرين من هذه البلدان.

في المقابل، هناك العوامل المنفرة من البلدان التي ينحدر منها المهاجرون؛ فهناك نقص الموارد الطبيعية، الصراعات والحروب بكل أشكالها، إستفحال اللاأمن، الزيادة الديمغرافية وتفاقم الفقر، العلاقات الصراعية مع السلطة.

يشير لحلو إلى أن الفقر لا يعني وضعا محددا يعيشه الفرد المهاجر بشكل بارز وإنما يتجلى من خلال قلق الشباب من المستقبل، الهشاشة الإجتماعية، بطالة أفراد العائلة، نقص موارد الأولياء، غياب الخدمة العمومية وضعف التكفل الطبي، تدهور نوعية الحياة (تشوه الفضاء الحضاري، الشعور بنقص الحرية، غياب المساحات الخضراء)، بالإضافة إلى صعوبة إستقلالية الشباب التي تكون ناجمة عن وضعية الهشاشة الإجتماعية التي يعيشونها (Lahlou, 2006, pp. 4 7).

أما **سليمان مظهر**** فيضيف إلى عامل جذب المجتمعات المستقبلة والعوائق الموجودة أمام سيرورة الهجرة العادية اللذان ذكرهما **لحلو**، الإستعداد البسيكولوجي للشباب، والذي يظهر في غياب الأمل بسبب العنف الرمزي الذي فرضه وضع المدينة والأحياء الحالي، الذي لا يأخذ بالحسبان خصوصية حياة الشباب، أما غياب أفق للمجتمع الجزائري فيشير هذا الباحث إلى أنه يظهر في رفض هذا المجتمع للأشخاص الذين يمكن أن يحققوا التغيير (Medher, 2008, pp. 47 51).

يعاقب القانون الجزائري رقم 01/09 المؤرخ في 25 فيفري 2009 المتمم والمعدل للأمر 66-156 المؤرخ في 08 جوان 1966 المتضمن قانون العقوبات كل شخص يحاول:

- مغادرة التراب الوطني بطريقة سرية أثناء إجتياز أحد مراكز الحدود البرية أو البحرية أو الجوية، من خلال إنتحال هوية أو إستعمال وثائق مزورة أو وسيلة إحتيالية أخرى للتملص من تقديم الوثائق الرسمية اللازمة أو

* لحلو مهدي، إقتصادي، أستاذ بالمعهد الوطني للإحصاء والإقتصاد التطبيقي (المغرب).

** سليمان مظهر (1944-2016)، بسيكوسوسيولوجي جزائري.

من القيام بالإجراءات التي توجبها القوانين والأنظمة السارية المفعول، سواء كان هذا الشخص جزائريا أو أجنبيا مقيما.

- مغادرة التراب الوطني عبر منافذ أو أماكن غير مراكز الحدود.

بالحبس لمدة تتراوح بين شهرين و6 أشهر وغرامة مالية تتراوح ما بين 20 و60 ألف دينار، أو بإحدى هاتين العقوبتين (قميني، 2016، ص 130-131) وهو القانون الذي أثار ردود أفعال مستنكرة من قبل بعض الأحزاب والحركات الجمعوية التي اعترضت على تجريم الشباب المهاجر واعتبرت الأمر تأزيما لوضعه.

أما فيما يخص شروط خروج وإقامة وتنقل الأجانب في الجزائر، فالقانون الجديد يتجاهل (08-11 لـ 25 جوان 2008) المهاجر غير الشرعي الأجنبي (l'émigré irrégulier étranger) ويعزز العقوبات الجزائية ضد الأشخاص الذين يساعدونه على الدخول أو الخروج غير القانوني من المجال الوطني، حيث تشدد المادة 46 منه على عقوبة السجن من سنتين إلى 5 سنوات وغرامة مالية تتراوح بين 60000 و200000 دينار لكل «**شخص يسهل بشكل مباشر أو غير مباشر دخول أو تنقل أو إقامة أو خروج بشكل غير قانوني لأجنبي في المجال الوطني**»، ويمكن لهذه العقوبة أن تصل إلى حد السجن من 5 إلى 10 سنوات وغرامة مالية من 300000 إلى 600000 دينار في حالة الظروف المشدِدَة (حمل السلاح، إستعمال وسائل النقل، وضع الأجنبي في خطر والمساس بكرامته أو إبعاد قاصر عن أسرته) (Perrin, 2009, p28). في حين يعاقب من يتاجر بالبشر بعقوبة السجن لمدة تتراوح بين 3 و10 سنوات وغرامة مالية تتراوح بين 30 ألفا والمليون دينار جزائري (رزيق المخادمي، 2012، ص 78).

7. ملمح المهاجرين السريين الجزائريين:

يمكننا أن نقسم الشباب بحسب علاقته مع الهجرة السرية إلى أربعة أنماط، حيث يتمثل النمط الأول في الشباب الذي يحلم بالهجرة إلى بلد متقدم ولكنه لا يقوم بأي خطوة في هذا الإتجاه، وينتظر قدوم فرصة تتيح له الهجرة إلى هذا البلد في ظروف قانونية ومريحة، أما النمط الثاني فيحاول الحصول على تأشيرة البلد الذي ينوي الهجرة إليه، فحتى لو كان ينوي البقاء بصفة غير قانونية في هذا البلد بعد إنقضاء مهلة هذه التأشيرة فإنه لا يجرأ على مغادرة الجزائر بشكل غير قانوني، أما النمط الثالث فإنه يختار نتيجة ليأسه من الحصول على التأشيرة أو لقناعته بعدم جدوى المحاولة أن يتجاوز الإجراءات الإدارية والجمركية لتنطبق عليه صفة «**الحراق le grilleur**» الذي "يحرق"

إسمه وتاريخ حياته في الجزائر، ويهاجر دون وثائق بحثا عن بداية جديدة. في الأخير، هناك الطلبة المهاجرون الذين تعتبر هجرتهم مؤقتة لأنه يفترض بهم العودة بعد إنتهاء تكوينهم في الخارج، لكن هذا الوضع تغير، بالنسبة للطلبة الجزائريين على الأقل، فعلى خلاف سنوات 60 و70 أين كانت العودة بديبلوم من بلد متقدم تتيح للشاب العائد الحصول على عمل مؤهل أو منصب مسؤولية ومكانة إجتماعية جيدة، بدأت الأوضاع بالتغير مع مطلع الثمانينات، حيث أصبحت قيمة الطالب المسافر من أجل التكوين في الخارج في حصوله على منصب عمل وبقاءه هناك، ففي دراسة أجريت حول ظروف المعيشة والمشاريع المستقبلية للطلبة المغاربة في منطقة باريس (في سنة 1998) تبين أن 53 % من الطلبة الجزائريين يعودون إلى الجزائر، في حين لا يعود 34 % منهم إلى بلدهم (54 % منهم يبقون في فرنسا/46 % يتجهون لبلد آخر)، أما 13 % فلم تحدد الدراسة مصيرهم. وهكذا تتحول هجرة الشباب شيئا فشيئا من هجرة جامعية (une migration universitaire) إلى هجرة إقتصادية (une migration économique)، حيث أصبح مطلوبا من الطالب أن يصبح مهاجرا تقليديا (un immigré traditionnel) يعمل بالموازاة مع دراسته ويرسل النقود لأهله، يشتري سيارة ويساهم في بناء البيت العائلي في بلده الأصلي مهما كانت التضحيات التي يبدلها لأجل ذلك (رزيق المخادمي، 2012، ص ص 155 160 162).

وضعت الباحثة **ماري ثيراز ثيتو–دولاج*** **Marie Thérèse Têtu-Delage** أربع ملامح أكثر شيوعا للجزائريين المهاجرين أو المقيمين بشكل سري في فرنسا (2009):

- **الأشخاص الفاقدون لمكانتهم الإجتماعية (les déclassés)** بسبب تسريحهم من العمل، لأن مشوار حياتهم تحطم ويصعب عليهم إعادة بناء مشروع حياة جديد، لأنهم يعانون بسبب طلاقهم، إنقسام أسرهم أو رفضها لهم، أو أولئك الذين فقدوا الأمل في الحصول على مكانة إجتماعية لائقة في المجتمع.
- **النساء الباحثات عن الزواج و/أو الإستقلالية** اللواتي تعتقدن بإمكانية تكوين أسرة في نظام إجتماعي لا يضع شروطا للسن ويمنح فرص أكبر للمرأة، أو النساء المطلقات اللواتي ترغبن في التخلص من وصاية الأهل.
- **الأشخاص الذين عادوا بعد سنوات من الهجرة (les revenus du retour)** وأدركوا بعد بعض الوقت بأنهم أخطئوا بقرارهم العودة إلى أرض الوطن.
- **الشباب** الذين لا يملكون عمل أو سكن ولا يمكنهم تكوين أسرة نتيجة لهذا الوضع، والذين لا يمكن لأسرهم مساعدتهم فيبحثون عن المستقبل خارج الوطن، فيستعينون بالأب، الأخ أو الأخت التي تقيم أو أقامت في بلد

* ماري ثيراز ثيتو–دولاج، سوسيولوجية فرنسية.

أوروبي ليعلمهم ويعطيهم المعلومات التي تبسط لهم الحياة بعد نجاحهم في الوصول إلى هذا البلد. (Têtu-Delage, 2009, p. 53).

بالإضافة إلى هذه الفئات يجب الإشارة إلى الشباب أو الأزواج أو الكهول الذين يعيشون حياة مقبولة في بلدهم (شباب عائلاتهم ميسورة، موظفون في وظائف جيدة، أصحاب تجارة وأعمال) ولكنهم يلتحقون بالبلدان الأجنبية رغبة في نمط حياة غير الذي عهدوه في الجزائر، حيث بينت الدراسات التي أجريت في مختلف بلدان المغرب العربي بأن أغلبية الذين يهاجرون بشكل سري هم شباب تتراوح أعمارهم ما بين 17 و35 سنة، العديد منهم تلاميذ أو طلبة توقفوا عن الدراسة؛ فلا يمكن الحديث بشكل جازم عن بطالين لأنهم بالكاد إنفتحوا على الحياة العملية (Lahlou, 2006, p. 7)، كما تجب الإشارة إلى الشباب الذين غادروا البلاد بشكل سري لأنهم متابعون قضائيا (جناية، سرقة، قضية إرهاب،...) حيث تمثل الهجرة بالنسبة لهم مغامرة أقل ضررا من إحتمال السجن.

يقدم السوسيولوجي الجزائري عبد اللاوي 4 جداول تساعد أكثر على تحديد ملمح الشاب الحراق الجزائري:

السن	%
الأقل من 18	2,38
25-18	38,10
30-26	31,75
35-31	19,05
40-36	6,35
أكثر من 40	2,38
المجموع	**100**

الجدول رقم 02: *عمر الحراق*

الحالة المدنية	%
أعزب	89,74
متزوج	8,54
مطلق	0,85
أرمل	0,85
المجموع	**100**

الجدول رقم 03: *الحالة المدنية للحراق*

السن	%
غير متمدرس	1,59
إبتدائي	15,87
متوسط	50,00
ثانوي	23,02
تعليم عالي	6,35
غير محددين	3,37
المجموع	**100**

الجدول رقم 04: *تمدرس الحراق*

الحالة المدنية	%
بدون عمل	78,57
يعمل	19,84
طالب	1,59
المجموع	**100**

الجدول رقم 05: *الوضع المهني للحراق*

إذا ربطنا بين معطيات هذه الجداول يمكننا أن نستخلص أن الحراق شاب يتراوح عمره ما بين 18 و35 سنة، أعزب، بمستوى مدرسي متوسط أو ثانوي وبطال (Mohammedi, 2014, p. 285-287).

حسب حصيلة رسمية نشرتها جريدة LE JEUNE INDEPENDANT حول أعداد المهاجرين السريين بين 2005 و2007، يمكننا إستخلاص بعض الأرقام التي تحدد أكثر ملامح هؤلاء الشباب، حيث بينت الحصيلة أن أغلبية المهاجرين السريين بدون عمل فارون من ظروف صعبة، 6 % أصحاب مهن حرة و2 % طلبة. أما عن إصرارهم على الهجرة، فقد بين سبر آراء أقامته مصالح الأمن مع عينة من 100 حراقة أن 60 % منهم حاولوا الهجرة بطريقة قانونية، 7 % منهم قاموا بالمحاولة للمرة الثانية أو الثالثة و90 % منهم يقومون بالمغامرة للمرة الأولى (Mohammedi, 2014, pp. 94 96).

8. مسالك المهاجرين السريين الجزائريين:

يمكننا إعتماد سنة 2005 للتمييز بين نوعين من الكيفيات والمسالك التي إتبعها الشباب الجزائري للوصول إلى دول الوجهة، فقبل هذه السنة، كان الشباب يحصلون على تأشيرات قانونية ويقصدون البلدان التي منحتهم إياها عن طريق المسالك الجوية أو البحرية، ولكنهم يبقون فيها بعد إنتهاء مدة تواجدهم القانونية، فيختفون عن الأنظار في الأحياء التي تقل فيها تغطية الشرطة أو في الغابات، أو يحصلون على وثائق إقامة مزورة تجنبهم الإعتقال في بعض الأحيان، فيعيشون في حذر إلى أن يسووا وضعهم أو يتم إعتقالهم أو ترحيلهم. من الطرق المتبعة أيضا، التسلل إلى سفن المسافرين أو نقل البضائع الراسية في الموانئ والإختباء فيها (مع القليل من الطعام والماء) حيث ينتظرون الرسو النهائي للسفينة في البلد الذي يقصدونه عندما تكون لديهم معلومات دقيقة حول وجهة السفينة، أو ينزلون خلال رسو هذه الأخيرة في إحدى الموانئ فيبقون في تلك البلدان إذا كانت تستجيب لتطلعاتهم أو يواصلون رحلتهم السرية مشيا أو مختبئين في القطارات أو بمساعدة سائقي المركبات، لكن هؤلاء المهاجرين كثيرا ما يجدون أنفسهم في مدينة ساحلية جزائرية أخرى أو في بلد عربي أو بلد آخر لا يرضي آمالهم.

لا زالت هذه الطرق متبعة إلى اليوم، حيث لا يمل الشباب من طلب الحصول على التأشيرة، في حين لا يكل آخرون عن مراقبة الموانئ واستغلال أدنى فرصة للتسلل إلى السفن الراسية، لكن هذه الكيفيات والمسالك ليست هي الوحيدة لبلوغ أوروبا، فمنذ سنة 2005، أصبح الشباب يبحرون إلى شواطئ أقرب الجزر الإيطالية إلى الشرق الجزائري أو يقصدون الشواطئ الإسبانية من الشواطئ الجزائرية الغربية، مستخدمين قوارب صيد صغيرة مجهزة بمحركات متفاوتة القوة، ومستعينين بأجهزة GPS، بوصلات، صدريات الإنقاذ، والوقود وبعض الطعام، حيث تنتهي رحلاتهم نهايات مأساوية في بعض الأحيان.

إن هذا النوع الجديد من الهجرة يحمل دلالات عميقة مقارنة بالأساليب التقليدية التي ذكرناها أعلاه، حيث ترتكز هذه المحاولات على الجهد الفردي لهؤلاء الشباب، حيث يترجم لجوئهم إلى قوارب صيد وتجهيزها بمعدات (بسيطة في أغلب الأحيان) تحررهم من كل قيد مرتبط بالسلطات المحلية للبلد الأصلي أو بلد الوجهة التي كانت تحدد طريقة وظروف وتوقيت سفرهم، كما أن الهجرة لم تعد محاولات فردية ولكنها مشاريع هجرة جماعية سرية، ما يفرض تحضيرات لوجستية تتطلب اللجوء إلى ممررين (أو شبكات لتمرير المهاجرين) ما يزيد من خطورة هذه المحاولات وإرتباطها بآفات أخرى (تهريب البشر أو الأموال أو المخدرات، الإرهاب).

تتنوع طرق ومسالك الهجرة السرية بحسب الإجراءات التي تتبناها دول الوجهة ودول الإنطلاق بخصوص الهجرة القانونية، فبالنسبة للمهاجرين الجزائريين، كانت هجرتهم منذ الإستقلال إلى بدايات السبعينات هجرة من أجل العمل،

فهم لم يكونوا مجبرين على إتباع طرق ملتوية للسفر إلى أوروبا، أو إلى فرنسا على الأقل، ما دامت هجرتهم القانونية متاحة، لكن مع توقيف هذه الهجرة للأسباب التي تم ذكرها في عنصر سابق، أصبح الراغبون في زيارة أوروبا مجبرين على إتباع إجراءات الحصول على التأشيرة التي إزدادت في الصعوبة مع مرور السنوات، حتى أصبح الشباب يطلبون التأشيرة من أجل أن يتمكنوا من بلوغ بلد الوجهة كمرحلة أولى، تليها مرحلة ثانية تبدأ بإنتهاء مدة صلاحيتها، يعيشون فيها بصفة غير قانونية ويحاولون الحصول على الوثائق باتباع طرق متعددة.

مع نهاية الثمانينات وبداية التسعينات، إزدادت إجراءات الحصول على التأشيرة تعقيدا، حيث بدأت أولى محاولات الهجرة السرية عن طريق التسلل إلى السفن الراسية في الموانئ الممتدة على طول الساحل الجزائري، فبالإضافة إلى بقاء طرق الهجرة هذه (الذهاب بتأشيرة ثم البقاء بعد إنتهاء مدتها أو التسلل إلى السفن) بدأ الشباب في اللجوء إلى إستعمال قوارب هشة في بدايات الألفين، حيث تعتبر الهجرة عبر البحر حلا أخيرا للإلتفاف على مختلف الإجراءات القانونية، الأمنية والجمركية التي تضعها الدول الأوروبية أو المغاربية في كل مرة للتحكم بحركة المهاجرين، لكن هذه المسالك البحرية قابلة للتغير بحسب صعوبة الخروج من بلدان جنوب المتوسط المتخلفة، أو الدخول إلى بلدان شمال المتوسط المتقدمة، كما أن أهميتها تزداد أو تنقص بحسب تشديد الدول الأوروبية لإجراءات مراقبة المياه الإقليمية والشواطئ، وبحسب خطورتها والعوامل المناخية في بعض الأحيان.

هناك خمس مسالك بحرية أو برية–بحرية أو جوية–برية يتبعها المهاجرون السريون الجزائريون هي:

1.8. مسلك عنابة/الطارف ← سردينيا ← إيطاليا:

يُستعمَل هذا المسلك عادة من قبل الشباب الذين ينحدرون من الولايات الشمالية الشرقية إلى غاية الولايات المجاورة للجزائر العاصمة (الطارف، عنابة، قالمة، سوق أهراس، أم البواقي، قسنطينة، سكيكدة، جيجل، ميلة، تيزي وزو، بومرداس، البليدة، الجزائر العاصمة)، لكن نسبة هؤلاء المترشحين للهجرة السرية عبر هذا المسلك تزداد بحسب القرب من ولايتي الإنطلاق (الطارف وعنابة)، حيث يحتل الشباب من هاتين الولايتين النسبة الأكبر متبوعين بالمرشحين المنحدرين من ولاية سكيكدة:

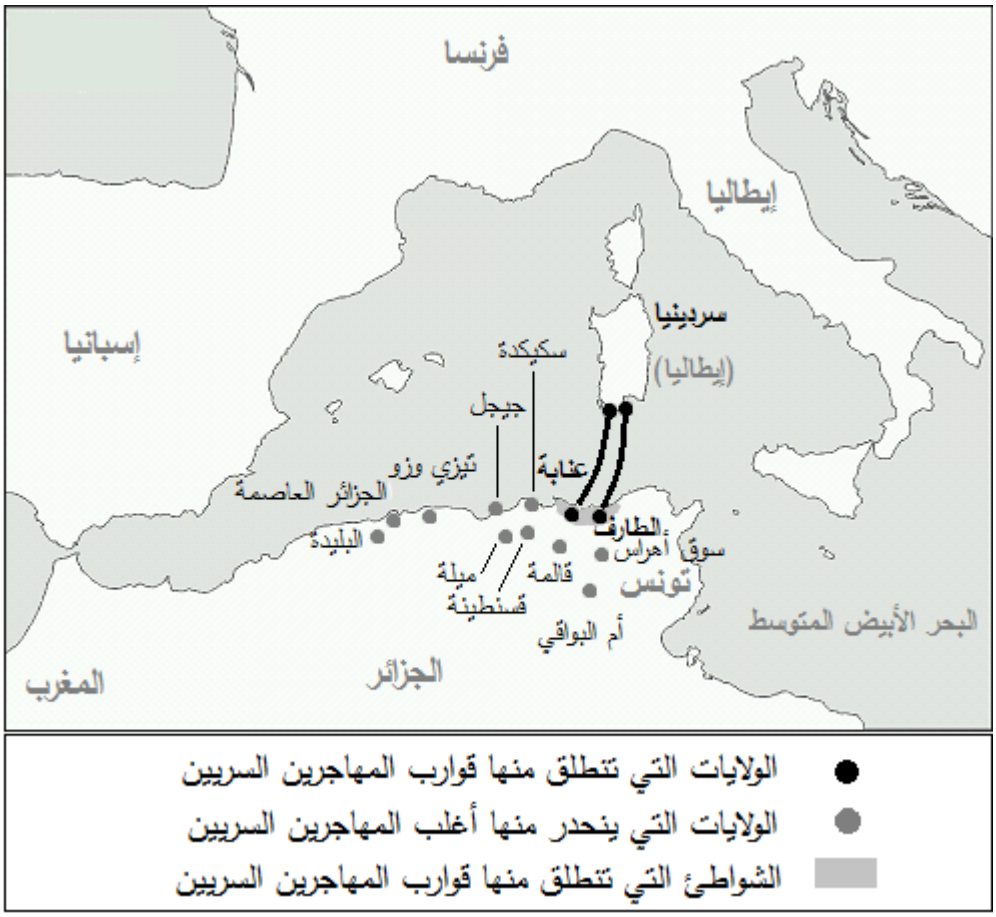

الخريطة رقم 01: *الولايات الشرقية التي ينحدر منها المهاجرون ومسلكهم*

بدأت الحركة عبر هذا المسلك في سنوات 2006، 2007، 2008، حيث نُظِمت الكثير من الرحلات من قبل شباب ساهموا في شراء قوارب صيد متفاوتة الأحجام أو قاموا بسرقتها من ميناء غير محروس، مجهزة بمحركات تتراوح قوتها ما بين 35 و60 حصانا، بأثمان تتراوح ما بين 100000 و500000 دج ، ويؤمنون جهاز GPS والمؤونة والبنزين الكافي لبلوغ الضفة الأخرى، إذ يكفي أن يكون بينهم شخص عارف بكيفية الإبحار (صياد أو بحار). وهكذا إنطلقت العديد من الرحلات التي ينحدر الكثير ممن قاموا بها من حي واحد في ولايتي الطارف وعنابة أو من منطقة قريبة كمدينة عزابة وضواحيها (سكيكدة)، فيما يشبه التنافس والتسابق نحو المغامرة. لكن هذا الأسلوب تغير مع البروز الإعلامي لهذه الظاهرة وتشديد السلطات المعنية الرقابة على الشواطئ والمياه الإقليمية البحرية.

غذَّت أخبار زوارق الشباب التي تتجه بشكل سري نحو أوروبا الحوارات اليومية للجزائريين وبالخصوص الذين ينتمون إلى ولايات الإنطلاق، حيث برزت أحياء تقدم أعدادا كبيرة من المترشحين، فيكفي أن تغادر مجموعة من الحي حتى يدخل هذا الأخير فيما يشبه حالة طوارئ، يغديها بحث أقارب المهاجرين عن أي معلومة تخص مصير أبنائهم من خلال محاولة الإتصال بهم أو إخطار المصالح المعنية وحتى الضغط على هذه الأخيرة للتحرك، ففي

حين يسود الأسى هذه الأحياء قبل وصول الخبر الذي يطمئنهم أو يزيد من حزنهم، يكفي أن يتصل الناجحون في بلوغ الضفة الشمالية حتى يزيد تحمس الباقين للمحاولة وتزيد مخاوف أهلهم من فقدانهم، وهكذا أصبحت الهجرة السرية جزءا من الحياة اليومية لهذه الأحياء، فالشباب يتتبعون بحرص أخبار الرحلات وأسعارها، وهناك إهتمام بأحوال الطقس على الشواطئ الجزائرية والإيطالية، وهناك من الشباب من بدأ في تعلم اللغة الإيطالية، وأصبح المراهقون والأطفال الكبار يهددون أهليهم بالهجرة السرية، وهناك الشباب القادم من الولايات المجاورة كمحطة أولى تسبق الإنطلاق الفعلي نحو الشواطئ الأوروبية الجنوبية.

يأتي هؤلاء الشباب عادة بعد الإتصال بالشخص المنظم للرحلات والذي يسمى "**الحراق**"* لما تكون ولاياتهم قريبة من ولايتي الإنطلاق، وهناك من يأتي إلى إحدى هاتين الولايتين بتوجيه من معارفه بحيث يتصل هناك بمنظم الرحلات الذي يقدم إسما مزيفا، ويوفر القارب بكل ما يلزم للإبحار، كما يوفر قبطانا يهاجر مع المجموعة مقابل 200 أورو وشخص يذهب معه مجانا أو 400 أورو عندما يذهب لوحده، ويتفق معهم على موعد وظروف الإبحار.

يختار المهاجرون السريون عادة، شاطئا معزولا للإنطلاق (الشط [القالة]، شاطئ سيدي سالم [عنابة])، وذلك بعد التأكد من أحوال الطقس من خلال تتبع النشرات الجوية والإطلاع في الأنترنت على وضعية المياه الإقليمية لمدينة عنابة، سردينيا، نيس Nice، لكن لا شيء يضمن بقاء البحر على حاله، فكثيرا ما يروي الشباب بقائهم في عرض البحر لساعات وحتى أيام نتيجة هيجان البحر وإنحرافهم على المسار الصحيح. عدا ذلك تكون القوارب مكتظة في الغالب، حيث يتناوبون على النوم في مقدمة الزورق**، ويمكن لأي طارئ أن يزيد من مخاوف المهاجرين إلى درجة الشجار في بعض الأحيان.

تبدأ مغامرة ركاب القارب بمرحلة أولى متمثلة في إجتياز المياه الإقليمية التي حددها مؤتمر جنيف 1958 حول حقوق الدول المحادية للبحار من 3 إلى 12 ميلا بحريا (1 ميل بحري=1,85 كلم)، ثم المنطقة الملاصقة (la zone contigüe) التي تمتد لـ 12 ميلا إضافية، يمكن للدولة المعنية أن تمارس حقوقها السيادية عليها لتطبيق قوانينها الضريبية، الجمركية، الصحية أو الهجراتية (Clochard, 2003, p. 3). بعد إجتياز هاتين المنطقتين تبدأ المياه الدولية التي يقل خطر القبض على ركاب القوارب فيها من قبل خفر السواحل الجزائرية، ولكن

* تستعمل هذه التسمية للدلالة على الشاب الذي يقدم على الهجرة السرية تارة أو للدلالة على الشخص الذي ينظم رحلات سرية ويفهم المقصود منهما في سياق الحديث.

** يسميها الشباب الحراقة la pointe وهي مثلث في مقدمة الزورق يمكن لثلاثة من الشباب أن يناموا فيه لمدة 20 دقيقة دون أن يرو ما يدور حولهم، ليتركوا المكان بعد هذه المدة لثلاثة آخرين.

خطر الضياع أو الغرق نتيجة لعطب في المحرك أو لتدهور أحوال الطقس يزيد في هذه المياه، حيث يبقى أملهم الوحيد في هذه الحالة طلب الإغاثة من إحدى دوريات فرونتكس* أو سفن البضائع أو الصيد التي تمر بالقرب منهم. أما في حالة مرورهم بسلام فيبقى عليهم إجتياز 24 ميلا بحريا خاضعة للسيادة الإيطالية هذه المرة، حيث يتركون القارب بعيدا عن الشاطئ ويكملون الأمتار المتبقية سباحة أو يسلمون أنفسهم في حالة إكتشاف أمرهم.

على المهاجرين أن يقطعوا حوالي 270 كلم ليصلوا إلى الشواطئ الجنوبية لمدينة سردينيا في مدة زمنية مرهونة بحالة الطقس وبحظ المهاجرين في عدم الحياد عن المسار الصحيح، فإما أن تسوء حالة البحر فتجبر الحراقة على إرسال نداءات إستغاثة (الإستغاثة بدوريات المراقبة الجزائرية أو الأوروبية، الإستنجاد بالصيادين أو سفن الشحن الكبيرة التي تمر بالقرب منهم)، أو تمسكهم السلطات البحرية الإيطالية في عرض البحر أو عند نزولهم على شاطئ الجزيرة أين يتم نقلهم إلى معسكرات إيواء كمرحلة تسبق ترحيلهم إلى الجزائر أو إطلاق سراحهم، أو تبقيهم في قواربهم بعد إقتيادهم إلى الموانئ وتطلب من قبطان القارب العودة بهم من حيث أتوا، في حين يواصل الذين ينجحون في الهبوط على الشاطئ والتسلل إلى أقرب غابة قبل أن يكملوا طريقهم نحو مدينة **كاقلياري**** **Cagliari** من أجل ركوب العبارات التي تأخذهم إلى إيطاليا أين يبدؤون حياتهم الجديدة أو يواصلون هجرتهم السرية، عبر البر هذه المرة بإتجاه بقية الدول الأوروبية.

يتجه أغلب المهاجرين السريين الجزائريين نحو فرنسا لأسباب متعلقة باللغة وتواجد الكثير من الجزائريين هناك، أما الذين يختارون البقاء في إيطاليا فهم ينتشرون في مختلف المدن الإيطالية، حيث تعتبر العاصمة روما الوجهة الأولى للمهاجرين السريين القادمين من مختلف البلدان الإفريقية والآسيوية، تليها: Milan، Turin، Brescia، Padoue، Trévise، Vérone، Bergame، Modène، Florence، Naple.

(Scricciolo, 2006, p. 145)

2.8. مسلك الجزائر ← ليبيا ← لومبيدوزا/سيسيليا/مالطا:

يستعمل المهاجرون السريون الجزائريون هذا المسلك عادة بعد قضاء فترة إقامة من أجل العمل في ليبيا، حيث تعتبر هذه الأخيرة البلد العربي الوحيد الذي كان يهاجر إليه الجزائريون بأعداد معتبرة من أجل العمل، وذلك بسبب غياب عائق التأشيرة وتوفر مناصب العمل في مختلف نواحي الحياة الإقتصادية، فبالرغم من بداية تشديد إجراءات الدخول منذ 2007 إلا أن دخول الجزائريين إلى ليبيا أسهل بكثير من دخولهم أراضي الإتحاد الأوروبي.

* فرونتكس Frontex: الوكالة الأوروبية لتسيير التعاون العملياتي على الحدود الخارجية.
** عاصمة جزيرة سردينيا.

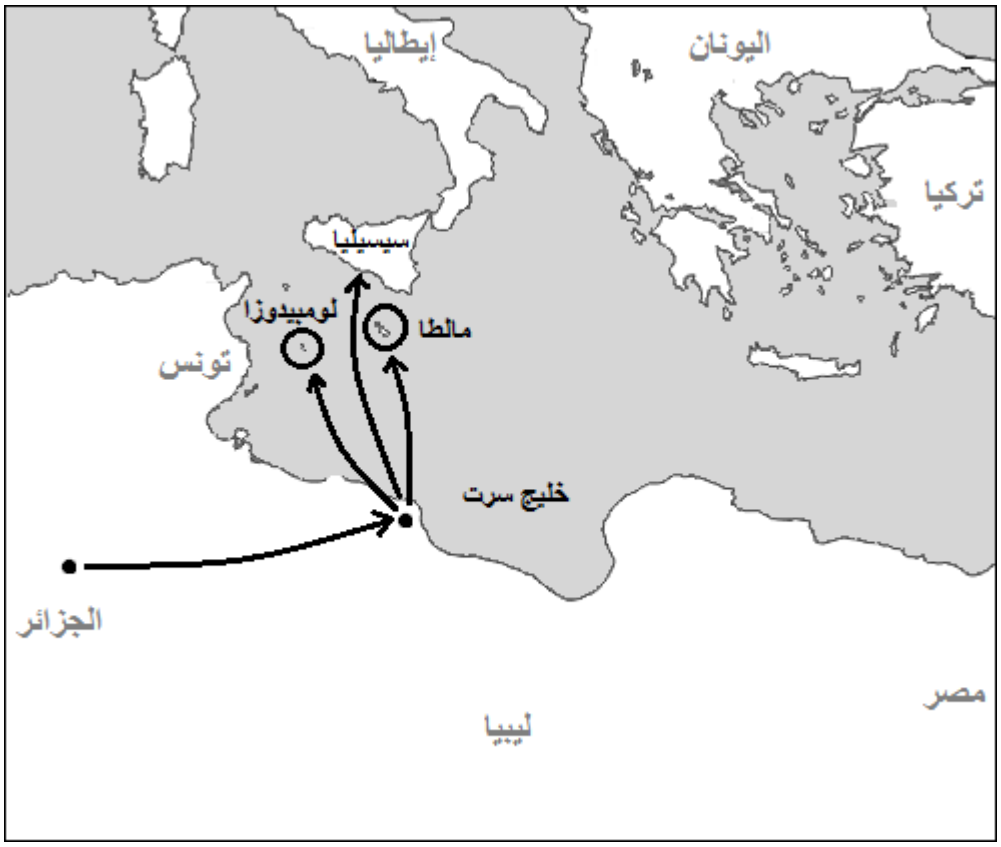

الخريطة رقم 02: *المسلك الذي يتبعه المهاجرون عبر ليبيا*

لقد أستعمل هذا المسلك قبل بداية تحسن علاقات ليبيا بالإتحاد الأوروبي، أي قبل 2008 حيث أتهم النظام الليبي قبل هذا التاريخ بغض الطرف عن عبور المهاجرين السريين القادمين من مختلف البلدان الإفريقية باتجاه أوروبا عبر البحر المتوسط واستعمال الهجرة السرية كوسيلة ضغط هدف من خلالها إلى تطبيع علاقاته مع بلدان الإتحاد الأوروبي المتوقفة بسبب قضية لوكاربي Lockerbie، حيث أصبحت ليبيا منطقة عبور أو منطقة عمل من أجل توفير المال الضروري من أجل مواصلة الهجرة، ومكان إقامة أيضا بالنسبة للأفارقة الذين يرون في هذا البلد بديلا مصغرا لأوروبا.

تنطلق رحلة المهاجرين السريين الأفارقة، بما فيهم المهاجرون من شمال إفريقيا (مهاجرون من: النيجر، السودان، الصومال، الجزائر، المغرب، ...)، على متن زوارق صيد من خليج سرت عادة وتتجه نحو جزيرة مالطا، أو جزيرة لينوزا Linosa التي تبعد حوالي 200 كلم عن الشواطئ الجنوبية لجزيرة سيسيليا (إيطاليا)، أو باتجاه جزيرة لومبيدوزا Lampedusa التي تبعد 113 كلم عن سيسيليا، وتختلف حظوظهم في بلوغ هدفهم في كل مرة، فأحيانا ينجحون في بلوغ هذه الوجهات كمرحلة أولى يسافرون بعدها بشكل سري عبر عبارات تضمن الرحلات بين هذه الجزر وبين التراب الإيطالي أو الأوروبي كما هو الشأن بالنسبة للمهاجرين الذي ينجحون في الوصول إلى مالطا، إذ يستغلون النقل بين موانئها بمدن: Larnaka، Limasso، Marsaxlokk وبين بقية الموانئ الأوروبية

لمواصلة هجرتهم، أو يقعون في قبضة خفر السواحل الأوروبيين بعد عطب في المحرك وطلبهم للنجدة أو نتيجة لوقوعهم في دورية مراقبة في أحيان أخرى فيتم نقلهم إلى مراكز مخصصة لهم في سيسيليا Sicile ولومبيدوزا Lampedusa، أو ينتهي بهم الأمر غرقا أو هلاكا بسبب العطش بعد ضياعهم في البحر المتوسط.

لقد زادت أهمية هذا المسلك بشكل كبير بالنسبة للمهاجرين السريين القادمين من إفريقيا بعد سقوط نظام معمر القذافي وتدهور الوضع الأمني فيما بعد، حيث وجد الكثير ممن كانوا يعملون في ليبيا أنفسهم مضطرين إلى مغادرتها بسبب إتهامهم بالتحالف مع قوات القذافي، ففي حين فر بعضهم باتجاه الدول المجاورة (الجزائر، التشاد) أو إلى بلدانهم الأصلية قرر آخرون عبور المتوسط نحو بلدان أأمن وأغنى، أما الشباب الجزائري فلم يعد هذا المسلك مغريا بالنسبة لهم بعد تدهور الأوضاع في هذا البلد وعودة الكثير منهم إلى الجزائر وغلق الحدود الجزائرية الليبية وتحولها إلى ما يشبه المنطقة العسكرية، تاركين المجال لبقية الأفارقة والقادمين من مناطق صراع مختلفة (العراق، سوريا، إريتريا، السودان، أفغانستان، فلسطين، الصومال، باكستان،...) الذين تملأ أخبار هجرتهم السرية والمآسي التي يعيشونها خلال عبورهم الخطير شاشات التلفزيون العالمية.

3.8. مسلك وهران/مستغانم ← إسبانيا:

يعد هذا المسلك المقابل الغربي لمسلك الطارف/عنابة – سردينيا، فكما هو الشأن بالنسبة لهذا المسلك الشرقي ينحدر أغلب المهاجرين السريين من ولايات الإنطلاق: وهران ومستغانم والولايات المجاورة لها: الشلف، غليزان، معسكر، سيدي بلعباس، عين تيموشنت، ... حيث تعبر هذه الرحلات بحر ألبوران (la mer d'Alboran) لتصل إلى شواطئ ألميريا Almeria جنوب إسبانيا.

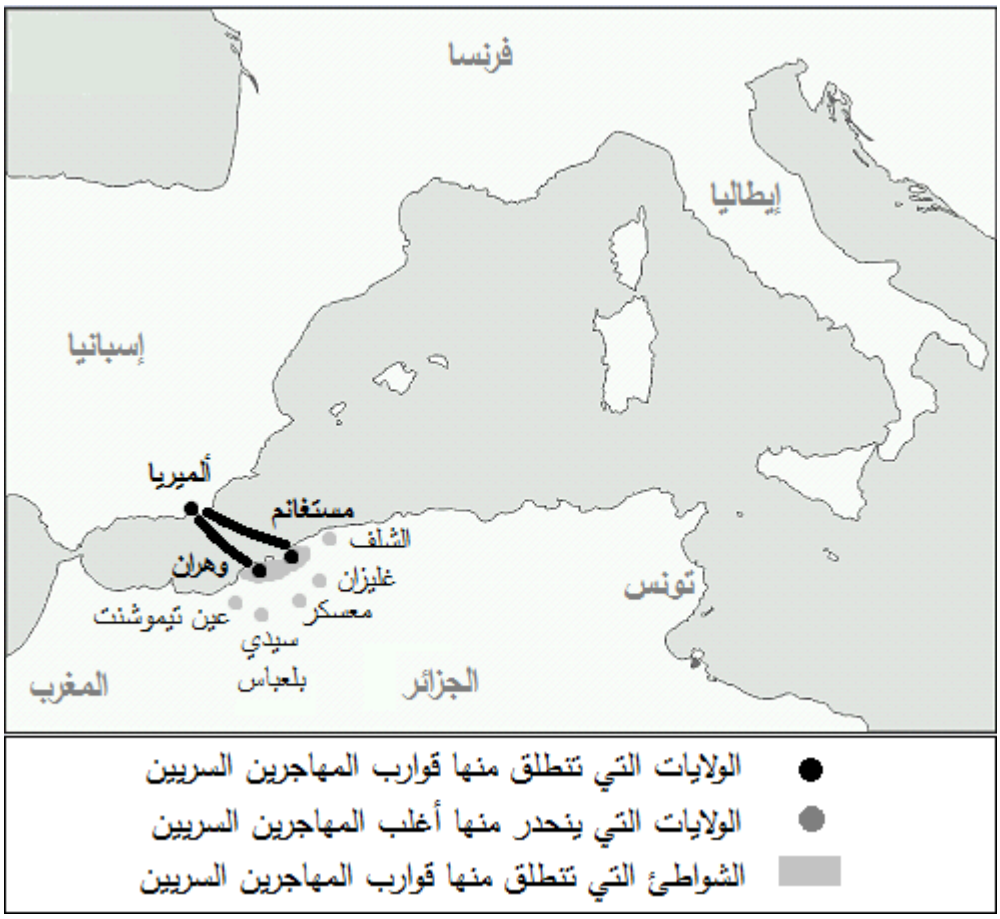

الخريطة رقم 03: *الولايات الغربية التي ينحدر منها المهاجرون ومسلكهم*

4.8. مسلك الحدود الجزائرية المغربية الشمالية ← المغرب ← سبتة/مليلة/طنجة ← إسبانيا:

يستعمل هذا المسلك عادة من قبل المهاجرين الأفارقة القادمين من إفريقيا تحت الصحراء عبر الجنوب الجزائري أو التراب الليبي، الذين تكون وجهتهم منذ البداية مدينتي سبتة ومليلة الواقعتين على الشاطئ المغربي الشمالي، كما يستعمل هذا المسلك من قبل المهاجرين السريين الجزائريين لأن ذلك أسهل عليهم من الأفارقة القادمين من بلدان تبعد آلاف الكيلومترات عنا.

تكمن المرحلة الأولى في عبور الحدود الجزائرية المغربية وتفادي الوقوع في يد السلطات من الجانبين، ثم التوجه إلى الغابات بعيدا عن الأنظار والتحضير لدخول إحدى المدينتين، مليلة أو سبتة، وهما مدينتين تابعتين للحكومة الإسبانية، ظلتا خلال سنوات التسعين بعيدتين عن إجراءات المراقبة الهجراتية لهذه الدولة، ما جعلها منفذا مهما للمغاربة والأفارقة نحو أوروبا، ولكن الوضع تغير مع تشديد الإتحاد الأوروبي لإجراءات مراقبة حدوده البحرية الجنوبية، فعلى المهاجرين الراغبين في الدخول إلى مدينة سبتة إجتياز جدران حديدية مزدوجة مضاءة ومعززة

بالأسلاك الشائكة، يبلغ إرتفاعها 3,10 مترا وتمتد لـ 8,5 كيلومتر، أو الإلتفاف حولها من خلال الدخول عبر البحر، ما زاد من صعوبة وخطورة العبور. أما الذين ينجحون في إجتياز هذه العوائق فكثيرا ما يتم القبض عليهم ووضعهم في محتشد Calamocarro الذي أنشأ سنة 1997 بسعة 700 شخص، لكنه يستقبل ما يقارب 2000 شخص من 27 جنسية مختلفة، يتوجب عليهم إنتظار تسوية وضعيتهم لفترات تمتد من 5 إلى 6 أشهر

(Clochard, 2003, pp. 5 6 10)، تبدأ بأربعين يوما قانونية يمنحون بعدها مذكرة ترحيل غير قابلة للتطبيق تسمح لهم بالذهاب إلى إسبانيا.

بالرغم من الحواجز وإجراءات الحراسة المشددة ينجح الكثير من المهاجرين السريين في تجاوزها، ففي سنة 2005 لوحدها، تمكن 2324 مهاجرا من عبور حواجز مدينتي سبتة ومليلة من أصل 20000 حاولوا العبور، أما الذين يفشلون في عبور السياج فعليهم العودة إلى أكواخهم المصنوعة من الأخشاب والبلاستيك والمتواجدة في غابات مدينتي تطوان وطنجة المجاورتين لمدينة سبتة، أين يتوجب عليهم التحضير للمحاولة المقبلة وتفادي مداهمات الشرطة المغربية لمكانهم في الغابات من أجل القبض عليهم وترحيلهم.

هناك من المهاجرين السريين المغاربة من مدينة تطوان أو الأفارقة القادمين إليها من يختار الدخول متخفيا عبر معبر تراجال، وهو المعبر الوحيد إلى مدينة سبتة، تم إنشاءه بناءا على إتفاق بين الحكومة المغربية والإسبانية يسمح بموجبه لـ 20000 مغربي من مدينة تطوان بالعبور يوميا من أجل العمل أو التجارة، وهو معبر يستغله المهاجرون السريون من خلال دفع المال للممررين الذين يساعدونهم في التسلل إلى داخل المدينة، ففي سنة 2006 لوحدها نجح 1351 مهاجرا في عبور هذا المعبر بشكل سري.

هناك مسلك آخر يمكن للمهاجرين إستعماله، ويتمثل في التسلل إلى شاحنات البضائع المتنقلة على متن العبارات التي تربط بين ميناء طنجة وموانئ Algésiras وميناء Cadix الإسبانية، حيث أعلن مسيروا ميناء طنجة على توقيفهم لـ 11200 مهاجرا في 2002، كانوا مستعدين للإلتحاق بأوروبا متسللين في تلك الشاحنات.

في الأخير، هناك الشباب الذين يختارون عبور المسافة الفاصلة بين الشواطئ المغربية والإسبانية على متن زوارق كما هو شأن الشباب الجزائريين الذين يبحرون من الشواطئ الشرقية للجزائر باتجاه جزيرة سردينيا، لكن هذه الرحلات تزداد صعوبة مع تشديد إجراءات الرقابة التي فرضها جهاز SIVE*، حيث تم إعتراض 55 % من القوارب التي تعبر المضيق في سنة 2002 مقابل 6,6 % من تلك التي عبرته في سنة 1996.

(Le Boedec, 2007, p. 10-12)

* Le **S**ystème **I**ntégré de **S**urveillance **E**xtérieure

5.8. مسلك الجزائر ← تركيا ← اليونان/أوروبا الشرقية/إيطاليا:

تبدأ رحلة المهاجرين السريين الجزائريين الذين يختارون هذا المسلك بالحصول على تأشيرة لتركيا، فيسافرون عادة على متن الرحلة الجوية تونس–تركيا (ثمن التذكرة في 2013 280 أورو)، وعند وصولهم إلى تركيا يبدؤون مرحلتهم الثانية بالإتصال بالممررين الأتراك أو من جنسيات أخرى (عراقيون، إيرانيون، باكستانيون، سوريون، بنغاليون، أفغان، يونانيون،...)، والذين يشكلون عادة شبكات لتمرير اليد العاملة والمهاجرين، ويفرضون على المهاجر دفع مبالغ تتراوح ما بين 2000 و5000 دولار، وينتشرون في المدن القريبة من الشواطئ المتوسطية وشواطئ بحر إيجة (مدن: Antalya, Mugla, Izmir, Adana) ومدينتي إسطنبول وأنقرة بالنسبة للذين يختارون عبور الحدود البرية (Mutluer, 2003, p. 61-62)، لكن هناك من المهاجرين الجزائريين الذين يملكون معارف أو يتم إرسالهم من قبل معارف في الجزائر نحو أشخاص جزائريين أو أتراك أو عرب يسهلون عليهم مهمة مواصلة هجرتهم نحو أوروبا.

يختار المهاجر مسلكين نحو اليونان، فإما أن يقرر دخوله عبر نقطة إلتقاء الحدود البرية التركية، البلغارية، اليونانية (la thrace orientale)، أو الهجرة عن طريق دفع ثمن ركوب القوارب السرية التي تنطلق من شواطئ الأناضول (تركيا) عبر بحر إيجة la mer Egée باتجاه أقرب الجزر اليونانية الشرقية التي تضم 128 ميناءا وتتوفر على النقل البحري فيما بينها، ففي سنة 2013 تمكنت وحدات وكالة Frontex من تحقيق 10427 إعتراض في بحر إيجة (Ottavy & Clochard, 2014, p. 150).

يبقى المهاجر باليونان إذا كانت هذه هي وجهته النهائية، حيث يتجهون إلى المحتشد الشهير في Patras الذي يستقبل ما بين 500 و2000 مهاجر ويتموقع على بعد عشرات الأمتار عن ميناء المدينة الذي تنطلق منه شاحنات السلع باتجاه إيطاليا والتي يتسلل إليها الراغبون في مواصلة رحلتهم نحو بقية بلدان أوروبا الغربية (Agier, 2014, p. 17) لكن هناك من يواصل رحلته عن طريق القوارب التي تربط هذا البلد بإيطاليا، أين يبقى بعيدا عن أنظار السلطات الإيطالية فيبدأ حياة جديدة في ظل السرية أو يواصل طريقه باتجاه بقية دول أوروبا الغربية، وهناك من يتم القبض عليهم ويقتادون إلى مراكز في مدن مثل: Léché في الجهة الشرقية لكعب الحداء الإيطالي، Bari و Pouilles في الجنوب الشرقي لإيطاليا، لينتظروا تسوية وضعيتهم أو ترحيلهم إلى البلدان التي قدموا منها.

هناك الكثير من المهاجرين من يختارون بلوغ دول أوروبا الغربية من خلال عبور الحدود اليونانية/البلغارية، المقدونية، الألبانية، فيواصلون التوغل في أوروبا الشرقية قاصدين النمسا، ألمانيا،...، أو الإنضمام إلى القوارب

السرية التي تعبر بحر الأدرياتيك la mer Adriatique، لكن الإحصاءات تشير إلى أن أغلب المهاجرين الذين يعبرون هذا البحر قادمون من الشرق القريب أو الشرق الأوسط.

يتبع المهاجرون السريون الذين يختارون بلوغ وجهتهم في أوربا الغربية عن طريق دول أوروبا الشرقية مسلكين هما:

- مسلك: تركيا←بلغاريا←رومانيا←المجر←النمسا←جمهورية التشيك أو سلوفاكيا←النمسا←ألمانيا.
- مسلك: تركيا←بلغاريا/اليونان←مقدونيا←ألبانيا←إيطاليا←أوروبا الغربية (Agier, 2014, p. 147).

يتجه المهاجرون السريون الراغبون في مواصلة هجرتهم نحو فرنسا أو إحدى دول أوروبا الغربية الأخرى إلى مدينة Vintimille الحدودية ليقيموا في محتشدات هشة في إنتظار محاولة عبور الحدود، أما الذين تكون وجهتهم إنكلترا فيتابعون طريقهم إلى غاية مدينة Calais في أقصى شمال فرنسا، أين يقيمون في محتشدات في إنتظار عبور La Manche عن طريق نفق القطارات الذي يعبر تحته أو في العبارات التي تربط بين ضفتيه، أما عن عدد المقيمين في هذه المدينة فقدر بـ 7000 مهاجر في سنة 2015 (Noé, 2015, p. 110-111).

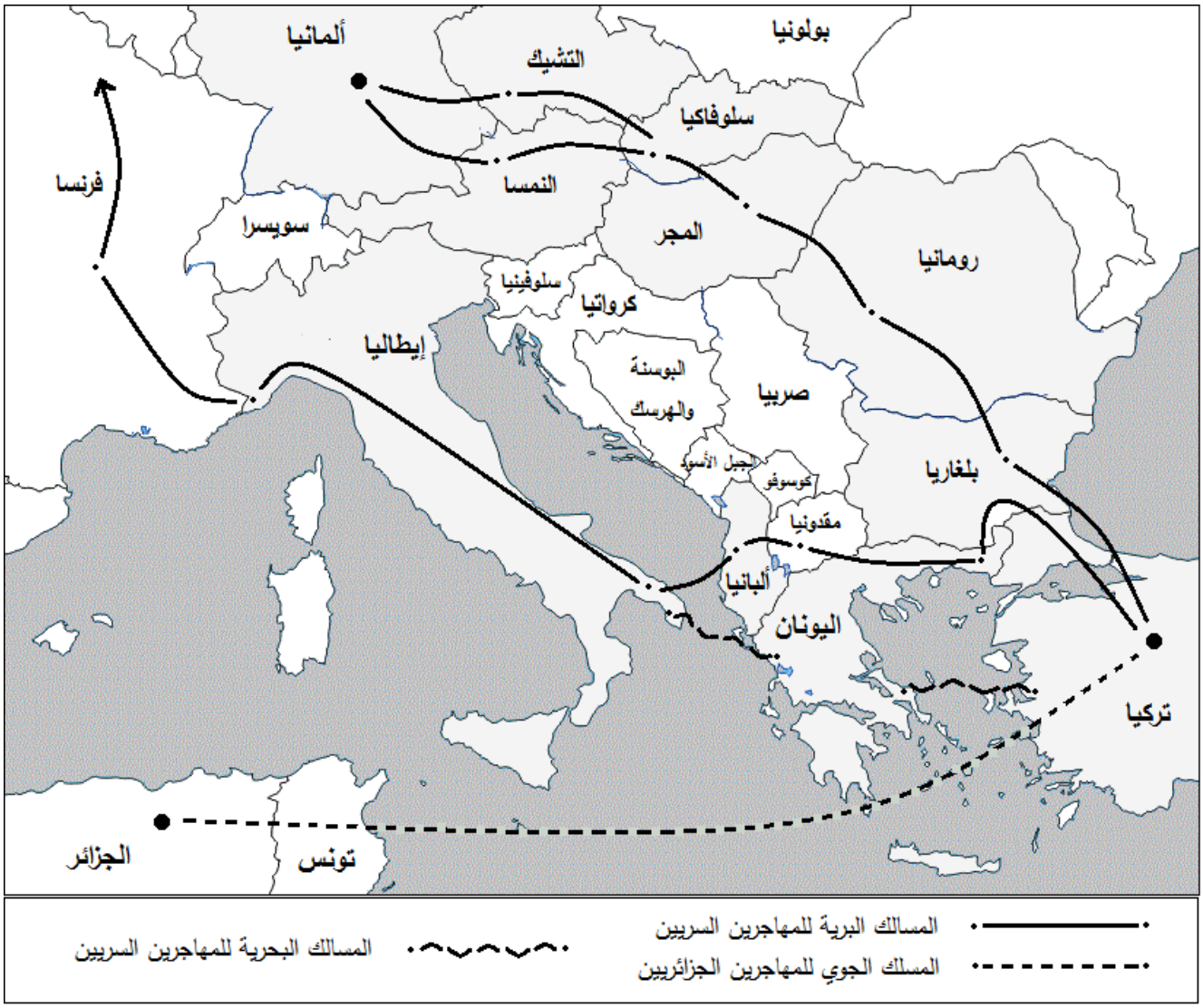

الخريطة رقم 04: *مسالك المهاجرين الجزائريين الذين يقصدون أوروبا الغربية عن طريق تركيا وأوروبا الشرقية*

تبين الخرائط المقدمة أعلاه مدى تنوع الطرق المتبعة من قبل المهاجرين السريين، وقدرتهم على الإلتفاف على الإجراءات الأوروبية الموضوعة لمواجهة الراغبين في بلوغ أراضيها، لكن ما تعجز هذه الخرائط عن توضيحه هو ما تحدث عنه **ميشال أجيي Michel Agier** عن المناطق الحدودية التي يتوجب على المهاجرين المكوث بها دائما قبل أن تتاح لهم فرصة دخول أو مواصلة طريقهم نحو بلد الوجهة (Patras في اليونان، Vintimille في إيطاليا، Calais في فرنسا) وهي أماكن (محتشدات في الغالب) على هامش المدينة، تتغاضى عنها السلطات ويتجاهلها السكان، فيصبح الإقامة فيه بديلا عن الإقامة في المدن (Agier, 2014, p. 21) لكن ذلك يزيد من المدة الذي يعيشها المهاجرون في السرية ويطيل من مشروعهم الهجراتي إلى أجل غير مسمى.

9. الوضع الهجراتي الإقليمي:

تنتمي الجزائر إلى فضاء المغرب العربي المكون من 5 دول (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريطانيا) بلغ عدد سكانها في سنة 2000 حوالي 77 مليون نسمة مؤهلة لتبلغ 116 مليون في سنة 2025، في مقابل 166 مليون نسمة في الخمس دول المكونة لجنوب أوروبا (مالطا، إيطاليا، فرنسا، إسبانيا، البرتغال) في سنة 2000 مؤهلة لتبلغ 170 مليون نسمة في سنة 2025، أي أن توزيع الأعمار يميل ليبقى في صالح الشباب إحصائيا في دول المغرب العربي في حين يميل واقع الشيخوخة إلى البقاء على المدى المتوسط في المجتمعات الأوروبية الجنوبية، وهو بعد بالغ الأهمية في تحديد الوضع الهجراتي بين ضفتي المتوسط، فلطالما تحدثت وسائل الإعلام عن أوروبا عجوز بحاجة إلى أبناء إفريقيا الشابة، وهي عبارة يستخدمها الشباب كثيرا لتدعيم تحمسهم للهجرة إلى الضفة الشمالية.

يمثل المهاجرون من دول المغرب العربي المقيمون في أوروبا 15 % من الأجانب المتواجدين فيها، إذ قدر عددهم في سنة 1997 بـ 2 مليون مغاربي (1,3 مليون متواجدون في فرنسا لوحدها)؛ 56 % منهم مغربيون، 30 % جزائريون و14 % تونسيون (Musette, 2006, p. 24)، ويرجع هذا التباين في عدد الرعايا المتواجدين في مختلف الدول الأوروبية لأسباب ديمغرافية، تاريخية، جغرافية وإقتصادية تحكمت في علاقة هذه الدول مع أوروبا ومع بعضها البعض.

المغرب:

بلغ عدد سكان المغرب في سنة 2008 أكثر من 34 مليون نسمة، وهو عامل يفسر في جزء منه كثرة المغاربة المتواجدين في أوروبا مقارنة مع تونس (حوالي 10 ملايين نسمة في 2008) وليبيا (حوالي 6 ملايين نسمة في 2008) وموريطانيا (حوالي 3 ملايين نسمة في 2008)، بالإضافة إلى القرب الجغرافي من الضفة الجنوبية لأوروبا أو الضفة الإسبانية بالتحديد وهو الواقع الذي جعل من هذا البلد بوابة الأفارقة لبلوغ أوروبا خصوصا لما يتعلق الأمر بالهجرة السرية.

أدمج المغرب منذ إستقلاله سنة 1956 هجرة مواطنيه الإقتصادية ضمن مخططاته التنموية من أجل تخفيف الضغط على سوق العمل (يغادر المغرب باتجاه أوروبا بشكل دوري ما مقداره 15 % من الرجال القادرين على العمل (Noé, 2015, p. 26) وضمان مورد ثابت من العملة الصعبة المهمة بسبب فقره من الموارد الطبيعية وبالتالي إمكانية تصدير المواد الأولية كما هو حال جارته الجزائر، ولكن هذا الوضع بدأ بالتغير مع توقيف الدول

الأوروبية للهجرة الإقتصادية من الدول المغاربية إنطلاقا من سنة 1975، فحتى سنة 1980 كان بإمكان المواطنين المغاربة الذهاب والإياب إلى إسبانيا بجواز سفر قانوني، حيث كانت القدرة الشرائية للمغاربة في ذلك الوقت قريبة من القدرة الشرائية للمواطنين الإسبان، لكن منذ هذه السنة إلى 2003 بدأت وجهات المغاربة في التنوع كما يبينه الجدول الموالي، وأصبحت هجرتهم خاضعة لمشاريع فردية أكثر من خضوعها لتوجه إقتصادي رسمي، خصوصا مع فرض دول الضفة الشمالية لتأشيرات على القادمين من إفريقيا وحثها الدول المغاربية على مراقبة حدودها ومنع المهاجرين السريين من عبور المتوسط سواء تعلق الأمر بالمغاربة أو بقية المغاربيين أو الرعايا القادمين من جنوب الصحراء، وهكذا وجد المغرب نفسه أمام مأزق آخر متمثل في تسيير المهاجرين الأفارقة الذين يأتون بشكل قانوني أو غير قانوني بهدف عبور المتوسط.

بلد الإقامة	عدد المقيمين
الجزائر	30 ألف
ليبيا	14 ألف
فرنسا	800 ألف
إسبانيا	250 ألف
هولندا	250 ألف
إيطاليا	250 ألف
بلجيكا	110 آلاف
ألمانيا	100 ألف
و م أ	85 ألف
كندا	60 ألفا

الجدول رقم 06: *جدول يبين عدد المغاربة المقيمين في الخارج في سنة 2000*

(Noé, 2015, pp. 42 51)

بالرغم من زوال الهجرة الإقتصادية بصورتها الرسمية كمسلك لتدعيم الإقتصاد، لا تزال هجرة الرعايا المغاربة منفذا لحل بعض مشاكل الإقتصاد المغربي، ففي سنة 2001 على سبيل المثال، غطت تحويلات المغاربة المقيمين في الخارج 85 % من العجز التجاري للمملكة المغربية، كما ساهمت هذه التحويلات في تسديد 11 % من الديون الخارجية لهذا البلد في سنوات التسعين، لأجل ذلك تسعى الحكومة المغربية بشكل مستمر لضمان معاملة تفضيلية لرعاياها من قبل الدول الأوروبية الراغبة في الحصول على العمالة الأجنبية، كما تحاول أن تزيد من إستفادتها من

دعم دول الفضاء الأوروبي على المستوى المالي والتجاري والتكنولوجي وحتى الأمني واللوجستيكي كمقابل لمراقبتها لحدودها ومنعها لعبور قوافل المهاجرين القادمين من الدول المغاربية المجاورة ومن جنوب الصحراء، لكن هذا الدور زاد من أعباء هذا البلد محدود الموارد وجعله محط الكثير من الإنتقادات خاصة في حالات المآسي التي يتعرض لها المهاجرون الذين يحاولون عبور الحدود البرية إلى مدينتي **سبتة** و**مليلة** التابعتين لإسبانيا أو يغامرون بعبور البحر مستخدمين زوارق هشة، حيث أتهم المغرب بتوظيف ملف الهجرة السرية في خلافاته مع المملكة الإسبانية في مأساة **سبتة** و**مليلة** في 2004.

تم فرض تأشيرة على الرعايا المغاربة الراغبين في دخول إسبانيا في سنة 1991، عامين بعد وصول أول قارب سري إلى شواطئ Cadix جنوب إسبانيا، كنتيجة لتشديد إجراءات الدخول إلى هذه الأخيرة وتزايد الهوة بين البلدين، حيث أصبح الفرق بين الناتج المحلي الخام الفردي بين البلدين أكبر بـ 12 مرة عند الإسباني المتوسط مقارنة بنظيره المغربي، فموقع المغرب الذي تبعد شواطئه الشمالية عن الشواطي الإسبانية الجنوبية بـ 13 كلم، ووجود مدينتين إسبانيتين على ترابه مرتبطتين بنقل بحري منتظم مع إسبانيا، جعل منه معبرا رئيسيا لكل المهاجرين الراغبين في بلوغ أوروبا، وبالتالي البلد الأول المعني بمختلف الإستراتيجيات التي تتبناها بلدان الإتحاد الأوروبي لمواجهة المهاجرين السريين الأفارقة، ففي سنة 1996، أمضت بلدان الإتحاد الأوروبي مع المغرب إتفاقا يقضي بإعادة كل المهاجرين السريين الذين يتم القبض عليهم إلى المغرب سواء كانوا من رعاياه أو من بقية الدول الإفريقية، لكن هذا البلد يرفض أن يكون حارس أوروبا، من خلال الإصرار على التأكيد بأن أغلبية المهاجرين السريين ليسوا من رعاياه، أو بترحيلهم إلى حدوده مع الجزائر، أو بالمطالبة بمزيد من المساعدات المالية والتكنولوجية والإقتصادية التي يحصل عليها من الإتحاد الأوروبي (Le Boedec, 2007, p. 8).

إن الحاجر الذي وضعته الدول الأوروبية أمام عبور المهاجرين الأفارقة نحو الضفة الشمالية من المتوسط، جعل من المغرب منطقة إنتظار وتحضير للعبور السري الذي يزداد خطورة مع تشديد إجراءات المراقبة، لكن هذا الإنتظار يطول في الكثير من الأحيان ليدوم عدة سنوات ويصبح إقامة سرية في المغرب، فيضطر هؤلاء المقيمون الأفارقة إلى ممارسة أعمال وحرف مؤقتة من أجل العيش، لكنهم يعانون من خطر التوقيف والترحيل من قبل السلطات المغربية التي تستجيب لضغوطات الأوروبيين أحيانا وتحب أن تبقي إنطباعا لدى المجتمع الدولي بأنها بلد عبور وليست بلد وجهة أو إقامة سرية، في المقابل، تبقى هجرة المغاربة السرية جزءا من واقع المغرب وعنصرا مهما في ديناميكيته الإقتصادية، فحتى خلال الحقبة الإستعمارية كان المغاربة الذين يهاجرون سريا إلى فرنسا يمثلون 90 % من المغاربة المتواجدين هناك، كما أن عمالة المغاربة القانونية في مدينة سبتة أو إسبانيا لا تزال

تطبع علاقة المغرب بالهجرة، ففي سنة 2008 دخلت 12000 مغربية إسبانيا من أجل العمل الموسمي في الحقول (Peraldi & Rahmi, 2009, pp. 89 90 94).

يحتل المغرب المرتبة الأولى في المغرب العربي والمرتبة الثانية في الوطن العربي من حيث عدد المهاجرين إلى الخارج، 17 % منهم دوي مستوى تعليمي عال (الفرجاني وآخرون، 2014، ص ص 9 13)، حيث يشكل المغاربة في الخارج مصدرا مهما للعملة الصعبة من خلال تحويلاتهم إلى دويهم أو عودتهم خلال العطل والمناسبات الإجتماعية والدينية، نقلهم لمختلف المعارف والخبرات التي إكتسبوها في البلدان التي يقيمون فيها أو إنخراطهم في نشاطات تجارية وإقتصادية في بلدانهم الأصلية.

تونس:

بلغ عدد التونسيين المقيمين في الخارج في سنة 2000 * 700000 مقيم مقابل 650000 في سنة 1990 وهو رقم كبير بالنسبة للعدد الإجمالي للسكان في تونس (أكثر من 10 ملايين في سنة 2008).

يتواجد 96 % من هؤلاء المهاجرين في أربع دول أوروبية: فرنسا (436461 مقيم)، إيطاليا (63000 مقيم)، ألمانيا (42000 مقيم)، بلجيكا، ويساهمون بشكل واضح في الإقتصاد التونسي، حيث بلغت تحويلاتهم من العملة الصعبة في سنة 2001 مثلا، 8,8 % من مداخيل البلد من العملة الصعبة، أي في المرتبة الثالثة بعد الصادرات وعائدات السياحة (Musette, 2016, pp. 96 104).

هناك العديد من القواسم المشتركة بين تونس والمغرب فيما يخص علاقتهما بالهجرة إلى الخارج سواء كانت هذه الهجرة قانونية أو سرية، حيث يشتركان في فقرهما من الموارد الطبيعية وما يوفره تصديرها من عملة صعبة ضرورية للتنمية الإقتصادية، أما القاسم المشترك الثاني، فهو جغرافي، حيث تعتبر تونس بوابة الأفارقة إلى السواحل الجنوبية الإيطالية (تبلغ المسافة بين الشواطئ التونسية وشواطئ لومبيدوزا حوالي 60 ميلا بحريا (111 كلم)، ما جعل منها منطقة عبور لكل الأفارقة الراغبين في بلوغ أوروبا بطريقة سرية، في النهاية فرض هذا الوضع الجغرافي على تونس موقع المفاوض مع دول الإتحاد الأوروبي حول آليات ردع وإعادة قبول المهاجرين السريين الذين تنجح فرق خفر السواحل الأوروبية في التصدي لهم في عرض البحر أو الذين يتم القبض عليهم على التراب الأوروبي، في مقابل الحصول على معاملة تفضيلية لمواطنيها فيما يخص منح التأشيرات أو تسوية وضعيتهم في البلدان الأوروبية التي هاجرو إليها أو من خلال الحصول على مختلف المساعدات المالية، التنموية، التكنولوجية أو الأمنية واللوجستيكية.

* قدمت هذه الإحصائيات من طرف وزارة الشؤون الخارجية التونسية.

بدأت أولى محاولات التونسيين لبلوغ الشواطئ الإيطالية بطريقة سرية وباستخدام قوارب صيد هشة في سنة 1990 وذلك بعد أن إنضمت إيطاليا إلى إتفاقية شنغن Schengen وفرضت التأشيرة على بلدان المغرب العربي، لكن هذا النوع من الهجرة أكثر خطرا وغير مضمون النتائج، مع ذلك إستمرت المحاولات بشكل متدبدب، حيث تزيد أو تنقص بحسب الظروف المناخية، تشديد إجراءات المراقبة أو الإعتراض في البحر من قبل السلطات التونسية أو الدول الأوروبية، لكن الشيء الجديد هو قدوم الأفارقة بشكل قانوني أو سري إلى تونس من أجل الهجرة السرية إلى إيطاليا عن طريق البحر، ما ساهم في إنتعاش تجارة تهريب المهاجرين عن طريق البحر.

لقد كانت الرحلات السرية التي يقوم بها المهاجرون السريون التونسيون خلال سنوات التسعين وبدايات الألفين تحت سيطرة منظمين محليين، ولكن تشديد الرقابة الأمنية على الشواطئ التونسية منذ 2004 ساهم في تطور شبكات عابرة للحدود، حيث أصبح التونسيون يتلقون طلبات من مهربين ليبيين من أجل جمع مترشحين تونسيين مستعدين لعبور المتوسط عن طريق ليبيا (Mabrouk, 2009, p. 115-116).

أدى إنتشار المظاهرات في تونس في جانفي 2011 إحتجاجا على نظام الرئيس بن علي والأوضاع الإقتصادية المتردية التي أنتجها، وفرار هذا الأخير من البلاد، إلى زيادة ملحوظة في عدد المرشحين للهجرة السرية بما فيهم المرشحون من مختلف الدول الإفريقية، مستغلين إنشغال السلطات السياسية والإدارية والأمنية بالأوضاع غير المستقرة في البلد:

2007	2008	2009	2010	**2011**
1492 مهاجر سري	1090 مهاجر سري	570 مهاجر سري	499 مهاجر سري	**6399 مهاجر سري**

الجدول رقم 07: *تطور عدد المهاجرين التونسيين الذين قبض عليهم حراس الشواطئ التونسيين من 2007 إلى 2011*[*]

(Ben Khalifa, 2011, p. 182)

ليبيا:

تشترك ليبيا مع الجزائر في غناها بالموارد الطبيعة (البترول والغاز على وجه التحديد)، ولكنها أحسن حالا فيما يخص سوق العمل نتيجة لقلة عدد السكان مقارنة بالمساحة الجغرافية وغناها بالثروات الطبيعية، فهذا الوضع جعل

[*] هذه الإحصاءات مقدمة من طرف وزارة الداخلية التونسية وخفر السواحل التونسيين. يقدم هذا الجدول عدد المهاجرين التونسيين الذين تم إعتراضهم وإعادتهم إلى أرض الوطن ويتجاهل عدد الشباب الذين نجحوا في بلوغ الضفة الغربية للمتوسط.

من ليبيا مقصدا للعمال المهاجرين القادمين من الدول العربية المجاورة (المغرب، الجزائر، تونس، مصر، السودان) أو الدول الإفريقية (التشاد، النيجر، مالي، بوركينافاسو، غينيا، ساحل العاج، نيجيريا، أنغولا، إفريقيا الوسطى، ...) منذ سنوات 1970، الذين كانوا يساهمون في مختلف أشكال الحياة الإقتصادية، والذين شكلت نسبتهم 10.8 % من مجموع السكان في سنة 2000، لكن الكثير من الأفارقة الذين كانوا يدخلون التراب الليبي مرشحون للهجرة السرية عن طريق البحر إلى إيطاليا، ففي سنة 2003، وبعد مأساة Lampedusa، إتهمت دول الإتحاد الأوروبي الحكومة الليبية بإستغلال هجرة هؤلاء للضغط من أجل رفع الحضر العسكري المفروض عليها على خلفية تفجيرات لوكاربي Lockerbie.

لقد كانت ليبيا أكثر الدول المغاربية إستقبالا لجيرانها العرب خلال سنوات 70، بسبب توجهاتها القومية العربية وانخراطها المتحمس في الصراع العربي الإسرائيلي، حيث بلغ عدد المصريين 800 ألف مهاجر في سنة 1995 ومثلوا أكبر الجنسيات عددا على التراب الليبي (يليهم التشاديون)، حيث لعبوا دورا كبيرا كمسيرين ومشرفين تقنيين على المستثمرات الفلاحية التي كانت ملكا لليبيين وتشتغل بسواعد إفريقية رخيصة، في حين إشتغل المغاربة، التونسيون والجزائريون في تجارة التجزئة، الفندقة والمطاعم (Pinta, 2010, pp. 45 59 99)، لكن الأمور بدأت تتغير بعد إتهام ليبيا بتفجير الطائرة في لوكاربي وفرض حظر إقتصادي وعسكري عليها من سنة 1992 إلى غاية 2003 وإتفاقيات أوسلو بين الفلسطينيين وإسرائيل، حيث إنتهجت هذه الأخيرة سياسة إنفتاح على الدول الإفريقية على طول سنوات التسعين، ما ساهم في زيادة أعداد الوافدين إليها، حيث بلغ عددهم في سنة 2000 حوالي 2,5 مليون مقيم إفريقي، لكن بلد الهجرة هذا لا يمكن مقارنته بالبلدان الأوروبية، فبالنسبة للمهاجرين الذين تكون وجهتهم أوروبا، لا تمثل ليبيا سوى منطقة عبور، قد يقضون فيها مدة قد تطول لسنوات بسبب فشلهم في الحصول على فرصة لركوب القوارب المتجهة نحو الجزر الإيطالية الجنوبية أو لحاجتهم للعمل من أجل توفير المال اللازم لدفع ثمن الرحلة. أما بالنسبة للذين تكون وجهتهم ليبيا من أجل العمل، والذين يتألفون من ماليين ونيجيريين في الغالب، فهم يقضون ما متوسطه سنتين من العمل يعودون بعدها إلى بلدانهم لتكملة مشروع زواج، بناء بيت، تجارة أو إستثمار فلاحي، لكنهم وبالرغم من حصولهم على تأشيرة لدخول ليبيا لا يمكنهم مهما كانت الظروف تسوية وضعيتهم، فأكثر ما يمكن أن يأملوه، بطاقة صحية تثبت بأنهم غير مصابين بفيروس السيدا أو الحصول على بطاقة قنصلية تتضمن هويتهم باللغة العربية، في المقابل، عليهم أن يتحملوا سلوكات الليبيين الخائفة منهم والعنصرية أيضا، بدءا بنعتهم بالعبيد ومرورا بالسجن (هناك مركز لإحتجاز المهاجرين في الجنوب الليبي) ووصولا إلى التهديد الجسدي، كما حدث في شهري سبتمبر/أكتوبر 2000، حين تعرض من 100 إلى 500 إفريقي للقتل

من طرف ليبيين غاضبين من تواجدهم المتزايد، والذي تبعته إجراءات واسعة لترحيلهم(Bensaâd, 2003, pp. 3 6 14).

في سنة 2005 دخل الإتحاد الأوروبي في حوار وتعاون مع ليبيا حول مسألة الهجرة، أما في سنة 2007، فقد شرعت السلطات الليبية في تشديد إجراءات الدخول إلى أراضيها بدعوى محاربة الإقامة السرية والإرهاب، كاستجابة لبداية تحسن علاقاتها مع دول الإتحاد الأوروبي، وترجمت تعاونها مع هذه الأخيرة بفرض تأشيرة دخول على كل الأجانب باستثناء أولئك القادمين من دول المغرب العربي، ثم فرضت على أغلب البلدان المجاورة لها (السودان، التشاد، النيجر، الجزائر) الحصول على ترخيص خاص من أجل دخول ليبيا (Perrin, 2009, p. 35)

لكن نجاحها في مسعاها هذا بقي محدودا وذلك لعدة إعتبارات، منها شساعة الصحراء وصعوبة مراقبتها، حيث يسكن جزئها المتقاسم بين ليبيا، الجزائر والنيجر حوالي 400 ألف ساكن، جزء كبير منهم يعيش حياة الترحال دونما حواجز، كما هو حال قبيلة كل أجر Kel Ajjer التي ترحل بين جانت الجزائرية وجات الليبية على الحدود الجزائرية الليبية، أو يعاني من تدهور الظروف المناخية حيث أشارت تقديرات الأمم المتحدة بأن 60 مليون من ساكني إفريقيا ما تحت الصحراء سيضطرون للهجرة إلى أوروبا من سنة 2010 إلى 2020 (Pinta, 2010, pp35 64) تضاف إلى هذه الأسباب حاجة ليبيا لليد العاملة الإفريقية الرخيصة والمهاجرين كورقة ضغط لتحقيق مكاسب سياسية وإقتصادية من الإتحاد الأوروبي.

بعد سقوط نظام معمر القذافي إثر إندلاع مظاهرات تحولت إلى إنتفاضة شعبية مسلحة، دفع الفراغ الإداري والأمني في البلد بالأفارقة الذين كانوا مقيمين فيه بشكل قانوني أو سري بالفرار من ليبيا من خلال قوارب صيد إتجهت إلى أقرب الشواطئ الإيطالية، حيث أعلنت وكالة الأنباء الإيطالية أنسا في شهر أوت 2011 عن وصول 1401 مهاجر سري (ضمنهم 122 إمرأة حامل و33 طفلا) إلى جزيرة لومبيدوزا فارين من المعارك في ليبيا*، وهناك من إختار النزوح إلى الدول المجاورة، ففي الجزائر أفادت تصريحات لحرس الحدود بولايتي إيليزي وتمنراست (المتاخمتين لليبيا) عن إستقبال حوالي 820 مهاجر إفريقي في شهر مارس 2011، 200 منهم يملكون وثائق إثبات الهوية دون وثائق الإقامة القانونية، في حين لا يملك الباقون وثائق هوية (رزيق المخادمي، 2012، ص ص 48 59) أما في سنة 2014 فقد تمكن 110 آلاف مهاجر من مغادرة ليبيا باتجاه المتوسط، وهكذا أصبحت هذه الأخير بؤرة حساسة في الهجرة الإفريقية السرية، ففي سنة 2015 وصل 63 ألف مهاجر إفريقي إلى الإتحاد الأوروبي ثلثهم قدم من ليبيا (Noé, 2015, p. 31-32).

* إن ما زاد من إستعجال الأفارقة بالفرار إنتشار إشاعات مفادها أن قوات القذافي تستعين بمرتزقة أفارقة لتدعيم صفوفها.

أما بالنسبة لهجرة الليبيين فتأتي في المرتبة الرابعة بعد المغرب، الجزائر وتونس، بالخصوص لما يتعلق الأمر بالهجرة السرية، وهو أمر راجع في جزء كبير منه إلى غناها بالموارد البترولية ومحدودية عدد السكان.

موريتانيا:

على خلاف بقية دول المغرب العربي المتجهة في علاقاتها وسياساتها الإقتصادية والهجراتية نحو أوروبا، تحتل موريطانيا، بسبب موقعها الجغرافي ووضعها الديمغرافي، صفة منطقة تشابك وعبور بين إفريقيا "السوداء" والمغرب العربي.

تعد موريطانيا أصغر بلدان المغرب العربي من حيث الكثافة السكانية (3,9 مليون نسمة في 2013) وأقلهم إستقبالا وإرسالا للمهاجرين، ففي سنة 2013 بلغ عدد المهاجرين الموريطانيين 135,6 ألف نسمة، كانت وجهة 70 % منهم نحو الدول الإفريقية المجاورة أو القريبة (السنغال، نيجيريا، الكوت ديفوار)، أما الذين إتجهوا إلى فرنسا وإسبانيا فتمثلت نسبتهم في 20 %، أما بخصوص المهاجرين الذين يستقبلهم هذا البلد ف 70 % منهم مهاجرون قادمون من السنغال ومالي (الفرجاني وآخرون، 2014، ص ص 8 16)

إن إنفتاح موريطانيا على الدول الإفريقية المجاورة لها مفسر في جزء كبير منه بموقعها الجغرافي البعيد نسبيا عن أوروبا، وتاريخها كمنطقة عبور (بالخصوص مدينة نواديبو Nouadhibou) بين إفريقيا والمغرب العربي، ووجود موريطانيين سود–إفريقيين، أما عن أسباب قدوم هؤلاء الأفارقة إليها فترجع إلى رغبتهم في الإشتغال في الصناعة السمكية في مدينة نواديبو، التي تعج بمصانع السمك، وفرق الصيد الكورية الجنوبية، الصينية، الروسية ولكن الوضع تغير في 15 سنة الأخيرة مع بداية تزايد أعداد المهاجرين القادمين إليها باعتبارها محطة في مسار هجراتي نحو البلدان الغربية والأوروبية بالتحديد.

لقد حتم هذا التغير في نية المهاجرين القادمين من جنوب الصحراء على السلطات الموريطانية الإستجابة لضغوطات الدول الأوروبية (بالخصوص الإسبانية) من خلال قبول تشديد إجراءات مراقبة وردع المهاجرين الذين يودون بلوغ أوروبا عن طريق ميناء نواديبو وشواطئها الأطلسية، حيث يحاول هؤلاء التسلل إلى سفن الصيد الأجنبية أو من خلال دفع مبلغ من المال إلى قبطان إحدى هذه السفن أو الهجرة بالقوراب إلى جزر الكناري، لكن هذه المهمة ليست سهلة، لأن منع قدوم الأفارقة معناه وضع حد لعلاقات تاريخية وتجارية قديمة مع الدول التي ينحدر منها هؤلاء المهاجرين بالخصوص المجاورة منها، كما أن مثل هذا الإجراء سيضر بمواطنيها في هذه الدول، لذلك يتوجب على السلطات الموريطانية بدل جهود كبيرة لفصل القادمين إليها من أجل العمل في قطاع الصيد البحري عن القادمين إليها باعتبارها محطة عبور في طريق تنتهي إلى أوروبا، كما توجب عليها السماح لهيئات أوروبية

وإسبانية أمنية وإنسانية بالعمل على أراضيها من أجل تخفيف الضغط الذي تتعرض له من هذه الجهات (Streiff-Fénart & Poutignat, 2008, p. 200)، حيث قبلت في 2006 إنشاء مركز لحجز المهاجرين ودراسة ملفاتهم وتحديد مصيرهم (نقلهم إلى إسبانيا أو ترحيلهم إلى بلدانهم الأصلية) في مدينة نواديبو مقابل حصولها على المال والأجهزة والمعدات الخاصة بالمراقبة على الشواطئ من إسبانيا لتكون الدولة المغاربية الوحيدة التي تقبل بهكذا إجراء (قميني، 2016، ص 255).

الدول الإفريقية المجاورة للجزائر (النيجر، مالي):

تعتبر مالي والنيجر بوابتي دول جنوب الصحراء إلى ليبيا والجزائر، فبالإضافة إلى المهاجرين السريين المنحدرين من هذين البلدين، هناك مهاجرون قادمون من السنغال، غينيا بيساو، غينيا كوناكري، الكوت ديفوار، ليبيريا، سيراليون، الطوغو، الكاميرون، غانا، نيجيريا، التشاد، ...، حيث يأتي المهاجرون من دول غرب إفريقيا عبر باماكو (مالي)، واغادوغو (الكاميرون)، نيامي (النيجر) ليجتمعوا في آغاداز Agadez، مدينة الطوارق التي تتوسط النيجر وتوجد على أبواب صحراء تنيري (le désert de Ténéré) والتي تستقبل حوالي 65 ألف مهاجر ينطلقون منها في شاحنات تنقلهم نحو الحدود الجزائرية أو الليبية.

تسمى الحافلات التي تضمن النقل بين العواصم الإفريقية الثلاثة (باماكو، واغادوغو، نيامي) "حافلات بلا حدود" لأنها تعبر جل البلدان التي تشكل غرب إفريقيا دونما موانع، وتضمن إيصال المرشحين للهجرة السرية إلى مدينة آغاداز، وهي مدينة مزدهرة بسبب إستقبالها لقوافل المهاجرين الذين يصلون إليها للحصول على وثائق مزورة وتدبر مكان في الشاحنات المتجهة نحو ليبيا أو الجزائر (Mendy, 2009, p. 212)، حيث يدفعون للناقلين وينتظرون في أكواخ هشة ساعة الإنطلاق.

يتجه 80 % من هؤلاء المهاجرين نحو ليبيا، في حين تتجه الـ 20 % الباقية نحو الجزائر، أما عن جنسياتهم فأغلبيتهم قادمون من نيجيريا بـ 45 %، يليهم الغانيون بـ 30 % ثم النيجريون بـ 13 % ثم الماليون بـ 6 % ثم بقية بلدان غرب إفريقيا بـ 5 % وآخرهم التشاديون بـ 2 % (Bensaâd, 2003, p. 8-9).

تنطلق قوافل المهاجرين التي تكون وجهتها الجزائر نحو تمنراست التي تبعد عن آغاداز 850 كلم ليواصل المهاجرون رحلتهم، بشكل فردي أو في مجموعات عبر المدن الصحراوية الجزائرية بإتجاه عنابة أو الحدود المغربية الجزائرية، أما الذين تكون وجهتهم ليبيا فيركبون الشاحنات التي تتجه نحو الحدود الليبية، حيث يتوقفون في مدينة ديركو Dirkou التي تبعد عن آغاداز بـ 650 كلم و400 كلم عن الحدود الليبية وهي محطة مهمة للتزود بالماء

والأكل والوقود، ومكان لإقامة من نفدت موارده المالية، حيث يتوجب على الكثير ممن يجدون أنفسهم في هذا الوضع العمل من أجل توفير المال الضروري لمواصلة الرحلة.

عند إقتراب الشاحنات من الحدود الليبية يحاول سائقوها الإلتفاف على مراكز المراقبة الحدودية من أجل بلوغ مدينة تاجري Tadjri الليبية التي تبعد 30 كلم عن الحدود، أو يتركون المهاجرين يعبرون هذه المسافة على الأقدام تفاديا للإعتقال، ولكن حتى مع التعرض للإعتقال يمكن دفع أجرة للعساكر الليبيين دوي الأصول التشادية وضمان نقل فعال بسبب معرفة هؤلاء الكبيرة بتضاريس الصحراء.

ينقسم المهاجرون القادمون إلى ليبيا إلى نوعين، المهاجرون القادمون من أجل العمل ثم العودة إلى البلد لإنجاز مشروع أو إفتتاح تجارة والمهاجرون المتجهون نحو إيطاليا أو إسبانيا مرورا بالجزائر والمغرب. حيث يضطر الأفارقة الذين يقصدون إيطاليا إلى العمل في ليبيا وتحمل سوء معاملة الليبيين لهم، حيث يؤكد الكثير ممن إستجوبتهم الصحافة أو الباحثين في مجال الهجرة على تعرضهم لتعليقات مهينة من قبل مختلف شرائح المجتمع الليبي تصل في إقصاها إلى نعتهم بالعبيد، كما تم الكشف بعد سقوط نظام القذافي في 2011 عن مركز قنفوتة في مدينة بنغازي كان مخصصا لاحتجاز المهاجرين الأفارقة. أما الذين تكون وجهتهم إسبانيا، فيقصدون معبر غدامس بين ليبيا والجزائر، فيدفعون للممررين الذين ينقلونهم على متن سيارات رباعية الدفع، لكن الكثير منهم يتعرضون للسلب والإحتيال من قبل هؤلاء، ما يدفع الكثير من المهاجرين إلى العبور سيرا على الأقدام. بعد عبور الحدود بنجاح يواصل المهاجرون رحلتهم على إمتداد التراب الجزائري باتجاه مدينة تجمع للمهاجرين في مدينة مغنية، وهي عبارة عن حفرة بين الجبال تبعد بضعة كيلومترات عن هذه المدينة، يسكنها حوالي ألف مهاجر بين نساء ورجال ينتظرون فرصتهم لدخول المغرب قاصدين مدينتي سبتة ومليلة الإسبانيتين أو مدينة طنجة على الضفة الجنوبية لمضيق جبل طارق (Mendy, 2009, pp. 213 215 219).

إن إنتماء الجزائر لهذا الفضاء الهجراتي (القانوني والسري على حد سواء) الموسع ألقى بثقله على هجرة الجزائريين بشكل عام والشباب بشكل خاص، حيث وجدوا أنفسهم "محاصرين من كل الجهات"، فالهجرة إلى دول الجوار، التي تكون في العادة منفذا لجميع مواطني بلدان العالم لتوسيع نشاطهم الإقتصادي والتجاري وفرصة للتنقل وإكتشاف عوالم أخرى بعوائق لغوية وثقافية أقل وبأقل جهد وتكلفة أيضا، أصبحت معقدة بسبب الأوضاع غير المستقرة أو غير المشجعة للكثير من دول الجوار (ليبيا، المغرب، مالي، التشاد، النيجر) لتبقى تونس الوجهة السياحية الوحيدة للجزائريين إلى بلد مجاور، كما تبينه الإحصائيات حول عدد السواح الجزائريين الذين قصدوا تونس

والذين بلغ عددهم 1,8 مليون سائح سنة 2016، لكن تونس لا يمكن أن تعوض ليبيا التي كان يقصدها الكثير من الشباب للعمل والتجارة.

إن المشكل الآخر الذي يطرحه إنغماس كل الدول المجاورة للجزائر في مشكلة الهجرة السرية، هو البعد الإقليمي الذي تأخذه هذه الظاهرة، وما يعنيه ذلك من بقاء لشبكات تهريب البشر نتيجة لبقاء الطلب عليها، فحتى لو نجحت السلطات المحلية لكل بلد في محاربة الممررين الصغار فهي ستجد نفسها عاجزة عن مواجهة شبكات تهريب دولية ذات إمكانيات أكبر (ذات موارد مالية من تهريب البشر، تهريب السلع الإستهلاكية، تهريب المخدرات). بالإضافة إلى المهاجرين القادمين من دول الجوار (من جنوب الصحراء بالتحديد) والراغبون في مواصلة رحلتهم باتجاه أوروبا، ليشجع نجاحهم في بلوغ أهدافهم الشباب المحلي وينمي رغبته في المحاولة.

10. واقع الجزائريين المقيمين في أوروبا:

بما أن الهجرات القانونية أو السرية من بلدان الجنوب إلى بلدان الشمال تكون عادة إستمرارية لعلاقة إستعمارية سابقة فالجزائريون لم يحيدوا عن هذه القاعدة، حيث تبقى فرنسا الوجهة الرئيسية لهم بـ 1,5 مليون جزائري مقيم حسب الإحصاءات الفرنسية و4 ملايين حسب نظيرتها الجزائرية (بلهامل، 2014، ص 50)، لذلك تكاد تكون الأبحاث المهتمة بهجرة الجزائريين إلى أوروبا منحصرة في هذا البلد، فحتى لو كان الكثير من المهاجرين السريين عبر البحر يقصدون إيطاليا أو إسبانيا فإن مقصدهم هذا يكون محطة مؤقتة قبل مواصلة الهجرة نحو فرنسا، كما أن الكثير ممن يقصدون ألمانيا، بلجيكا أو إنكلترا يمرون بهذه الأخيرة، لذلك سنبدأ الحديث عن واقع الجزائريين في أوروبا من هذا البلد يتبعه حديثنا عن إسبانيا، إيطاليا وألمانيا.

فرنسا:

يمكن الفصل بين واقعين من هجرة الجزائريين إلى فرنسا، المهاجرون من الجيل الثاني والثالث المولودون في فرنسا من آباء (يمثلون الجيل الأول) قدموا للعمل ما بين 1962 و1974 وبقوا بعد توقيف الهجرة للعمل، حيث يسكنون أحياء سكنية في ضواحي المدن الكبرى التي أصبحت جزءا من هويتهم وطبعت حياتهم بما ترمز له من مختلف أشكال التهميش والهشاشة الإجتماعية، والذين يكونون عرضة لاتهامات إعلامية وسياسية أو لتقييمات سلبية من قبل الفرنسيين الأصليين بعدم الإنذماج الإجتماعي وعدم السعي لتحسين وضعهم السوسيو–إقتصادي. أما الواقع الثاني فمتعلق بالمهاجرين القادمين بشكل سري منذ بدايات سنوات 90، والذين يختارون فرنسا بسبب

إكتسابهم للغتها وفهمهم لثقافة الفرنسيين وعاداتهم وحتى جغرافية هذا البلد وخصائص كل منطقة، فعادة ما يكون لهؤلاء المهاجرين أفراد من العائلة أو أقارب أو أشخاص ينحدرون من نفس منطقتهم يلجئون إليهم عند وصولهم كمرحلة أولى قصيرة المدة في الغالب يبحثون بعدها عن المبيت مع مهاجرين آخرين في بيوت تسيرها الجمعيات (كجمعية دعم كل المهاجرين ASTI) التي ينخرطون فيها عادة من أجل الحصول على الدعم والمرافقة الضروريين في صراعهم الطويل من أجل الحصول على الوثائق. أما الذين لا يملكون أقارب أو مهاجرين آخرين يلجئون إليهم أو الذين إستشعروا حرج أقاربهم أو أصدقائهم من إستقبالهم خوفا من عواقب قانونية محتملة فيباشرون منذ وصولهم البحث عن مكان للمبيت، قد يكون عقارا مهجورا (des squats)، محطة قطارات، وحتى في السيارة. (Têtu-Delage, 2009, p. 87)

يسمح إنضمام المهاجرين الجزائريين إلى مختلف الجمعيات التي تقدم المساعدة لهذه الفئة باكتسابهم المعارف حول حقوق المهاجرين أو فهم الخطوات الواجب إتباعها من أجل الإستفادة من إجراء قانوني ما، كما حدث مع المهاجرين الذين قدموا من الجزائر في سنوات 90، حيث طلبوا مساعدة هذه الجمعيات من أجل طلب اللجوء الإقليمي (l'asile territorial) الذي طبق على الجزائريين من سنة 1998 إلى غاية 2004، بعد أن تبناه المجلس الوطني الفرنسي في عام 1997 من أجل الأشخاص الذين يتعرضون في بلدانهم لتهديدات شديدة من طرف جماعات غير حكومية*، ولا يمكنهم الحصول على حماية دولتهم، حيث أحصت OFPRA ما بين 1998 و2004 241320 طلبا للجوء الإقليمي في حين أحصت وزارة الداخلية الفرنسية 100458 طلبا أغلبيتهم تقدم بهم جزائريون كبديل عن طلب اللجوء التعاقدي (l'asile conventionnel) الذي يعتقدون بأنه يمكن أن يعيقهم من العودة إلى الجزائر في المستقبل، أو يعرض أسرهم الباقية في الجزائر للخطر نتيجة لتصريحاتهم أثناء تقديمهم لطلب اللجوء لدى السلطات الفرنسية، لأن طلب اللجوء التعاقدي (لإتفاقية جنيف في 28 جويلية 1951 وقانون 25 جويلية 1952) يتضمن إقرارا بتعرض طالبه لإضطهادات متعلقة بالعرق، الدين، الجنسية، الإنتماء إلى جماعة إجتماعية أو إلى آراء سياسية معينة دون أن يتمكن من الحصول على الحماية في البلد الذي يحمل جنسيته.

يمكن للمهاجرين أن يلجئوا لطلب الحياة الخاصة والعائلية (vie familiale et privée)، حيث تضمن المادة 8 من الإتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان الحق في الحياة الخاصة والعائلية لمن وضعوا علاقاتهم العائلية ومصالحهم المادية بشكل ثابت في فرنسا (Têtu-Delage, 2009, pp. 8 125).

تأخذ إجراءات معالجة إحدى هذه الطلبات وقتا طويلا، وهو أمر يعيه المهاجرون تماما، حيث يتيح لهم ربح بعض الوقت من أجل فهم الإجراءات الإدارية والقانونية الواجب إتباعها ومعرفة البدائل الممكنة في حالة رفض

* إستهدف هذا القرار الجزائريين بالأساس وتم تعويضه إبتداءا من 2003 بالحماية الإعانية (la protection subsidiaire).

طلبهم، لكن يتوجب على المهاجر «بلا دار un blédard»، «un bledman» أو «le clando» كما يسميهم المهاجرون المقيمون بطريقة قانونية أو «من لا يملكون أوراق les sans papiers» كما تفضل الجمعيات والصحافة تسميتهم*، أن يضمن مكانا للسكن وعملا يوفر من خلاله حاجاته الأولية، من خلال توسعة شبكة علاقاته، والتعرف على من هم في مثل وضعيته والذين يمكن أن يدلوه على عمل ما، كما يمكن أيضا للجمعيات المهتمة بهذه الفئة أن تساعدهم في الحصول على أعمال مؤقتة.

يضطر المهاجرون إلى القيام بأعمال صغيرة لدى الأفراد كإصلاح الماكينات الكهرو–منزلية أو إصلاح ميكانيك السيارات، ويعيشون في جماعات صغيرة، حيث يتقاسمون تكاليف الأكل والمهام في الملجأ الذي يأوون إليه، ويشترون دراجات نارية أو سيارات قديمة في مواسم جني الفاكهة بالنسبة للذين يعملون في الريف، في حين يفضل آخرون العمل في المدن الكبرى (باريس، مرسيليا، ليون،...) في مجال البناء، الحدائق، الأمن، المطاعم أو خدمة الأشخاص في البيوت، أين يضطرون في الكثير من الأحيان إلى شراء بطاقة إقامة مزورة من أجل الحصول على الوظيفة، فكثيرا ما يلجأ المهاجرون السريون لمثل هذه الوثائق حينما تشتد الرقابة على مستخدميهم، فبالنسبة للعاملين في ميدان الزراعة يمكن الحصول على العمل بمجرد حصولهم على بطاقة CMU ورقم في الضمان الإجتماعي يمكن من خلاله لمستخدميهم أن يصرحوا بهم لدى تأمينات MSA (la mutuelle sociale agricole)، لكنهم يضطرون مع تشديد السلطات المعنية للرقابة إلى العمل بشكل سري دون التصريح لدى MSA أو بالإعتماد على وثائق مزورة (Têtu-Delage, 2009, pp. 75 104).

يصبح الحصول على الوثائق الهاجس الوحيد للمهاجرين السريين المقيمين في أوروبا، فهي التي تضمن لهم بناء مشروعهم الهجراتي والولوج إلى العالم الإستهلاكي والتمتع بالحقوق المدنية والسياسية التي طالما حلموا بها وتخلصهم من شبح العودة أو الترحيل إلى الجزائر، لأجل ذلك، عليهم أن يكونوا معرفة دقيقة بالقوانين والحقوق وكيفية توظيفها، وتطوير شبكة علاقات إجتماعية من أجل العيش بدون أوراق، بعبارة أخرى، عليهم أن يشتغلوا على مختلف الجبهات (الإقتصادية، السياسية، الإدارية، الإجتماعية، القانونية وغير القانونية، الفردية والجماعية) من أجل النجاح في البقاء في الدولة الأوروبية التي وصلوا إليها.

يدرك المقيمون السريون في فرنسا مع الوقت أهمية المعلومة القانونية والإدارية ويبدلون مجهودا كبيرا للحصول عليها، فكل معلومة أو حيلة تصبح ذات قيمة كبيرة ويمكن أن توظف أثناء مقابلة العون المكلف بملفات طالبي

* ترفض المحافظات هذه التسمية وتفضل إعتبارهم: مهاجرون في وضعية سرية des clandestins، مهاجرون في وضعية غير قانونية (immigrés en situation irrégulière)، طالبوا لجوء (des demandeurs d'asile)، طالبوا اللجوء العائلي (les demandeurs du regroupement familial).

اللجوء، لذلك يحرص المهاجرون على تبادل المعلومات وفهم القوانين من أجل الحصول على تسوية لوضعهم، فبعد الفشل في الإستفادة من "اللجوء الإقليمي" أو "الحياة العائلية والحياة الخاصة" ينتظر المقيمون السريون أي فرصة أو قانون يتيح لهم تسوية وضعيتهم، ففي سنة 2006 ظهرت دورية ساركوزي Sarkozy التي منحت للمقيمين السريين الذين لديهم أطفال متمدرسين إمكانية تسوية وضعيتهم، بعد أن تدخلت الجمعيات ومعلمي المدارس وأولياء التلاميذ لمساعدتهم في ذلك.

قبل ذلك أمكن للأطفال الجزائريين الذين ولدوا في فرنسا بعد 31 ديسمبر 1993 من أب ولد في الجزائر قبل 3 جويلية 1962 من أن يحصلوا على الجنسية الفرنسية، كما حصل الجزائريون الموجودون في وضعية غير قانونية والذين ولدوا قبل 1962 في الجزائر على تسوية لأنهم أنجبوا طفلا على المجال الفرنسي (Têtu-Delage, 2009, pp. 9 53).

هناك من المهاجرين من يختار الإرتباط بفرنسية من أجل الحصول على بطاقة إقامة قابلة للتجديد، حيث كان يمكنهم الحصول على بطاقة إقامة صالحة لمدة 10 سنوات بعد تحقيق الشرطة مع الزوجين، ففي سنة 2003، قدرت الإحصائيات أن جزائري من أصل إثنين وجزائرية من أصل أربعة إرتبطوا أو عاشوا مع فرنسي (ة) ذا جذور فرنسية (Hannebelle, 2003, p. 136)، لكن هذا الوضع تغير منذ 2007 حيث أصبح الحصول على بطاقة الإقامة يتطلب 4 سنوات من الحياة الزوجية ولكنها قابلة للسحب في حالة الإنفصال بعد هذه السنوات إلا في حالة وجود أبناء من هذا الزواج، وهكذا يصبح فيه مشروع شخصي كالزواج خاضعا للرقابة الإدارية والأسرية، حيث يتوجب على المهاجر أن يثبت عندما يتقدم للزواج من فرنسية بأن إختياره هذا ليس من أجل الحصول على الوثائق وإنما نتيجة لعواطف يكنها لها، كما يتوجب على الفتاة الفرنسية، خاصة إذا كانت صغيرة في السن، أن تقنع أهلها بتقبل من تقدم للزواج منها وبأنها واعية ومحصنة ضد إستغلال محتمل. لكن المقيمين السريين لا يختارون جميعهم هذا الحل ويفضلون إنتظار فرص أخرى، كإمكانية تسوية وضعيتهم "حالة بحالة cas par cas" من قبل المحافظ، حيث يتوجب عليهم أن يتعايشوا مع القوانين المتغيرة بشكل مستمر، والبحث عن بدائل أخرى لتسوية وضعيتهم، فمنذ ظهور قانون Ceseda (قانون دخول وإقامة الأجانب وحق اللجوء) المتبنى عام 2006، فقد هؤلاء إمكانية الحصول على وضع مقيم بعد 10 سنوات من التواجد في فرنسا (Têtu-Delage, 2009, pp. 170 208). إن هذا التغير في القوانين يغطي في الواقع، تشديدا لإجراء العيش على التراب الفرنسي بشكل قانوني، فـ «بطاقة مقيم la carte résident» التي تم إنشاءها سنة 1984، كانت صالحة لـ 10 سنوات وقابلة للتجديد، تمنح لكل من أقام بشكل منتظم على التراب الفرنسي لمدة 3 سنوات وتمكن الحاصل عليها من العمل. تماما كما حدث مع التسوية عن طريق الزواج، فبعد إصلاحات قانون الجنسية الذي تم إعتماده في جويلية 1993، أصبح الحصول على

الجنسية الفرنسية يتطلب عامين زواج من زوج (ة) فرنسي (ة) بدل 6 أشهر كما كان الأمر قبل هذا التاريخ (Roux, 2005, p. 19-20).

إن ما يزيد من معاناة هؤلاء المقيمين بشكل سري في البلدان التي يقصدونها هو تأرجحهم بين وضعين متناقضين، فمن جهة يتوجب عليهم الخروج إلى "ضوء النهار" والإحتكاك بالحياة اليومية من أجل كسب قوتهم وتأمين حاجياتهم والحصول على أي معلومة أو مساعدة يمكن أن تؤدي إلى نجاح مشروعهم الهجراتي، ومن جهة أخرى يتوجب عليهم البقاء متخفين عن الأنظار قدر المستطاع تفاديا للإعتقال، فيختارون الأعمال التي يمكن أن يقوموا بها بدون وثائق، وهي الأعمال التي يتجنبها المواطنون الأصليون عادة، فيكونون عرضة للإستغلال من قبل مستخدميهم دون أن يجرؤوا على طلب حقوقهم من السلطات الإدارية أو القانونية خوفا من التهجير إلى بلدهم الأصلي، ويعتبرون هذه الأعمال الصعبة ومحدودة الأجر وحياتهم الهشة مرحلة عابرة سيتجاوزونها بمجرد حصولهم على الوثائق، وبالتالي حقوق الإقامة والتحرك، حيث بينت الباحثة **ماري ثيراز ثيتو–دولاج** في دراسة أجرتها على مقيمين جزائريين بشكل سري في فرنسا بأن هؤلاء يخشون الترحيل لأن ذلك يعني فشلهم في مشروعهم، وتفاديا للخجل والسخرية التي يمكن أن يتعرضوا لها عند عودتهم إلى الجزائر، خصوصا إلى كانت هذه العودة بعد سنوات طويلة وبدون أموال يمكن أن يستثمروها في بلدهم (Têtu-Delage, 2009, p.190)، حيث أصبح من التقاليد في الجزائر أن يعود الرجال الذين تغربوا لمدة طويلة بسيارة وأموال يوظفونها في بناء مساكن أو إقامة تجارة، ويمنحون لأهلهم فرصة للتفاخر بما حققه إبنهم، لذلك لا يعترف الكثير من المهاجرين بدون وثائق أو الذين يعيشون في وضع قانوني بالصعوبات والتضحيات التي يبدلونها بشكل يومي من أجل العيش، ويرسلون صورا يطمئنون بها أهلهم الذين يتفاخرون مع الأقارب والجيران بنجاح إبنهم، ويزيدون بذلك من رغبة الشباب في محاولة الهجرة دون أن يعلموا بأن الثروات والنقود والنساء اللواتي يحلمون بها ليست للإنتشال من الشارع وأنها ليست من نصيب المهاجرين السريين والبطالين (Azzoug, 2012, p. 73-75).

بالرغم من مساهمة المقيمين بشكل سري أو المقيمين بشكل قانوني (من دول المغرب العربي أو دول جنوب الصحراء) في الإقتصاد الفرنسي من خلال قيامهم بأعمال البناء، الزراعة، مصالح النظافة والصيانة التي يتجنبها العمال المحليون لصعوبتها وقلة مردودها مقارنة مع أعمال أخرى، يبقى وجودهم غير مرغوب فيه، خصوصا في العشرين سنة الأخيرة، وذلك بحجة أنهم يزيدون في حجم البطالة ويشكلون تربة خصبة للآفات الإجتماعية (جرائم القتل، سرقة السيارات والممتلكات، الأعمال الإرهابية) ولا يبدلون جهودا من أجل الإندماج في المجتمع الفرنسي، في حين يشعر المهاجرون المغاربيون بما فيهم الجزائريون بأن إنتماءهم الإثني ولون بشرتهم تعمل كمحددات (beur, cité, immigré, ouvrier, musulman) تعيق حصولهم على مناصب عمل جيدة (Têtu-Delage, 2009,

(p. 185 لكن المشكل الحقيقي يكمن في الإختلاف الثقافي لهؤلاء المهاجرين عن ثقافة وعادات البلد الذي يتواجدون فيه، حيث تحدث عالم الإجتماع **عبد المالك صياد** عن «الغياب المزدوج la double absence» الذي يعيشه المهاجر الجزائري المقيم منذ سنوات طويلة في فرنسا دون أن يتمكن من أن يصبح فرنسيا لأنه لا يمكنه أن يتخلى عن ثقافته، ويعيش في الغالب هشاشة إجتماعية تعيق تمتعه بكل مزايا المجتمع الفرنسي ولكنه لم يعد جزائريا أيضا لأن سنوات غيابه منعته من تتبع تطور الدهنيات وتتابع الأجيال في الجزائر، وهو الغياب الذي يجعل من التقارب بين أفراد الجالية الجزائرية في الخارج وتضامنهم فرصة لإيجاد هوية جديدة لمواطنين لم يصبحوا فرنسيين بالكامل ولم يبقوا جزائريين بالكامل أيضا. إن هذا التقارب والتكتل في جمعيات أو التعاون والتضامن في الأحياء ينظر إليه من قبل أحزاب اليمين وبعض الفرنسيين على أنه فشل في إندماجهم وفي نجاح مبادئ الجمهورية أيضا وربما تربة خصبة للتطرف ومختلف الآفات الإجتماعية، في حين يراه المهاجرون المقيمون مكانا يجد فيه المهاجرون من يساعدهم حين يمرضون، ومن يتكفل بتحمل نفقات إرسالهم إلى مثواهم الأخير إلى الجزائر عند وفاتهم ومن يساعد أهلهم في فرنسا أو في الجزائر.

بالرغم من تشابه وضعية المهاجرين–المقيمين المغاربيين بشكل عام، إلا أن العلاقة بين الجزائريين ومضيفيهم الفرنسيين تبقى علاقة غير طبيعية ما زالت مرهونة بثقل التاريخ، فالفرنسيون مستاؤون دائما من الجزائريين الذين لا يكفون عن التذمر من وضعهم، ويتفننون في الممارسات التي تبين عدم إندماجهم في البلد الذي إستقبلهم، كحرق السيارات وأعمال الشغب في ضواحي المدن الكبرى، كتابات في سلالم العمارات من قبيل: «لقد هزمنا الفرنسيين في الجزائر، سوف نهزمهم في فرنسا»، ويستغرب الفرنسيون مختلف السلوكات المهددة، المطالبة، العنيفة والمزدرية لهم، ويتساءلون عن سبب ترك الجزائريين لبلدهم وعدم إستفادتهم من ثرواتها.

تكتسي مسألة إندماج المهاجرين–المقيمين في المجتمع الفرنسي أهمية كبيرة بالنسبة للسلطات الرسمية، الصحافة والرأي العام، فكثيرا ما تعزى سلوكات الشباب الجزائريين إلى تربية أسرهم التي لم تبدل الجهد الكافي لإدماجهم في ثقافة وعادات بلدهم المضيف، بل ساهمت في نفورهم منها من خلال نعت الفرنسيين بـ: incirconcis, impurs, mange-cochon، fromage، yaourts، gaouri، kafir، roumi، pp. (Péroncel-Hugoz, 2003, 119 121 122) لكن كثيرا من الأصوات ترجع فشل هؤلاء في الإندماج في المجتمع الفرنسي إلى تجاهل الفرنسيين للثقافات التي ينحدرون منها واعتقادهم بأن مبادئ الجمهورية الفرنسية عالمية، حيث يعتقد أصحاب هذه الأصوات بأن هذه المبادئ يجب أن تلقن من خلال التربية والتعليم (Maillot, 2003, p. 80).

في المقابل، لا يترك المهاجرون–المقيمون الجزائريون فرصة لاتهام المجتمع الفرنسي بمختلف شرائحه بأنه يرفض معاملتهم كمواطنين كاملي الحقوق، وبأن أصولهم وثقافتهم تؤثر على علاقتهم بالفرنسيين الأصليين، حيث يشتكي المغاربيون أيضا من نعوت من قبيل: un beur, un rabza, un rabzouille, un reubeu (بالنسبة للذين ولدوا في فرنسا) أو: un sidi, un arbi, un bylka, un maroco, un camaro (بالنسبة للقادمين من المغرب العربي)، حيث تصل هذه الشكاوى إلى حد المواجهة، ففي صيف 1991 أشعل شباب الضواحي إحتجاجات في كامل جنوب فرنسا: Narbonne، Saint-taurent-des-Arbres، Aix-en-provence، Carcassone (Rouadjia, 2003, p. 266). إن هذه الشكاوي تجد ما يؤكدها في مختلف الإحصاءات والدراسات التي يتم إجرائها بشكل دوري، ففي إحصاء أجري في 1999، تبين أن نصف المهاجرين العاملين تقريبا يشغلون منصب عامل (un ouvrier) مقابل 25 % من بين الفرنسيين بالولادة، وأن المهاجرين الشباب المقيمين الجزائريين والمغاربة هم الأكثر شغلا لهذا المنصب من بين بقية المهاجرين، كما أن هذا الإحصاء يبين زيادة المهاجرين المقيمين البطالين والذين لم يشغلوا أي وظيفة مقارنة بنتائج إحصاء أجري سنة 1982 (Noiriel, 2006, p. 4).

إن مشكل البطالة ومعه تراجع المردود المدرسي، تدهور السلوكات المدنية، الإنحرافات المختلفة والتجارة غير الرسمية أصبح السمة المميزة للأحياء ذات الأغلبية المغاربية، حيث أصبحت منذ سنوات 2000 محور النقاش الإعلامي والسياسي الذي قُيمت على أساسه حصيلة الحكومات المتعاقبة في ميدان الإدماج وتعزيز الهوية الوطنية، فهذه «الأحياء الحساسة» أو «المناطق ذات الأولوية الأمنية» هي المحك الذي تُقيَم على أساسه فلسفة الإدماج التي تميز سياسة الدولة الفرنسية في ميدان الهجرة.

إسبانيا:

تحتل إسبانيا مكانة مهمة في هجرة الجزائريين نحو الخارج، فبالإضافة لهجرة الجزائريين القانونية إليها سمح قربها الجغرافي من الشواطئ الغربية للبلاد بتطور الهجرة السرية بالقوارب باتجاه أقرب الشواطئ الإسبانية.

كغيرهم من المهاجرين القادمين من المغرب العربي أو من دول جنوب الصحراء، يتجه المهاجرون الجزائريون نحو المقاطعات التي توفر فرصا لعمل المهاجرين الذين لم يسووا وضعهم، وهي مقاطعات ذات نشاط فلاحي بالأساس، حيث يعيش المهاجرون السريون على إيقاع مواسم جني الخضار والفواكه، فمقاطعة Jaén الواقعة في الأندلس تستقطب ما بين 5000 و7000 عامل أجنبي سنويا خلال موسم جني الزيتون، في حين تتخصص

مقاطعة Almeria في زراعات البيوت البلاستيكية، أما مقاطعة Huelva فتحتل مكانة مهمة في زراعة الفراولة غير الموسمية والتي تصدر منتوجاتها نحو كامل أوروبا (Laffort, 2009, pp. 303 306).

يتقاضى المهاجرون ما بين 28 و50 أورو يوميا في أغلب الأحيان، لكن هذه الأجرة تبقى غير كافية نتيجة لتدبدب أيام العمل، وكثرة مصاريف السكن والماء والغذاء والنقل في بعض الأحيان، فالمهاجرون يتم إختيارهم يوميا من قبل أصحاب المستثمرات الفلاحية الإسبان ويتم إستغلالهم، في المتوسط، لعشر ساعات في اليوم، كما يتوجب عليهم دفع أجرة مأوى هش يوفره أرباب العمل الإسبان لعمالهم، كل هذه المعطيات تجعل المهاجر في وضعية إجتماعية هشة تزداد سوءا مع إشتداد الأزمات الإقتصادية التي تمس أوروبا.

عرفت إسبانيا في النصف الثاني من الثمانينات هجرة معتبرة لعائلات جزائرية وإستقرارها في مقاطعات: Alicante، Valencia، Murcia، حيث عمل أفرادها في الزراعة والتجارة، لكن إسبانيا عرفت إستمرارا لهجرة الجزائريين إليها في فترة التسعينات، وهم شباب في الغالب (90 %)، غير متزوجون، يعمل نصفهم في الزراعة وحوالي 11-12 % منهم في البناء والقطاع الصناعي. أما عن الصورة النمطية التي ولدها تواجد الجزائريين في إسبانيا فيلخصها تصريح ماريا إيزابيل Maria Isabel ممثلة الصليب الأحمر الإسباني ليومية الخبر (في 2002) بأن «الجزائري النمطي، شاب بين 20 و30 سنة، لا يتقن مهنة محددة، شبه أمي، ... لا يتقن الإسبانية سوى ما يساعده على التفاهم العادي مع الناس، همه الوحيد الحصول على وثائق الإقامة والحصول على عمل يسترزق منه للعيش، ثم الإنفاق على عائلته في الجزائر، قبل التفكير في الإستقرار» (دليو وآخرون، 2003، ص 102-104).

تلخص هذه الصورة النمطية ما تحدث عنه **فضيل دليو*** عن وضع المهاجرين الجزائريين الصعب في إسبانيا بسبب تواجدهم غير القانوني في أغلب الأحيان، حيث يعيشون حالة من عدم الإستقرار المهني، هشاشة الإندماج وصعوبة الحفاظ على الممارسات الثقافية والدينية (فيلالي، 2009، ص 166)، لكن هذا الوضع راجع أيضا لكثرة الوافدين البرتغاليين، المغاربيين والأفارقة.

إيطاليا:

مثل إسبانيا بدأت مشكلة المهاجرين المقيمين في إيطاليا بالبروز مع نهاية الثمانينات، أي مع تزايد أعداد القادمين بشكل سري عن طريق البحر، حيث ارتفعت أعداد المهاجرين السريين ما بين عامي 1990 و1996 من 0,57 إلى 1,1 مليون مهاجر) (Noé, 2015, p. 21)، منتشرين في المقام الأول في: Rome، Milan، Turin،

* فضيل دليو، باحث في علم الإجتماع، جامعة قسنطينة، الجزائر

Brescia ثم في: Padoue، Trévise، Vérone، Bergame، Modène، Florence، Naple ومرتكزين في شمال إيطاليا (59 %) (Scricciolo, 2006, p. 145)، لكن على عكس المغاربة والتونسيين الذين يمثلون أغلبية المغاربيين المهاجرين العاملين في إيطاليا لعدة عشريات، لم تبرز إيطاليا كبلد وجهة للجزائريين إلا في سنوات 2000 مع بداية الرحلات البحرية السرية من الشواطئ الشرقية الجزائرية باتجاه جزيرة سردينيا، لتبقى نسبة الذين يمكثون في هذا البلد أقل من نسبة المهاجرين الجزائريين الذين يواصلون رحلتهم باتجاه فرنسا أو بقية بلدان أوروبا الغربية الشمالية.

مازالت قوارب الشباب الجزائريين تصل من حين لآخر إلى إيطاليا ولكنها قلت بشكل ملفت بسبب تشديد السلطات الإيطالية لسياستها الهجراتية التي ترجع إلى سنة 2008، بداية حكم برلسكوني وتبني مشروع قانون حول الأمن يشدد على مراقبة إقامة الأجانب إلى درجة فرض معها على أطباء المناطق المختلفة الوشاية بالمهاجرين السريين المرضى الذين يقصدونهم، وسمح للجيران بالوشاية بمن يُسكنهم وفرض غرامة مالية قدرها 3000 أورو على صاحب البيت المستأجر (Palmisano, 2009, p. 269-270)، يضاف لها تفعيل إتفاقية إستعادة المهاجرين الموقعة بين البلدين منذ 24 فيفري 2000.

تعكس هذه الإجراءات تزايد أعداد القادمين إلى إيطاليا عن أولئك الذين تحتاجهم هذه الأخيرة في نشاطاتها الزراعية والصناعية المعتادة، خصوصا بعد تغيير النظام في كل من تونس وليبيا في 2011 والأعداد الهائلة التي عبرت المتوسط، مع ما يتطلبه ذلك من إجراءات ونفقات هائلة، حيث تؤكد إيطاليا أنها صرفت ما بين 2005 و2014 مليار أورو على مراكز للاجئين وطالبي اللجوء (Noé, 2015, p. 61)، أما عن إنعكاس ذلك على هجرة الجزائريين فمن الواضح أن الشباب الجزائريين المرشحين للهجرة السرية يفضلون منذ سنوات بلوغ أوروبا الغربية، أو ألمانيا والنمسا بالتحديد عن طريق تركيا ودول البلقان.

ألمانيا:

لقد كانت ألمانيا كغيرها من بلدان أوروبا الغربية بحاجة إلى اليد العاملة الأجنبية طوال سنوات الإعمار بعد الحرب العالمية الثانية (من 1945 إلى غاية 1973) ففي حين جلبت فرنسا الجزائريين، البرتغاليين، الإسبان والإيطاليين إعتمدت هي على العمالة القادمة من تركيا ويوغسلافيا سابقا.

تعاني ألمانيا منذ سنة 1972 من زيادة في عدد الوفيات مقارنة بعدد المواليد، حيث بلغ العجز في عدد المواليد في سنة 2013 211700، لذلك أعلنت أنجيلا ميركل في بداية سبتمبر 2015 عن رغبة بلادها في إستقبال 800 ألف لاجئ سوري واتخذت قرارا بصرف 6 مليار أورو لأجل ذلك، فبالرغم من أن هذا القرار يعني صعوبات في

إيجاد عمل وسكن لهم إلا أن هذا القرار مرض لأرباب العمل الألمان المحتاجين لليد العاملة الضرورية لنمو الإقتصاد على المدى المتوسط والبعيد، لكن ميركل سرعان ما أعلنت إيقاف العمل بإتفاقية شنغن بسبب الأعداد الهائلة من اللاجئين السوريين وبقية المهاجرين السريين من بلدان أخرى (Noé, 2015, pp. 17 47 96).

يقصد الشباب الجزائري ألمانيا قادمين من فرنسا عادة، سعيا إلى ظروف إقامة أو شروط تسوية أرحم، لكنها أصبحت وجهة للمهاجرين السريين منذ سنوات (وبالخصوص مع أزمة اللاجئين السوريين) عن طريق تركيا وعدد من دول البلقان.

رغم بعض الإختلافات بين ظروف الإقامة في مختلف البلدان الأوروبية، إلا أن ضعف موارد المهاجرين واعتمادهم على مساعدات الدولة يجعلهم في وضعية إجتماعية هشة ويحد من قدرتهم على تسيير حياتهم كما يشتهون، حيث تحدثت **كاثرين دالكروا Catherine Delcroix** في كتاب كرسته لدراسة إثنو–سوسيولوجية لعائلة مغربية مقيمة في فرنسا عن الإستراتيجيات التي يتوجب على الأسر المغاربية وضعها بشكل يومي من أجل مواجهة النقص في الموارد المادية.

إن هذه الهشاشة الإجتماعية حتمت على هؤلاء المهاجرين البقاء في أحياء تكاد تخلوا من الفرنسيين الأصليين، ما جعل هذه الأخيرة تكتسب هوية مختلفة، حيث أصبح الحديث عن أحياء الضواحي مرتبطا بالمغاربيين وكثرة أعمال الشغب، إرتفاع نسبة البطالة، تجارة الممنوعات، السرقة وتخريب الممتلكات، وهذا ما زاد من عزلة شباب هذه الأحياء واكتسابهم صورة سلبية عن أنفسهم ما صعب من إندماجهم، حيث بينت دالكروا بأن الأولياء الذين يمثلون الجيل الأول لم يشعروا بالإقصاء لأنهم يرون أنفسهم محظوظين مقارنة بأقاربهم الذين بقوا في بلدهم الأصلي أما أبناؤهم (الجيل الثاني) أو أحفادهم (الجيل الثالث) فهم يقارنون أنفسهم بالشباب من جيلهم ويشعرون بالتهميش

(Delcroix, 2005, pp. 15 211-212). أما المهاجرون السريون القادمون حديثا فلا يمكنهم إدراك هذا الواقع إلا بعد وصولهم واحتكاكهم مع مواطني هذه البلدان ومؤسساتها، غير أن وضعهم سيكون أصعب لأن مصيرهم مرهون بحصولهم على الأوراق الضرورية لتسوية وضعيتهم.

11. إجراءات الدول الأوروبية لمواجهة الهجرة السرية:

يمكن تلخيص تطور الوضع الهجراتي في حوض البحر الأبيض المتوسط في المراحل الثلاثة التالية:

- **المرحلة قبل 1985:** التي تحكمت فيها الدول الأوروبية في تدفق المهاجرين القادمين إليها من جنوب المتوسط من خلال التحكم في أعداد المهاجرين العاملين وفي إجراءات التجميع العائلي.
- **المرحلة من 1985 إلى 1995:** التي عرفت زيادة المهاجرين الراغبين في القدوم إلى أوروبا من جنوب المتوسط وإغلاق مناجم الفحم في فرنسا وبلجيكا التي كانت تشغل المهاجرين الأفارقة.
- **المرحلة من 1995 إلى اليوم:** تشديد إجراءات التجميع العائلي وإبرام إتفاقات ترحيل مع دول جنوب المتوسط لإستقبال مهاجريها (الشهاوي، 2009، ص 37-38).

شجعت الدول الأوروبية في سنوات 1960 قدوم الأفارقة (المغاربيين ومن جنوب الصحراء les subsahariens) من مستعمراتها السابقة بهدف تلبية حاجاتها من اليد العاملة الضرورية لإعادة الإعمار والإنطلاقة الإقتصادية الكبيرة التي عرفتها بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وإستجابة لحاجة الدول الإفريقية لهذه الهجرة أيضا (التخفيف من الوضع الإقتصادي السيء الناجم عن الإستعمار من خلال توفير فرص عمل لمواطنيها خارج التراب الوطني)، حيث إستمرت هذه الهجرة الإقتصادية إلى غاية 1976 وأعتبر خلالها تواجد هؤلاء الأفارقة مؤقتا، حيث تحكمت الدول الأوروبية في هجرتهم من خلال إنتقائهم في بلدانهم والتحكم في عددهم، ولكن بعد حوالي 30 سنة بدأ الطلب على اليد العاملة الإفريقية ينخفض ومعه الإقامة المنتظمة (l'immigration régulière) لتبدأ سياسات أوروبية جديدة تقوم على توجهات ثابتة جوهرها التحكم في تدفق المهاجرين وانتقائهم، في المقابل، تغيرت أهداف المهاجرين وأساليبهم في الهجرة، حيث أصبحت الهجرة من أجل بناء حياة جديدة وليس لمساعدة الأسرة الماكثة في البلد الأم فقط، وهو وضع غير مرتبط بالأفارقة لوحدهم، فمن مجموع المهاجرين المقيمين في أوروبا لا يمثل من هم في إقامة إقتصادية (une immigration économique) سوى 15 %، أما في فرنسا فهذه الشريحة تمثل 7 % فقط من مجموع الأجانب، والذين قدموا في أطر عائلية أو إنسانية أو بطرق غير قانونية (Perrin, 2009, p. 19-20).

يعكس تغير السياسات الهجراتية للإتحاد الأوروبي تراجعا في حاجة بلدانه لليد العاملة الأجنبية، نتيجة لإنتهاء ورشات إعادة الإعمار التي تلت الحرب العالمية الثانية، أو لغلق مناجم الفحم التي كانت تستوعب هؤلاء المهاجرين في فرنسا وبلجيكا في الفترة الممتدة بين 1985-1995، حيث يعتري مواطني الدول الأوروبية شعورا عاما بمزاحمة

الأجانب للسكان الأصليين في سوق العمل*، وتسببهم في زيادة الإنفاق ونمو الإقتصاد غير الرسمي. إن تغير سياسات الهجرة لدول الإتحاد الأوروبي راجع أيضا لتوجهها منذ إنشاء الفضاء الأوروبي المشترك نحو هوية أوروبية جديدة، وبالتالي إنطواء هوياتي وإثنو–ثقافي غير متحمس لقدوم الأجانب خصوصا إذا كانت الصورة العامة بشأنهم سلبية (كما هو حال القادمين من دول المغرب العربي وإفريقيا)، حيث يظهر هذا الإنطواء الهوياتي والبحث عن تجانس الثقافة الوطنية من خلال تبني نصوص قانونية تمنح الأولوية للمواطنين الأوروبيين في ميدان العمل والتشديد في إجراءات لم الشمل العائلي (le regroupement familial) من خلال فرض إجراء تحليل ADN لإثبات القرابة الدموية مع الشخص الذي يود المهاجر الإلتحاق به في البلد المستقبل (Perrin, 2009, pp. 21 .23)

إن المبرر الآخر الذي تتحجج به الدول الأوروبية هو التهديد الأمني المتمثل في الجريمة المنظمة، العصابات (le banditisme)، والإرهاب، خصوصا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 في و م أ وتفجيرات لندن في جويلية 2005، قضية مراح في مارس 2012 و Charlie hebdo في فرنسا في جانفي 2015. وهكذا ساهم تخوف المجتمعات الأوروبية على رفاهيتها وأمنها وثقافتها الغربية في الحد من الهجرة الإقتصادية من خارج الفضاء الأوروبي، لكن غلق الحدود أمام الباحثين عن حياة أفضل زاد من طالبي اللجوء الذين أصبحوا بديلا للمهاجرين الإقتصاديين ونمى من عدد القادمين بشكل سري.

أصبح طلب اللجوء إلى إحدى البلدان الأوروبية بديلا للهجرة الإقتصادية، حيث يتوجب على طالبي اللجوء أن يثبتوا بأنهم مهددون في بلدهم بسبب آرائهم السياسية أو أنهم فروا نتيجة لتعرضهم للإضطهاد بسبب إنتمائهم إلى جماعة إثنية محددة أو بسبب إتباعهم لطائفة دينية ما، في حين يتوجب على طالبات اللجوء بأن تؤكدن على أنهن فررن بسبب محاولة أهلهن تزويجهن بشكل قسري، لكن هذا الأمر لا يحدث دائما حيث يتحدث طالبوا اللجوء خصوصا الأفارقة منهم عن أسباب لا يفهمها الأوروبيون أو لا يعطونها نفس الوزن مثل: الشعوذة، التنكيل بالجسد (la mutilation corporelle) أو يتحدثون عن أسباب لا يود مضيفوهم سماعها كالحديث عن البؤس الإقتصادي (Straehle, 2009, p. 115).

يبرهن النقاش الذي يحتدم بشكل دوري حول واقع إندماج المهاجرين القادمين من بلدان مختلفة ومن ثقافات مختلفة وانصهارهم في المجتمعات التي إستقبلتهم على عمق المخاوف التي يثيرها القادمون الجدد بشأن الوضع

* يدرك 43 % من الإسبان الهجرة كفرصة إيجابية لأوروبا مقابل 37 % فقط من الإنكليز، 33 % من الإيطاليين، 27 % من الألمان، 25 % من الفرنسيين (Gourévitch, 2014, p. 139).

الإقتصادي والثقافة والهوية الوطنية بشكل خاص والهوية الأوروبية الفتية بشكل عام وحتى إمكانية تدهور الوضع الأمني، فمن الجانب الإقتصادي يثير الوافد الأجنبي الإنزعاج لدى المواطنين بسبب النفقات التي تتطلبها الإجراءات الإدارية والقانونية والأمنية*، تضاف لها إجراءات المراقبة على الحدود والتعقب وحتى الحبس المؤقت إذا تعلق الأمر بمهاجر سري، والمنح التي تقدمها بلدانهم للقادمين الجدد**، والتي يعرفون بأن مصدرها الضرائب التي يدفعونها بشكل دوري من أجل الإستفادة من الخدمات العمومية، لذلك يستحسن أن يكون للوافد الأجنبي مؤهل علمي أو مهني يعيله ويجعله مفيدا للمجتمع الذي إستقبله، وأن يكون شابا وفي صحة جيدة أو في وضع مالي مترف.

تؤرق مسألة الهوية والإندماج مواطني الدول الأوروبية بدرجات متفاوتة، فالأجانب القادمون من أوروبا الشرقية مدركون على أنهم أقرب ثقافة وأكثر قابلية للإنصهار في البلدان التي إستقبلتهم، في حين لا يبعث القادمون من شمال إفريقيا أو من دول تحت الصحراء أو من بلدان الشرق الأوسط أو وسط آسيا على الاطمئنان بسبب إختلاف لغاتهم (لا يطرح هذا المشكل بالنسبة للمستعمرات الإفريقية الفرنسية التي تبنت اللغة الفرنسية كلغة رسمية أو بقية الدول الإفريقية التي تتحدث لغة مستعمريها السابقين) وديانتهم وثقافتهم، ففي دراسة أجريت في فرنسا في سنة 2013 (دراسة Ipsos) رأى 74 % من المستجوبين بأن الإسلام غير متسامح وغير منسجم مع الثقافة المحلية (Gourévitch, 2014, p. 135)، لذلك يصر الفرنسيون والأوروبيون عموما على ضرورة تمكن المهاجر الجديد من اللغة الوطنية كخطوة أولى يبرهن من خلالها على رغبته في الإندماج، وكوسيلة تتيح له فهم ثقافة وعادات البلد الأوروبي المستقبل، كما يصرون على أن تعمل المؤسسات المجتمعية (المدرسة، الجيش، الكنيسة، العمل، الحي) دورها كمحركات للإندماج، لكن وضع المهاجرين الهش في الكثير من الحالات يجعلهم يتكتلون في تجمعات إثنية أو وطنية من أجل التعاون في أمور الحياة اليومية والتخفيف من الإغتراب الذي يواجهونه بشكل دوري، وهو السلوك الذي يدركه الأوروبيون على أنه عدم قابلية للإندماج وخطر على الهوية والمبادئ الوطنية. فعدم ثقة مواطني الدول الأوروبية في المهاجرين وشعور هؤلاء بأنه غير مرغوب فيهم أدى إلى التصادم في مرات عديدة، كما حدث في فرنسا في 2005، أو في بريطانيا حين إحتج شباب مسلم على مشاكل متعلقة بالعرق، الدين، الهوية والإنتماء (Straehle, 2009, pp. 10 11 20).

* يكلف الإستقبال السنوي لـ 200 ألف مهاجر قادم إلى فرنسا مثلا، 18 مليار أورو تصرف جلها على البنى التحتية (Gourévitch, 2014, p. 161).

** في فرنسا، يشير كتيب الإستقبال «Vivre en France» المقدم للقادمين الجدد، إلى أن القادم الجديد يمكنه، إذا كان سنه 65 سنة، أن يحصل على أجرة تقاعد تقدر بـ 709 أورو أو 1157 أورو إن كان يعيش مع زوجه (Gourévitch, 2014, p. 62).

سياسيا، يمكننا أن نميز بين تيارين رئيسيين هما أحزاب اليمين وناخبيهم الذين ينظرون إلى القادمين من بلدان العالم الثالث على أنهم مهاجرون إقتصاديون يبحثون عن ظروف إقتصادية وإجتماعية أفضل وبالتالي فهم يشكلون خطرا على الأمن الإجتماعي والإقتصادي للبلد الذي يستقبلهم، لذا يجب ترحيلهم لثني المهاجرين الذين لم يأتوا بعد عن القدوم. ففي سبر الآراء CSA الذي تم إجراءه من قبل يومية Direct matin في فرنسا في 2012 برز ناخبو Marine Le Pen (رئيسة حزب اليمين المتطرف: الجبهة الوطنية) كمعارضين لتواجد المهاجرين من خلال وضعهم لمسألة الهجرة على رأس إهتماماتهم الإنتخابية بـ 66 %، في حين وضعها بقية الناخبين في المرتبة الخامسة بـ 20 % (Gourévitch, 2014, p. 134)، أما دراسة Ipsos التي أجريت في فرنسا في 2013 بعد عام من فوز فرنسوا هولاند بإنتخابات الرئاسة في 2012، فبينت أن 83 % من المجيبين على سبر الأراء المنحازين إلى حزب اليمين (UMP) يرون بأنه يوجد الكثير من الأجانب في بلدهم ولو أن بقية المستجوبين أبدوا تخوفا أيضا من هذا الواقع (70 %)، في حين رأى 29 % فقط من مجموع المستجوبين بأن المهاجرين الذين إستقروا في فرنسا في 30 سنة الأخيرة قد إندمجوا فعلا (Gourévitch, 2014, p. 135)، ويظهر هذا التوجه المضاد للمهاجرين في صعود أحزاب اليمين المتطرف في السنوات الأخيرة في كل من: النمسا، هولندا، إيطاليا، سويسرا وبولندا.

في المقابل هناك أحزاب اليسار التي تركز على المهاجرين بدون وثائق والذين يعملون في ظروف صعبة بتواطؤ من الحكومات المستقبلة، ويستغلون من طرف أرباب العمل من خلال القيام بالأعمال القدرة وبمقابل زهيد، وهو وضع يؤثر على عمال البلد المستقبل، لذا يجب على هؤلاء العمال المحليين التضامن مع المهاجرين والنضال من أجل أن يسووا وضعيتهم (Straehle, 2009, p. 145-146). لقد جسدت هذه المبادئ بمجرد فوز اليسار بالحكم في فرنسا في 1981، من خلال تسوية وضعية المهاجرين آنذاك، وإيقاف العمل بالترحيل، والمناداة بالمساواة في فرص العمل بين المهاجرين والسكان الأصليين*، ووعد المهاجرين بإمكانية إنشاء جمعيات والحصول على الحق في الإنتخاب وإعادة فتح الحدود (Gourévitch, 2014, p. 148-149)، لكن الكثيرين في المقابل يعتقدون بأن اليسار يهدف، من وراء موقفه هذا من المهاجرين، لكسب أصوات الأجانب الذين يملكون الحق في التصويت في الإستحقاقات الإنتخابية.

جعل توقيع الدول الأوروبية في 1995/03/26 على إتفاقية **شنغن Schengen**، التي تضمن تنقل مواطني الدول الموقعة على هذه الإتفاقية بدون تأشيرة، من أوروبا قلعة محصنة، حيث تم رفع النقاط الحدودية بين هذه الدول، وتم تشديد قوانين الهجرة وإجراءات دخول القادمين من الدول الفقيرة، إذ أصبح رفض طلب التأشيرة من بلد

* تم تبني قانون في 17 أكتوبر 1981 يلغي تفضيل العمال المحليين في سوق العمل.

من البلدان الموقعة على هذه الإتفاقية عائقا أمام الحصول على التأشيرة من بلد آخر ينتمي إلى هذه الإتفاقية (رزيق المخادمي، 2012، ص 58).

يستجيب فضاء **شنغن** الذي بلغ عدد منتسبيه إلى غاية 2011 26 دولة، ماعدا بريطانيا، إيرلندا وقبرص، لرغبة البلدان المنتمية إليه في بناء هوية أوروبية مشتركة ولإعتبارات ثقافية، أمنية وإقتصادية، ففي مقابل حرية تنقل وتعاون إقتصادي وتبادل تجاري وثقافي داخلي، تسعى الدول الأوروبية منذ المجلس الأوروبي الذي عقد في 2002 في **سيفيل Séville** (جنوب إسبانيا) إلى التحكم في مجالاتها الجغرافية وحركة الأشخاص القادمين إليها من خلال:

أ) التشديد في القوانين المتعلقة بإقامة الأجانب والحصول على الجنسية وكذا إجراءات التجميع العائلي (le regroupement familiale)؛ ففي فرنسا مثلا، شدد قانون ساركوزي la loi de Sarkozy المتعلق بإقامة الأجانب والجنسية (المتبنى في 26 نوفمبر 2003) الذي دخل حيز التنفيذ في 2004 من الإجراءات الواجب على المهاجرين إتباعها لتسوية وضعيتهم:

- تمديد مدة إحتجاز الأجانب المتواجدين على التراب الفرنسي بصفة غير قانونية من 12 إلى 30 يوما.
- خلق ملف لبصمات أصابع اليد.
- ربط الزواج مع أجنبي في وضعية غير قانونية بمقابلة مسبقة للزوجين المستقبليين مع ممثلي الإدارة.
- تمديد مدة الحياة المشتركة من عام إلى عامين لمنح المتزوج من فرنسي (ة) بطاقة إقامة.
- زيادة العقوبات في حالة الزواج الأبيض أو العمل بصفة غير قانونية.

(Têtu-Delage, 2014, p. 78-79)

من جهة أخرى تم التشديد على العقوبات (إصلاحات 2003) التي تتضمنها المادة 21 من الأمرية 54-8562 في 2 نوفمبر 1945 والموجهة ضد الذين يساعدون الأجانب المتواجدين في وضعية غير قانونية على الدخول والتنقل والإقامة في المجال الفرنسي.

أما فيما يخص طلبات التجميع العائلي فقد أصبح في وسع السلطات الإدارية والقانونية الفرنسية، وفقا للمادة 13 من القانون الفرنسي المتعلق بالتحكم في الهجرة (l'immigration)، الإدماج واللجوء، طلب الدليل الجيني من أجل التحقق من إنتساب مشكوك فيه أو غير موجود (Straehle, 2009, p. 121).

ب) ترحيل المهاجرين غير الشرعيين من خلال إتفاقيات مع بلدانهم الأصلية؛ حيث أمضت دول الإتحاد الأوروبي إتفاقيات مع الدول التي ينحدر منها المهاجرون المتواجدون بطريقة غير قانونية والذين لم يستطيعوا تسوية وضعيتهم، فعلى غرار بقية بلدان المغرب العربي أمضت الجزائر مثلا إتفاقيات إعادة إدماج مع:

- ألمانيا في 1 نوفمبر 1999.
- إيطاليا في 24 فيفري 2000.
- فرنسا في 25 أكتوبر 2003.
- إسبانيا في 18 فيفري 2004.
- سويسرا في 03 جويلية 2006.
- المملكة المتحدة في 11 جويلية 2006.

وتسعى لإبرام إتفاقيات مماثلة مع بلجيكا، لوكسمبورغ، مالطا وهولندا (Perrin, 2009, p33).

تسمح هذه الإتفاقيات الثنائية مع بلدان المغرب العربي بترحيل المهاجرين غير المرغوب فيهم، أما الذين يقاومون الترحيل فقد أصبح في وسع الدول الأوروبية الإستفادة من محتوى الميثاق الأوروبي بشأن الهجرة واللجوء السياسي الذي يجيز إحتجاز المهاجرين السريين الذين يقاومون الترحيل لفترة تصل إلى 18 شهرا، ومنعهم من دخول الإتحاد الأوروبي لمدة 5 سنوات لاحقة (رزيق المخادمي، 2012، ص 60).

ج) مراقبة الحدود البحرية والبرية والجوية؛ من خلال تعزيز التعاون الأوروبي من جهة وحث البلدان التي يأتي منها المهاجرون السريون على بدل جهود أكبر لردعهم من جهة أخرى، حيث صدرت بهذا الشأن الوثيقة الخضراء التي تشمل التعاون الأوروبي من جهة والتعاون مع دول شمال إفريقيا من جهة أخرى في ميدان الهجرة.

يمكن لأشكال المراقبة هذه أن توضع من قبل الدول الأوروبية الواقعة على الحدود البحرية الجنوبية للإتحاد الأوروبي، كما فعلت إسبانيا بتأسيسها في زمن حكومة آزنار Aznar في 1999 للنظام الإلكتروني المعروف إختصارا بـ SIVE (النظام المدمج لليقظة الخارجية) والذي يتضمن: رادارات، روابط بالأقمار الإصطناعية، كاميرات حرارية وما تحت حمراء، بالإضافة لوحدات للتدخل السريع في البحر وطائرات هليكوبتر من أجل التصدي لتجار المخدرات وقوارب المهاجرين القادمين من الضفتين الجزائرية والمغربية وبالتالي حماية المياه الإقليمية الإسبانية (مضيق جبل طارق بالتحديد) قبل أن يصبح دوره حماية كامل شواطئ الأندلس في 2005 وحماية منطقتي سبتة ومليلة فيما بعد (Madrisotti, 2014, p. 79)، كما وضعت دول الإتحاد الأوروبي مجتمعة آليات مشتركة تقوم بنفس الدور أهمها وكالة فرونتكس.

تم إنشاء وكالة **فرونتكس Frontex** (الوكالة الأوروبية لتسيير التعاون العملياتي على الحدود الخارجية) في 2004 للتنسيق في البداية بين بلدان الإتحاد الأوروبي فيما يخص التشريعات المتعلقة بالهجرة ليصبح دورها منذ 2006 حماية الحدود الخارجية للإتحاد الأوروبي من خلال التنسيق بين البحريات الإيطالية، اليونانية والمالطية

لمراقبة المياه المتاخمة للحدود الإقليمية لليبيا، تونس والجزائر، كما تساند البحرية الإسبانية في مراقبة مضيق جبل طارق والطرق البحرية بين المغرب، موريطانيا والسنغال وجزر الكناري وكذا متابعة المهاجرين السريين الذين نجحوا في الدخول إلى المجال الأوروبي المشترك (Madrisotti, 2014, p. 77-78)، كما تم الإتفاق على البدء في مشروع Neptune (عملية أوروبية لمراقبة الحدود الخارجية للإتحاد الأوروبي) بين فرنسا، قبرص، مالطا، ألمانيا، اليونان، هولندا، إسبانيا، المملكة المتحدة وEuropol في 10 سبتمبر 2003، كما تم إنشاء مركز مراقبة وحراسة الحدود البحرية في Palerme (سيسيليا، إيطاليا) هدفه كبح والوقاية من الإقامة السرية في دول الإتحاد الأوروبي (Musette, 2006, p. 185). أما على الصعيد الخارجي فقد تم إحداث مجموعة TREVI التي تتضمن وزراء العدل والداخلية لدول المتوسط من أجل حث دول جنوب المتوسط على تعزيز قوانينها بشأن الهجرة السرية وشبكات نقل المهاجرين البرية والبحرية والجوية (رزيق المخادمي، 2012، ص 80) حيث يضمن برنامج AENEAS الذي أقره القانون رقم 2004/491 مساعدة هذه البلدان تقنيا وماليا في ميدان الهجرة واللجوء من خلال:

- ❖ الإسراع في إبرام إتفاقات إعادة القبول.
- ❖ متابعة الإصلاحات التشريعية في ميدان الهجرة واللجوء.
- ❖ تعزيز وسائل مراقبة الحدود والمجالات (Perrin, 2009, p. 24).

أما فيما يخص مشكلة جوازات السفر المزورة، التي تمثل حسب بعض التقديرات 10 % من مجموع الجوازات التي تمنح للمهاجرين من بلدان أجنبية عن دول الإتحاد الأوروبي، فتعول الدول الأوروبية على تعميم إستخدام جواز السفر البيومتري في خفض مشكلة تزوير وثائق السفر (Gourévitch, 2014, p. 17) .

د) إنتقاء المهاجرين عند المصدر؛ حيث يمكن للبلدان الأوروبية وفقا للميثاق الأوروبي بشأن الهجرة واللجوء السياسي، منح البطاقة الزرقاء للأجانب الذين لديهم مؤهلات مهنية عالية والقادمين من أجل العمل، فيصبح بإمكانهم الإقامة لفترات محددة في أراضي الإتحاد الأوروبي (رزيق المخادمي، 2012، ص 93). في المقابل يجبر طالب اللجوء إلى ألمانيا أو بلجيكا على المرور بمركز إستقبال وهو الإجراء الذي ساهم في خفض الطلبات إلى النصف. أما بالنسبة للمهاجرين الذين يوضعون في مراكز إعتقال، فيتم ترحيل 1 من 2 في ألمانيا. أما في بريطانيا وهولندا فكل شخص يقبض عليه ولا تكون بحوزته الوثائق الضرورية فيتم ترحيله مباشرة، حيث أصبح بإمكان سلطات هذه الدول الولوج إلى برامج وقوائم ركاب شركات الطيران التي تضمن رحلات باتجاه هذين البلدين (Gourévitch, 2014, p. 135-136).

هـ) المساهمة في برامج تنموية في البلدان الأصلية للمهاجرين؛ من خلال رعاية برامج تأهيل مهني والمساعدة على خلق فرص عمل في بلدانهم الأصلية.

و) فرض التأشيرة؛ فرضت **تأشيرة شنغن visa Schengen** على مواطني 101 بلدا بموجب القانون رقم 99/574 الذي بدأ تنفيذه في 12 مارس 1999 (Gourévitch, 2014, p. 21)، فباستثناء إسرائيل وكرواتيا، تُفرَض هذه التأشيرة على كل بلدان جنوب وشرق المتوسط (Clochard, 2003, p. 8).

تم التأكيد على هذه النقاط في الإعلان المشترك لقمة باريس من أجل المتوسط (في يوليو 2008) من خلال التشديد على: «... الإلتزام بتسهيل تنقل الأشخاص الشرعي، كما ركزوا على تعزيز الهجرة الشرعية الخاضعة لإدارة منظمة لمصلحة جميع الأطراف المعنية، ومكافحة الهجرة غير الشرعية، وتشجيع الصلات بين الهجرة والتنمية [والتي تعتبر] موضوعات ذات مصلحة مشتركة يلزم معالجتها في إطار نهج شامل ومتوازن ومتكامل».

(رزيق المخادمي، 2012، ص 93)

يعكس حرص الأوروبيين على التحكم في حركة المهاجرين (القانونيين أو السريين) من خلال هذه الترسانة من الإجراءات الأمنية والسياسية والإقتصادية وجود علاقات سياسية وإقتصادية وثقافية غير متكافئة بين دول ومجتمعات متقدمة ومهيمنة وأخرى متخلفة ومهيمن عليها، فهؤلاء المهاجرون ينتمون لمستعمرات سابقة للدول التي يهاجرون إليها، فكما كانت هذه الدول الإستعمارية تستغل هؤلاء في بلدانهم من خلال تشغيلهم في ظروف قاسية لإستغلال ثرواتهم الطبيعية (مناجم المعادن، المطاط،...)، وتطوير زراعات تجارية (زراعة الحمضيات، الموز، الكاكاو،...)، وتجنيدهم في جيوشها خدمة لقضايا لا تعنيهم (المجندون الجزائريون في حرب الهند الصينية أو في الحرب العالمية الثانية ضد ألمانيا)، تعاملت هذه الدول مع المهاجرين الإقتصاديين الذي إستقدمتهم غداة نهاية الحرب العالمية الثانية كقوة عاملة تخلت عنها بمجرد تراجع النشاط الإقتصادي في بداية الثمانينات، ففي فرنسا مثلا، أدى برنامج إعادة الهيكلة الصناعية (بين 1975 و1982) إلى فقدان المهاجرين لـ 75 % من المناصب المحذوفة من قطاع البناء و23 % من قطاع الصناعة و8 % من تلك المحذوفة من الزراعة.

إن ما يريده الأوروبيون هو عمالة رخيصة يزيد توظيفها من منافسة شركاتها على مستوى السوق العالمية، لكن دون أن يطالب هؤلاء المهاجرون بحقوقهم التي تعترف بها مختلف الهيئات الدولية، فقلة فقط من الدول الغنية من وقعت على أدوات المنظمة الدولية للعمل (OIT)، والقليل من دول الإتحاد الأوروبي من وقعت على الإتفاقيات 97، 143، ولم يوقع أي بلد إلى غاية 2006 على إتفاقية كل العمال المهاجرين (Musette, 2006, pp. 65 181).

تدعوا هذه الإتفاقية إلى محاربة توظيف العمال المهاجرين بشكل سري أو غير قانوني وهو الأمر الذي يفعله العديد من أرباب العمل الأوروبيون بالخصوص في الأعمال الموسمية، كما تعطي الحق (وفقا للمواد الممتدة من 8 إلى 35) للمهاجرين المقيمين في الحفاظ على هويتهم الثقافية وتحويل مداخيلهم الإقتصادية إلى أهلهم في بلدانهم الأصلية (Musette, 2006, pp. 68 81).

أما عن مخاوف المواطنين الأوروبيين والحجج التي تقدمها حكوماتهم من أجل تبرير إجراءاتها التضييقية تجاه المهاجرين من بلدان العالم الثالث عامة والبلدان الإفريقية بالخصوص، فقد بينت دراسات عدم دقتها ومن بينها ما بينه كل من **إكزافييه شونيكي Xavier Chojnicki** و**ليونال راڤو Lionel Ragot** في كتابهما: L'immigration coûte chère à la France, Qu'en pensent les économistes ? (2012)، ففيما يخص ما تسوقه وسائل الإعلام من غزو مهاجري الجنوب لأوروبا، لا تمثل نسبة المهاجرين منذ 1990 سوى 3,1 % من مجموع سكان العالم، أما عن الأفارقة فهم يمثلون 40 % (أغلبهم مغاربيون) فقط من مجموع الوافدين على الفضاء الأوروبي، فحتى في حالات الهجرة الجماعية غير الإعتيادية كهجرة اللاجئين السوريين نحو أوروبا في 2014، 2015 لا يمثل 800 ألف سوري الذين أعلنت ألمانيا إستعدادها لاستقبالهم سوى 1% من مجموع سكان هذا البلد(Ragot & Chojnicki, 2012, p. 18-19).

أما السبب الثاني لرفض المهاجرين فيتمثل في الإعتقاد بمزاحمة هؤلاء للمواطنين الأصليين في مناصب العمل، في الأزمات الإقتصادية على وجه الخصوص، فإن كان هذا الأمر صحيح بالنسبة للعمال المهاجرين غير المؤهلين الذين يقومون بنفس العمل بأجرة أقل، فهم يساهمون بالموازاة مع ذلك في زيادة أجور العمال الأصليين أصحاب الكفاءات العالية، كما أن الإحصائيات تبين أن العمال المهاجرين عادة ما يجدون صعوبة في الإنخراط في العمل، حيث يعانون من البطالة بنسبة 20 % مقابل 8 % عند المواطنين الأصليين.(Ragot & Chojnicki, 2012, p. 99).

يبقى السبب الأخير الذي يبرر به المواطنون الأصليون إمتعاضهم من المهاجرين في استفادة هؤلاء من نفقات أو مساعدات إجتماعية يرون بأن مصدرها ما يدفعونه من ضرائب سنويا، لكن هذه الحجة غير دقيقة تماما حسب باحثَيْنا أيضا، الذين بينا أن مساهمة المهاجرين في الميزانية العامة ليست سلبية تماما، فكون المهاجرين شبابا في الغالب يجعل من تكاليف مخاطر الصحة والشيخوخة قليلة لديهم ما يعوض تكاليفهم الزائدة في بعض فروع الحماية الإجتماعية. لكن الواقع الذي لا يتحدث عنه السكان الأوروبيون الأصليون، والذي تعيه السلطات الأوروبية جيدا هو الحاجة الديمغرافية لأوروبا الغربية لهؤلاء المهاجرين، لأن إيقافها يعني صدمة ديمغرافية متمثلة في زيادة نسبة

الشيخوخة وانخفاض اليد العاملة وزيادة نفقات التقاعد والضمان الإجتماعي، ففي سنة 2008 مثلت نسبة الذين تقل أعمارهم عن 30 سنة من بين القادمين إلى أوروبا 70 % (Ragot & Chojnicki, 2012, p.29).

يبقى البعد الإيجابي الآخر من زيادة عدد المهاجرين الوافدين، في زيادة طلب هؤلاء على المواد الإستهلاكية، ما يعني تحفيز الإنتاج وخلق مناصب عمل جديدة، فهم يخلقون في النهاية وظائفهم.

12. المقيمون السريون في الجزائر:

لقد زاد وضع بلدان المغرب العربي كمنطقة عبور للمهاجرين السريين القادمين من جنوب الصحراء منذ 1990، وهو وضع فرضه موقعها الجغرافي كبوابة بين إفريقيا وأوروبا، لكن أمام تشديد بلدان الإتحاد الأوروبي من إجراءات المراقبة لمنع دخولهم إلى أراضيها وتشديد الدول المغاربية من جهتها للرقابة على حدودها البحرية والبرية، أصبحت هذه البلدان منطقة إنتظار إجبارية قبل العبور إلى الضفة الأخرى، حيث يمكن لهذا الإنتظار أن يدوم أياما أو شهورا أو سنوات أو ينتهي بالإستقرار النهائي، ما يجعل من هذه الدول بلدانا مستقبلة للمهاجرين بالإضافة لكونها مصدرة لهم، ويفرض عليها عبء جديدا يضاف إلى عبء مراقبة هجرة مواطنيها.

تسعى دول الإتحاد الأوروبي إلى إبعاد حدودها إلى ما بعد المتوسط جنوبا، وذلك من خلال إقتراح مساعدات لوجيستيكية وتكنولوجية وأمنية أو مساعدات إقتصادية للدول المغاربية (بالخصوص تونس والمغرب)، وتحاول في المقابل ترحيل الأجانب الذين فشلت في معرفة جنسياتهم بسبب غياب وثائق الهوية، وتفاديا لإبقائهم لمدة طويلة رهن الإحتجاز بسبب آجال وشروط الحصول على التصاريح من بلدانهم الأصلية وتكاليف ترحيلهم، بعبارة أخرى، يريد الأوروبيون من دول المغرب العربي أن تلعب دور الشرطي من جهة ودور مركز مفتوح لإحتجاز المرشحين للهجرة السرية سواء كانوا مغاربة أو من دول جنوب الصحراء من جهة أخرى (Perrin, 2009, p. 32) ، ففي سنة 2000 إضطرت الجزائر إلى إنشاء محتشد في مدينة رقان (أدرار) التي تتوسط المسافة بين الحدود المالية النيجيرية (النيجر) والمدن الساحلية الجزائرية والمغربية: وهران، الجزائر العاصمة، طنجة. (Clochard, 2003, p.10)

ترفض دول المغرب العربي أن تكون موطن إستقرار نهائي للمهاجرين الأفارقة، لأن ذلك سيعني مواجهتها لهذا المشكل نيابة عن الدول الأوروبية، حيث حاولت الإستفادة من قوافل المهاجرين المغامرين بحياتهم في زوارق هشة لكسب منافع سياسية وإقتصادية من هذه البلدان (بالخصوص ليبيا والمغرب)، لكن موقف الدول المغاربية هذا تأثر نتيجة لمآسي المهاجرين السريين في Lampedusa في سنة 2003 وفي Ceuta و Melilla في 2004.

تتواجد الجزائر في قلب المغرب العربي الكبير، وتعتبر محطة مهمة للقادمين من إفريقيا ما تحت الصحراء والمتجهين إلى أوروبا، حيث تسمح شساعتها لهؤلاء بالتخفي والتحضير لعبور البحر، كما تتيح لهم الخيار بين العبور من الشرق باتجاه الحدود الجنوبية الإيطالية أو من الغرب بإتجاه الحدود الإسبانية، حيث أبعدت السلطات العمومية سنة 2010 وفقا لتقرير للمديرية العامة للأمن الوطني، 5232 أجنبي بسبب الهجرة السرية والإقامة غير القانونية على التراب الوطني، أو لبقائه بعد إنقضاء مدة التأشيرة التي تفرضها الجزائر على مواطني 179 بلدا، (Perrin, 2009, p. 35) حيث يعفى الماليون وبقية بلدان المغرب العربي (باستثناء المغرب المفروضة على مواطنيه منذ غلق الحدود بين البلدين في 1994) فقط من هذه التأشيرة وتفرض على بقية ساكني إفريقيا ما يجعل من الأفارقة الجزء الأكبر من المقيمين بشكل سري في الجزائر في حين ينحدر البقية من دول عربية وآسيوية: مصر، سوريا، العراق، باكستان، فيتنام، بنغلادش (رزيق المخادمي، 2012، ص 49).

يمكن للتأشيرة الممنوحة أن تكون للعبور أو الإقامة، لكن يجب أن يعقبها الحصول على بطاقة إقامة بسنتين يمكن أن تمدد لعشر سنوات شريطة أن يقيم الأجنبي 7 سنوات دونما مشاكل، لكن بطاقة الإقامة لا تمنح عادة إلا لدواعي العمل أو الدراسة أو بغية التجميع العائلي على أن يكون طالبها مستكفيا من الناحية المادية، ويمكن أن تسحب من صاحبا ويرحل في حالة قيامه بأعمال تمس الأمن الوطني أو الزواج المختلط أو من أجنبي من أجل الوثائق، أما فيما يخص العمل غير القانوني فإن المستهدف بالعقاب هو المُوظِف وليس العامل الأجنبي.(Zeghbib, 2009, p. 81)، أما من يدخل إلى المجال الجزائري دون أن يحصل على الوثائق الضرورية فيعاقب بالسجن من 6 أشهر إلى عامين، وغرامة مالية من 10000 إلى 30000 دينار (المادة 44) (Perrin, 2009, p. 37).

عرفت الجزائر تغيرا جذريا في علاقتها مع الأجانب، فبعدما كان الأمر يتعلق بالمتعاونين الإقتصاديين، الدبلوماسيين والسواح المنبهرين بجمال الصحراء الذين تكون إقامتهم مؤقتة في الغالب، أصبح عليها مواجهة واقع جديد متمثل في أعداد متزايدة من الوافدين الأفارقة الذين تفرض عليهم حصانة الحدود الأوروبية الجنوبية البقاء في الجزائر، ليزيد من مخاوف هذا البلد الذي يتحدث دائما عن المخاطر الأمنية لهذا التواجد غير المتحكم فيه.

بلغ عدد المقيمين السريين الأفارقة في الجزائر في سنة 2001 حوالي 300000 مقيم سري,(Bensaâd, 2003 p. 7)، حيث يأتي معظمهم من: مالي، النيجر، نيجيريا، غانا، البينين، الكاميرون، غينيا (كوناكري Conakry)، السنغال، سيراليون، غامبيا، ساحل العاج، ويدخلون الجزائر عبر **تيمياوين Timiaouine** و**برج باجي مختار** و**عين قزام** حيث ينطلق الأفارقة الراغبون في بلوغ البلدان الأوروبية الجنوبية من بلدين مجاورين رئيسيين هما:

- **النيجر**، حيث يجتمع المهاجرون القادمون من مختلف البلدان الإفريقية المذكورة أعلاه في **أڤاديز** ثم ينطلقون باتجاه **عين ڤزام** الحدودية مع الجزائر مرورا بـ **أرليت** بالنيجر، فبمجرد دخولهم إلى الجزائر يتجهون إلى مدينة تمنراست ثم عين صالح ثم مدينة غرداية (أو أدرار ثم بشار) ثم إلى مدينة تلمسان أين يتجهون إلى مغنية الحدودية.
- **مالي**، أين يجتمع المهاجرون في **ڤاو** ثم يتجهون إلى الحدود الجزائرية مع مالي مرورا بـ **تيميساو** و**آبلسة** آخر نقطة يجتمع بها هؤلاء المهاجرين قبل عبور الحدود الجزائرية، ليتجهوا نحو عين صالح ثم مدينة غرداية (أو أدرار ثم بشار) ثم إلى مدينة تلمسان. لكن هناك من المهاجرين من يتجه إلى الجزائر العاصمة أو مدينة عنابة أين تنطلق قوارب سرية باتجاه جزيرة سردينيا الإيطالية (بشكل دوري)، أو يختارون ولايات أخرى في حالة عدم إمتلاكهم للأموال الضرورية لمواصلة رحلتهم، حيث يتوجب عليهم العمل السري أو التسول لشهور أو لسنوات.

أما المهاجرون السريون القادمون من آسيا فغالبا ما ينطلقون من الهند فيمرون بأبوظبي وكينيا وليبيا حتى بلوغ إيليزي ليتجهوا بعدها إلى مغنية قاصدين إسبانيا (قميني، 2016، ص 96-97).

لقد حاولنا أن نبين في هذا الفصل كيف أن الهجرة (منتظمة كانت أم سرية) خاصية بشرية وأساس ثابت في الحضارة تعيه الدول "المصدرة" والمستقبلة للمهاجرين، فالإجراءات التي تفرضها الدول المتقدمة على القادمين إليها لا تعدوا أن تكون تجسيدا لرغبتنا في إنتقائهم بما يتوافق مع مصالحها السياسية ومتطلباتها الإقتصادية ويخفض من هواجسها الهوياتية والثقافية والأمنية. لكن هذه الإجراءات تساهم في إبتكار المهاجرين لطرق ومسالك أكثر سرية وأشد خطورة، وتطيل من المشروع الهجراتي للأفراد؛ حيث يقضي الكثيرون منهم سنوات عديدة في وضعية هشة وفي مناطق (محتشدات، غابات، أحياء) هامشية.

لقد بينا أيضا كيف أن هجرة الجزائريين جزء من نظام هجراتي إقليمي يؤثر على واقع الهجرة في بحر المتوسط وفي بلدهم بعد أن أصبح بلد إقامة أيضا بعدما كان بلد هجرة في عشريات سابقة، لكن النقطة الملفتة هي الإمكانيات الإقتصادية للجزائر والتي تميزها عن الكثير من البلدان المجاورة لها وتجدد تساؤلنا عن العوامل التي تجعل الشباب الجزائري يقبل المغامرة بحياته أو التضحية بجزء كبير منها في وضعيات هشة في أوروبا ورفضه لتحمل هذه التضحيات في بلده، وهو التساؤل المحير الذي حاولنا الإجابة عنه في دراستنا الميدانية التي سنقدم إجراءاتها المنهجية ونتائجها فيما يلي.

الفصل الرابع: خطة الدراسة الميدانية وإجراءاتها

تمهيد

1. منهج الدراسة

2. مجتمع الدراسة

3. المجال الزمكاني للدراسة

4. كيفية إختيار أفراد العينة

5. أدوات جمع البيانات

6. أدوات تحليل البيانات

تمهيد:

تندرج أطروحتنا هذه ضمن الدراسات والأبحاث التي تجرى في حقل المعارف الإجتماعية، وهو حقل يحتل مكانة متزايدة في علم النفس الإجتماعي منذ بروز التيار المعرفي في ستينيات القرن الماضي، ليحد من هيمنة النظرة البيهافيورية على الأبحاث البسيكوسوسيولوجية، أين كان الجهد الأكبر للباحثين منصبا على تحليل الوضعيات الموضوعية (les situations objectives) أو الإجتماعية التي تسير سلوكات الأفراد داخل الجماعات أو الأفراد فيما بينهم أو العلاقات ما بين الجماعات التي ينتمي إليها هؤلاء، أي أن سلوك الفرد كان مدركا على أنه متأثر بعلاقة هذا الأخير بالجماعة التي ينتمي إليها (التطابقية le conformisme، الخضوع l'obéissance، القيادة، إلخ)، أو هو رد فعل لمثيرات قادمة من أفراد آخرين أو جماعة أخرى غير التي ينتمي إليها، إذا تبنينا تعبير البيهافيوريين.

سمح تطور التيار السوسيو–معرفي في علم النفس الإجتماعي بإبراز أهمية التصورات، الآراء، المعتقدات والأفكار التي تميز مختلف الجماعات الإجتماعية وتحدد الفضاء المعرفي الذي يتفاعل فيه أفراد هذه الجماعات، لتتحول النظرة إلى الحياة الإجتماعية من مكان معاش إلى فضاء مُدرَك ومُتصوَر من قبل مختلف الأفراد الذين يساهمون في إثراء وتعديل هذه التصورات والمعتقدات حسب خبراتهم وعلاقاتهم الإجتماعية، أو يساهمون في بقاء وانتشار المعتقدات الجماعية والتصورات الإجتماعية التي تسير جماعاتهم (leurs communautés).

لقد بينا في الفصل النظري المتعلق بالتصورات الإجتماعية كيف تعمل هذه الأخيرة كشبكة قراءة للأفراد الذين يشكلون مختلف أوجه الحياة الإجتماعية من جهة، وكيف تترسخ في نظام خلفي (un méta-système) أوسع تشكل خلال التاريخ السوسيو–ثقافي للجماعة التي تخضع له من جهة أخرى، ففي النهاية، كل حدث أو ظاهرة أو مشكل في حياة الأفراد والجماعات كفيل بحثهم على محاولة فهمه وإعطاءه معنى معينا، بالإرتكاز على تجارب ماضية مع أحداث وظواهر سابقة سواء كانت متشابهة أم لا، ومن خلال الحوارات والمناقشات في ميدان العمل، في المقهى، في البيت، إلخ، لكن هذا العمل المعرفي متأثر بالمعتقدات والأيديولوجيات وتاريخ الجماعة أو المجتمع الذي ينتمي إليه هؤلاء الأفراد.

يكمن الهدف الميداني من دراسة تصورات الشباب لظاهرة الهجرة السرية، في محاولة الإستفادة من طبيعة هذه الظاهرة متعددة الأوجه* التي نعتقد أنها تتمتع بخصائص تؤهلها لتصبح موضوعا للتصور الإجتماعي (لقد بينا ذلك في عنصر **الهجرة السرية كموضوع للتصور**، الصفحة 49)، حيث نسعى لفهم علاقة الشباب بهذه الظاهرة من

* تثير ظاهرة الهجرة السرية (الحرقة) الجدل بشأن الوضع السياسي، الإقتصادي، الإجتماعي، العائلي، الأمني، حقوق الإنسان وحتى الهوياتي.

خلال الكشف عن محتوى وبنية الإعداد التصوراتي المحتمل للهجرة السرية (الحرقة) وإمكانية وجود إختلافات في هذا المحتوى وهذه البنية بحسب إتجاهات الشباب نحو هذه الظاهرة، عزوهم السببي ومستوى إنخراطهم فيها (محاولتهم الهجرة السرية من عدمها). بعد ذلك، تأتي مرحلة ثانية نستعمل فيها نتائج المرحلة الأولى للكشف عن ترسيخ هذا الإعداد التصوراتي في الأساس (le substrat) السوسيو–ثقافي للمجتمع الجزائري، بعبارة أخرى، محاولة الكشف عن وجود معتقدات، تصورات، إيديولوجيات، ثقافة محتملة تكونت خلال سنوات تطور المجتمع الجزائري يمكن أن توجه إدراك الشباب لظاهرة تمس مختلف جوانب حياتهم الإجتماعية كما أشرنا له أعلاه، ولم لا، الكشف عن تباينات في رجوع الشباب لهذه المعتقدات، التصورات، الأيديولوجيات، الثقافة بحسب إتجاهاتهم نحو ظاهرة الهجرة السرية، عزوهم السببي أو مستوى إنخراطهم فيها.

1. منهج الدراسة:

لقد إتخذت هذه الدراسة منحا وصفيا؛ ذلك أن دراسة التصور الإجتماعي لموضوع ما تتطلب تحديد محتوى هذا الأخير، أي «إستخراج العناصر التي تسمح بتحديد المعارف والمعلومات العناصرية والبنى المعرفية (القوالب، أسلوب تنظيم المعارف) المكونة له» (Moliner & Rateau, 2002, p.64)، حيث يوظف هذا المحتوى في بناء بنود الإستمارة بهدف ربط مكونات التصور وتنظيمها بمتغيرات أخرى (متعلقة بأصحاب التصور أو الوضعيات التي يتفاعل داخلها هؤلاء) أو إعداد دليل لأسئلة المقابلة في حالة رغبة الباحث في فهم دلالة المعارف التي يتضمنها هذا التصور والعلاقات الموجودة بين هذه المعارف.

لقد بدأنا عملية الكشف عن محتوى التصور الإجتماعي للهجرة السرية بدراسة إستطلاعية تضمنت تحليل محتوى مقالات نشرت على الأنترنت وكذا تعليقات الشباب عليها، بالإضافة إلى تمرير أداة الإستحضار التسلسلي على عشرات الطلبة في جامعة 20 أوت 1955 (سكيكدة) وبعض الشباب الذين حاولوا الهجرة السرية، حيث سمح لنا هذا التحليل ببناء بنود المقابلة التي كانت موجهة، بالإضافة إلى الكشف عن عناصر التصور، إلى الكشف عن مختلف السجلات السوسيو–ثقافية المرتبطة بتاريخ المجتمع مع موضوع الهجرة، والتي يمكن أن يترسخ (بالمعنى الموسكوفيسي للفعل) فيها تصور إجتماعي محتمل للهجرة السرية، كما إستعملنا أداة الإستحضار التسلسلي للاستفادة من مبدئها القائم على التداعي الحر والمناسب جدا للحصول على المحتويات التصوراتية بخصوص موضوع ما، والمفيد جدا لتحديد بنية التصور.

بعد مرحلة وصفية للمحتويات التصوراتية بخصوص موضوع الهجرة السرية، سمحت لنا مقاطعة هذه المحتويات مع متغيرات بسيكو–سوسيولوجية (إتجاهاتهم نحوها وعزوهم السببي) وممارساتية (الإقدام على هذه المحاولة من

عدمه والطريقة المفضلة للقيام بذلك) متعلقة بالشباب بفهم موقفهم من هذه الظاهرة، كما سمحت لنا على مستوى أشمل بفهم علاقة الشباب بمجتمعه وإدراكهم لتاريخه ونظرتهم لمستقبله.

بهذا تكون دراستنا هذه مندرجة ضمن ما سماه كل من **مولينر Moliner** و **راطو Rateau** (2002) بفئة الأعمال ذات الهدف الوصفي في ميدان التصورات الإجتماعية، حيث تتضمن هذه الفئة دراسة محتوى وبنية التصور لذاتهما، ولكنها يمكن أن تُتبَع، كما حصل معنا في هذه الدراسة بمرحلة إيضاح (une élucidation)، تتضمن الإرتكار على التصور رغبة في «الفهم الأفضل للوضعية الإجتماعية التي تظهر فيها المواقف (les prises de position)، الأحكام (les jugements) والسلوكات (les conduites)» (Moliner & Rateau, 2002, p. 29) واعتباره متغيرا يمكن أن يلعب دورا في سيرورات إتخاذ المواقف أو الأحكام أو تبني السلوكات.

2. مجتمع الدراسة:

يكمن الهدف الرئيسي لأطروحتنا هذه في الكشف عن العمل المعرفي المعد من قبل الشباب لتبرير إقدامهم على (أو محاولاتهم أو رغبتهم في) الهجرة السرية وفهمه، وذلك من خلال تحليل محتوى وبنية تصوراتهم للهجرة السرية، والكشف، في مرحلة ثانية، عن ترسخ هذه التصورات في التاريخ السوسيو–معرفي لمجتمعهم، وبما أننا نفترض بأن هذا المحتوى وهذه السيرورة التصوراتية للهجرة السرية سيتأثران بالممارسة وبمتغيرات بسيكو–سوسيولوجية، وبأن إعداد هذه التصورات سيتميز بتنوع السجلات السوسيو–ثقافية التي يرتكز عليها بحسب هذه المتغيرات، فإن المتغير الأول الذي يحدد خصائص عينتنا هو مستوى التورط في الهجرة السرية (le niveau d'implication dans l'émigration clandestine) أي القيام أو عدم القيام بها، ليأتي بعد ذلك متغيرين بسيكو–سوسيولوجيين هما الإتجاه (إيجابي/سلبي) نحو الهجرة السرية والعزو السببي لهؤلاء الشباب (عزو داخلي/عزو خارجي)، بعبارة أخرى، ستكون المرحلة الأولى من هذه الدراسة مرحلة للكشف عن إعداد تصوراتي مفترض للهجرة السرية، ثم محاولة معرفة ترسخ هذا الإعداد في الأرضية السوسيو–ثقافية للمجتمع الجزائري، ثم الكشف، في مرحلة ثالثة، عن الإختلافات في تصورات الشباب لهذه الظاهرة بحسب تورطهم في هذه الممارسة، إتجاههم نحوها ونمط العزو السببي الذي يميزهم.

تتراوح أعمار الشباب الذين يقدمون على الهجرة السرية بين 15 و35 سنة، بالإضافة إلى حالات الأطفال أو الرضع الذين يرافقون أمهاتهم، أو حالات لمسنين تتميز بقيمتها الرمزية وضعفها إحصائيا، فالهجرة السرية تمس الشباب والأقل شبابا بالدرجة الأولى، فمن مجموع 1753 شاب حاولوا الهجرة السرية (سواء نجحوا في ذلك أم لم ينجحوا) والذين أحصيناهم من 50 مقالا نشروا في مختلف الجرائد الوطنية من جوان 2008 إلى غاية سبتمبر

2013، فقط 1,20% منهم نساء، و5,93 % قصر، في حين تمثلت أغلبيتهم في أفراد تتراوح أعمارهم ما بين 18 و36 سنة.

3. المجال الزمكاني للدراسة:

لقد شرعنا في دراستنا الإستطلاعية في منتصف 2012، أي بعد حوالي عام ونصف من المطالعة النظرية ومتابعة تطور ظاهرة الهجرة السرية في الحديث الإعلامي والجدل الذي أحدثته في مختلف أوساط المجتمع، فأما الدراسة الإستطلاعية فقد تضمنت جمع مقالات نشرت في مواقع بعض الجرائد الناطقة باللغة العربية (جريدتي الخبر والشروق اليومي على وجه الخصوص) وتعليقات رواد الأنترنت عليها، بالإضافة إلى إستمارات أداة الإستحضار التسلسلي (أنظر شرح هذه الأداة في عنصر *أدوات جمع البيانات*) التي تم توزيعها على 49 طالب في قسم علم النفس (جامعة سكيكدة) في السنة الجامعية 2013/2012، أما الدراسة الميدانية الفعلية فقد بدأناها في ماي 2014 وانتهت في جوان 2017.

لقد إخترنا ولاية سكيكدة كمكان لدراسة ظاهرة الهجرة السرية لأسباب عملية نتيجة لتواجدنا الدائم في هذه الولاية وإمكانية إستفادتنا من رأسمالنا العلائقي مع مختلف شرائح المجتمع، وهو رأسمال ضروري لمن يتطرق لموضوع حساس مثل الهجرة السرية، ولكن لأسباب علمية ومنهجية أيضا، فولاية سكيكدة تأتي في المرتبة الثالثة في عدد الشباب المرشحين للهجرة السرية في ولايات الشرق بعد ولايتي عنابة والطارف، كما أنها تتجه لتصبح ولاية إنطلاق أيضا بعد إنطلاق قوارب من شواطئ القل غرب الولاية.

تتمتع ولاية سكيكدة بإمكانيات طبيعية مهمة، بدءا بموقعها الهام بين ولايات الشمال الشرقي، وطول ساحلها الذي يمثل 11% (130 كلم) من الشريط الساحلي للجزائر ويعد مخزونا صيديا وسياحيا لا يستهان به، وكثرة أراضيها الفلاحية الخصبة التي تمثل 47% من تراب الولاية والتي أهلتها لتنتج 30% من الإنتاج الوطني من الطماطم الصناعية، بالإضافة إلى مواردها المائية (أربعة سدود بسعة 315 مليون م^3) والسياحية (شواطئ غرباز، الشاطئ الكبير، تمنار، مواقع أثرية رومانية وإستعمارية، كهوف بلدية عزابة، 3 موانئ صيد وترفيه،...).

تحتل ولاية سكيكدة مكانة مهمة في المجال الصناعي أيضا، حيث يمثل المركب البترو–كيماوي (الذي يضم محطة لضخ البترول والغاز في أنابيب نحو أوروبا، محطة كهرباء حرارية، محطة تكرير البترول، محطة لتمييع الغاز، وحدة كيماوية) أهم مركز صناعي تشتهر به هذه الولاية، يضاف له مصنع لإنتاج الإسمنت في أحجار

السود ومقلع للرخام دو صيت عالمي في مدينة فلفلة ومنطقتين صناعيتين نشيطتين في منطقة حمروش حمودي وبلدية حمادي كرومة*.

إن غنى ولاية سكيكدة بهذه الإمكانيات الطبيعية (الفلاحية والسياحية) والمنشآت الإقتصادية** يجعل منها أنموذجا مصغرا للجزائر بأكملها، حيث يمكن أن ينطبق عليها ما يتحدث به المثقفون، المفكرون، السياسيون، الإقتصاديون، الإعلاميون والناس العاديون في حواراتهم وحتى في إحتجاجاتهم اليومية عن الوطن بأكمله، بخصوص الهوة الشاسعة بين قدرات البلاد الطبيعية، الصناعية والبشرية وبين الوضعية الإقتصادية لمعظم الجزائريين. إن هذه الولاية تكتسي أهمية كبيرة على المستوى الرمزي، من خلال إستقبالها للبترول الخام القادم في الأنبوبين GK1 (1971) و GK2 (2001) على طول 573 كلم (بلمقدم وآخرون، 2013، ص9) واشتهارها بمركب تكرير وتصدير البترول والغاز كرمز لغنى البلاد بالموارد الطبيعية من جهة، وكونها منطقة إبحار ومصدرا للشباب المهاجرين بشكل سري نحو نفس البلدان التي تستورد مواردنا الطبيعية، من هنا تأتي أهميتها كفضاء مهم لدراسة مختلف الإعدادات التصوراتية التي أحاطت بظاهرة الهجرة السرية منذ بدايتها.

نظرا لعدم إمكانية إجراء دراسة على كل شباب الولاية، قمنا بإختيار منطقتين لإجراء الدراسة الميدانية بناءا على إعتبارات جغرافية ومنهجية:

- ***بلدية حمادي كرومة،*** التي تتكون من منطقة حمادي كرومة ومنطقة حمروش حمودي، المحادية لبلدية سكيكدة، والتي تستقطب الوافدين من كل بلديات الولاية نتيجة لتمتع هذه البلدية بموارد مالية كبيرة ناجمة عن التحصيل الضريبي الذي تدفعه شركة سوناطراك عن المركب البتروكيماوي الذي يتواجد جزء منه على ترابها، تضاف له الضرائب المحصلة من المنطقتين الصناعيتين (مؤسسات صناعية وصناعات غذائية)، لكنها تعاني مع ذلك من مشاكل في السكن، في التهيئة العمرانية وفي نوعية الحياة بشكل عام، ولقد إخترنا هذه البلدية نتيجة لهذا التناقض بين إمكانياتها المالية والفلاحية أيضا وبين الوضع المعيشي لسكانها، حيث كثيرا ما يشتكي الشباب البطال من عدم حصولهم على عمل بسبب الوافدين من بلديات وحتى من ولايات

* Wilaya de Skikda, Agence Nationale de Développement de l'investissement, 2013, p p 13 17 18 23.

** من بين الولايات الثمانية المشكلة للشمال الشرقي للجزائر (جيجل، سكيكدة، عنابة، الطارف، سوق أهراس، قالمة، قسنطينة، ميلة) تحتل ولاية سكيكدة المرتبة الثانية في النشاط الصناعي والتجاري.

المصدر:

Collections Statistiques N° 168/ 2012, Série E : Economie N° 67, **Premier recensement économique (2011)**, *Résultats préliminaires de la première phase*, ONS, Algérie.

أخرى وبأنهم لا يجنون من هذه المناطق الصناعية سوى التلوث والضجيج وتدهور ظروف العيش، وهي شكاوي قد تعطي معنى لمحاولات الكثير منهم الهجرة السرية مند بداية الظاهرة.

- ***بلدية عزابة***، ذات الموقع الإستراتيجي بين 4 ولايات (تبعد 32 كلم عن بلدية سكيكدة، 69,5 كلم عن عنابة، 91 كلم عن قسنطينة و59 كلم عن قالمة).

تحمل تسمية وتاريخ مدينة عزابة رمزية ملفتة، فقد كانت قبل الإستعمار الفرنسي مكانا لتخييم قبائل محلية تعتمد الرعي كمصدر للرزق، حيث كانت تجمع قطعانها في هذه المنطقة (ومنه تسمية "عزابة" التي تعني التخييم) مشكلة قطيعا ضخما تتجه به نحو المراعي المتواجدة بينها وبين البحر، وبعد دخول الإستعمار الفرنسي بسنوات أعلن منطقة عزابة مستعمرة زراعية في فيفري 1848، حيث إستقبلت 120 عائلة من العمال الباريسيين، لتصبح فيما بعد Jemmapes تخليدا لإنتصار الجنرال Dumouriez على النمساويين في 6 نوفمبر 1792*.

عرفت هذه البلدية هجرات سرية جماعية لشباب ينحدرون من نفس الحي في سنة 2008، حيث سمح لهم القرب الجغرافي وحتى الثقافي بالوصول إلى منظمي الرحلات التي تنطلق من شواطئ عنابة مند بداية الظاهرة في 2005.

4. كيفية إختيار أفراد العينة:

جعل غياب إحصاءات دقيقة ومستنفذة لمجموع الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 15 و35 سنة واستحالة الحصول على قائمة بأسمائهم وأعمارهم وخصائصهم السوسيو–ديمغرافية والسوسيو–إقتصادية من الحصول على عينة إحتمالية أمرا مستحيلا، خصوصا مع موضوع حساس مثل موضوع الهجرة السرية، فحتى مع وجود هذه الإحصاءات يصعب الوصول إلى الأفراد الذين وقع عليهم الإختيار أو تنطبق عليهم الخصائص المطلوبة في أفراد العينة.

يُشترط في عينتنا أن تتمتع بثلاث خصائص بسيكوسوسيولوجية هي: مستوى تورط الشاب في الهجرة السرية (le niveau d'implication des jeunes dans l'émigration clandestine) أي القيام أو عدم القيام بها أو نيتهم (عدم نيتهم) في القيام بها، الإتجاه (إيجابي/سلبي) نحو الهجرة السرية والعزو السببي (داخلي/خارجي) لهؤلاء الأفراد، أما فيما يخص جنس أفراد العينة فإن ما يهمنا هم الشباب الذكور باعتبارهم الأغلبية الساحقة ممن يحاولون الهجرة بشكل سري وبالتالي يمثلون جوهر المشكل الهجراتي غير النظامي.

* Historique Jemmapes-ville : http// : encyclopedie-afn.org-historique-Jemmapes-ville.

بالرغم من كثرة الشباب الذين حاولوا الهجرة السرية إلى الضفة الجنوبية للإتحاد الأوروبي ولكنهم فشلوا لسبب أو لآخر في تحقيق مرادهم، وكثرة ما يحكونه لمحيطهم عن مغامراتهم فإن هذه الرغبة في الحديث عن تجاربهم تزول كلما تعلق الأمر بمقابلة رسمية مع باحث أو صحفي، إذ يبدوا أنهم يخشون كل مشكل مع السلطات الأمنية، كما أنه هناك الكثيرون منهم من يتواجد في حالة نفسية سيئة خصوصا بالنسبة للذين تم القبض عليهم أو ترحيلهم مند وقت قريب. لذلك يصعب الوصول إلى هؤلاء دون وسيط يساعدك على مقابلتهم، وسيط ضروري أيضا لمقابلة من ينوون الهجرة بشكل سري، ليبقى أن مقابلة بقية الشباب الذين يرفضون هذا النوع من الهجرة أو يتعاطفون معها فقط أمرا سهلا.

إن هذا الواقع حتم علينا اللجوء إلى تشكيل عينة غير إحتمالية، إخترنا أفرادها بطريقة كرة الثلج، التي ترتكز على تعاون المستجوبين الذين يساعدون الباحث على الإتصال بالأفراد الذين تتوفر فيهم الخصائص التي يبحث عنها هذا الأخير.

بلغ حجم عينة الدراسة 131 وتميز أفرادها بالخصائص التالية:

1. حسب إنتمائهم الجغرافي:

مناطق أفراد العينة		
عزابة	**حمروش حمودي**	**حمادي كرومة**
34	63	34

2. حسب أعمارهم:

السـنـ		
- 20 سنة	**20-30 سنة**	**+ 30 سنة**
29	80	22

3. حسب مستواهم التعليمي:

المستوى التعليمي لأفراد العينة			
إبتدائي	**متوسط**	**ثانوي**	**جامعي**
2	53	38	38

4. حسب وضعهم المهني:

الوضع المهني لأفراد العينة			
عمل دائم	**عمل مؤقت**	**بدون عمل**	**وضع آخر**
15	50	39	27

5. حسب علاقتهم بالهجرة السرية:

علاقة أفراد العينة بالهجرة السرية		
قام بالهجرة السرية	**فكر في الهجرة السرية**	**لم يفكر أبدا في الهجرة السرية**
19	56	56

6. حسب إتجاههم نحو الهجرة السرية:

إتجاه أفراد العينة نحو الهجرة السرية	
الشباب مع الهجرة السرية	**الشباب ضد الهجرة السرية**
62	63

7. حسب عزوهم السببي:

العزو السببي لأفراد العينة*	
الشباب ذوي العزو السببي الداخلي	**الشباب ذوي العزو السببي الخارجي**
77	48

* إقتصر عدد الذين عرفنا إتجاههم نحو الهجرة السرية وعزوهم السببي على 125 فردا، وذلك بسبب إلغائنا لاستماراتهم بسبب شكنا في جدية إجاباتهم أو عدم تمكننا من تمريرها عليهم.

5. أدوات جمع البيانات:

تخدم الأدوات التي لجأنا إليها أربعة أهداف مختلفة، ففي حين لجأنا إلى جمع تعليقات الشباب على الأنترنت حول موضوع الهجرة السرية وأداة الإستحضار التسلسلي من أجل الكشف عن محتوى التصورات الإجتماعية المحتملة للهجرة السرية، كان الهدف من وراء إعداد وتمرير إستمارة التصورات الإجتماعية للهجرة السرية معرفة بنية وطبيعة العلاقات التي تحكم العناصر المكونة للتصورات الإجتماعية للهجرة السرية، أما سلم **روتر Rotter** لموضع التحكم الداخلي–الخارجي وسلم الإتجاهات نحو الهجرة السرية فيكمن الهدف من إستعمالهما في الحصول على معطيات بسيكوسوسيولوجية (العزو السببي داخلي/خارجي لأفراد العينة، الإتجاه سلبي/إيجابي نحو الهجرة السرية) من أجل معرفة تأثيرها على محتوى وبنية تصورات الشباب للهجرة السرية، ليبقى الهدف من إجراء مقابلات نصف موجهة مع جزء من أفراد العينة (20 فردا*) فهم الدلالات السوسيو–معرفية التي يحملها هذا المحتوى والبنية وعلاقتهما بالواقع والتاريخ السوسيو–معرفي للمجتمع الجزائري:

1.5. جمع تعليقات الشباب على الأنترنت حول موضوع الهجرة السرية:

لقد أشار كل من **موليـنر** و **راطو** إلى أهمية تحليل محتوى تعليقات مستخدمي الأنترنت حول المواضيع المختلفة في تقصي تصوراتهم الإجتماعية بخصوص هذه المواضيع، واعتبرا هذه التعليقات تعبيرات طبيعية وعفوية عن هذه التصورات (Moliner & Rateau, 2002, p.42).

بالإضافة إلى الميزتين التي ذكرتا من قبل هذين الباحثين، هناك ميزة أخرى متعلقة بامتداد هذه التعليقات لعدة سنوات وبقائها في شبكة الأنترنت، حيث تمكنا من الحصول على تعليقات لشباب حول مقالات نشرت حول الهجرة السرية من 2007 إلى 2012، بعبارة أخرى، لقد أتاحت لنا هذه الميزة الحصول على جزء من تاريخ نظرة الشباب لهذه الظاهرة.

لقد كان الهدف من جمعنا 1149 تعليقا لشباب على 29 مقالا صحفيا يتناول موضوع الهجرة السرية منشور على الأنترنت، تحليل محتواها من أجل الكشف الأولي عن وجود تصورات إجتماعية محتملة للهجرة السرية، وإعداد أسئلة الإستمارة بهدف التحليل العاملي (أنظر الملحق) ودليل المقابلة التي أجريناها في الدراسة الميدانية لاحقا.

* لقد تنوع هؤلاء الأفراد بين شباب قاموا بهجرة سرية وشباب راغبين فيها أو لم يقوموا بهذه الهجرة ولا يفكرون فيها، أما عن إختيارهم فقد كان مبنيا على تشابه ملمحهم مع ملمح المهاجرين السريين أو الشباب المؤهلين لذلك كما أشرنا له في الفصل النظري الخاص بالهجرة السرية (أنظر عنصر ملمح المهاجرين السريين الجزائريين).

2.5. أداة الإستحضار التسلسلي L'Instrument d'évocation hiérarchisé:

أُستُوحِيت هذه الأداة (أنظر الملحق) من أعمال **فارجاس Vergès** الذي أشار إلى إمكانية إستعمال طريقة التداعي الحر للحصول على محتوى التصور الإجتماعي لموضوع ما، وذلك من خلال إقتراح هذا الموضوع ككلمة حاثة وحث المجيبين على التعبير عن المفردات أو العبارات القصيرة التي تأتي في مخيلتهم عند سماع هذه الكلمة الحاثة.

تقوم هذه الأداة على مرحلتين:

أ- مرحلة أولى من التداعي الحر:

انطلاقا من كلمة حاثة (un mot inducteur)، نطلب من المجيب ذكر (كتابةً أو شفويا) الكلمات أو العبارات* التي تأتي في مخيلته عند سماع هذه الكلمة؛ حيث يسمح الطابع العفوي لهذه الوضعية بالدخول بشكل أسهل وأسرع –منه في الإستمارة أو المقابلة– إلى العناصر المكونة للعالم الدلالي للمفردة أو الموضوع المدروس.

يسمح التداعي الحر بتحيين العناصر الضمنية أو الكامنة التي لا يتطرق إليها المجيب في الحوارات المنطقية، وبالتالي الدخول إلى النواة الرمزية (التصويرية) للتصور.

ب- مرحلة ثانية من الترتيب الهرمي Une phase de hiérarchisation:

بعد مرحلة التداعي الحر، يُطلَب من المجيب ترتيب إنتاجه الخاص بحسب الأهمية التي يوليها لكل مفردة بالنسبة للموضوع المقصود بالدراسة.

بالنظر إلى الدور الذي تلعبه العناصر المركزية في التصور الإجتماعي لموضوع ما، فإنها تملك كل الحظوظ لتكون حاضرة بقوة في تحريرات (les verbalisations) المجيبين، حيث يكون تكرار ظهورها مؤشرا لمركزيتها.

لقد إقترح **فارجاس** مؤشرا ثانيا يمكن أن يؤكد على مركزية بعض العناصر المستحضرة، وهو متوسط ترتيب ظهور هذه الأخيرة، لكن هذا المؤشر كان محل إنتقاد من قبل **أبريك Abric** الذي اقترح استبداله بمؤشر متوسط ترتيب الأهمية، حيث يرى هذا الباحث بأن الأدبيات والتجارب في علم النفس تؤكد بأن المعلومات الحقيقية أو الحميمية هي آخر ما يبوح به الفرد عكس ما يراه **فارجاس**، وبالتالي عدم جدوى إقتراحه المتمثل في توظيف متوسط ظهور الكلمة، فاستحضار الكلمة أولا لا يعني أنها الأكثر أهمية بالنسبة للشخص المُستحضِر.

* يمكن أن يحدد الباحث عدد الكلمات المطلوبة أو يترك المجال مفتوحا للمجيب لاستحضار ما يستطيع.

تسمح مقاطعة المعلومتين المجموعتين (تكرار المفردات وترتيب أهميتها) بالحصول على مخطط أولي لوضعية عناصر التصور.

يوضح الجدول التالي كيفية تفريغ المعطيات المتحصل عليها للحصول على صورة عن بنية التصور الإجتماعي:

	الأهمية	
	كبيرة	صغيرة
قوية **التكرار**	**الخانة 1** منطقة النواة المركزية	**الخانة 2** المحيط 1
ضعيفة	**الخانة 3** العناصر المتباينة	**الخانة 4** المحيط 2

الجدول رقم08: *جدول يبين تحليل معطيات أداة الإستحضار التسلسلي*

الخانة 1:

تضم هذه الخانة العناصر الأكثر تواترا والأكثر أهمية؛ حيث تعتبر خانة للنواة المركزية، فمن المحتمل أن كل عناصر هذه الأخيرة موجودة هنا، مرفقة في الغالب بعناصر أخرى ذات أهمية دلالاتية محدودة (مرادفات أو نماذج مرتبطة بالموضوع)، فليست كل العناصر (المفردات) الموجودة في هذه الخانة عناصر مركزية، ولكن مكونات النواة المركزية موجودة هنا بالضرورة.

الخانة 2:

نجد في هذه الخانة العناصر المحيطية الأكثر أهمية، أو عناصر المحيط الأول.

الخانة 3:

منطقة العناصر المتعارضة (les éléments contrastés)، التي نجد بها مواضيع يتطرق لها القليل من الأشخاص (تردد ضعيف) ولكنهم يعتبرونها مهمة جدا؛ إذ يمكن أن تدل هذه الوضعية على وجود مجموعة–فرعية حاملة لتصور مختلف، بمعنى أن النواة المركزية في بنائهم المعرفي مكونة من العنصر (أو العناصر) الحاضرة في هذه الخانة، ولكن يمكن لعناصر هذه الخانة أن تكون مجرد تكملة للمحيط الأول.

الخانة 4:

تمثل هذه الخانة المحيط الثاني؛ الذي يتكون من عناصر قليلة الحضور وقليلة الأهمية في حقل التصور (Abric et al, 2003, p. 62-64).

بدأنا تطبيق هذه الأداة بتقديم التعليمة التالية: « *أكتب الخمس كلمات التي تأتي في مخيلتك عندما تسمع كلمة: «**الحرڤة**»*»، وبعد إستحضار الشاب لهذه الكلمات الخمس، نطلب منه ترتيبها حسب أهميتها في التعبير عن الكلمة الحاثة (الحرڤة).

3.5. إستمارة التصورات الإجتماعية للهجرة السرية عند الشباب الجزائري:

يتعلق الأمر هنا باستمارة مكونة من بنود تعبر عن الأفكار التي قدمها الشباب عند حديثهم عن الهجرة السرية (تعليقاتهم على الأنترنت، إجاباتهم على أسئلة المقابلة أو أداة الإستحضار التسلسلي)، مصاغة بشكل تقريري ويتوجب على الشاب أن يعبر عن مدى موافقته على محتوى هذا البند من خلال سلم يمتد من 1 إلى 5.

تنخرط بنود هذه الإستمارة (أنظر الملحق) ضمن نفس المواضيع (les thèmes) التي دارت حولها أسئلة المقابلة نصف الموجهة التي أجريت فيما بعد واتخذت الشكل التالي:

يحتقر الشباب العمل اليدوي في بلدهم ويقومون به في أوروبا	**1 2 3 4 5**

لقد قمنا بإعداد وتمرير هذه الإستمارة بهدف إجراء تحليل المركبات الأساسية une analyse en composantes principales (ACP) الذي يسمح لنا بالكشف عن طبيعة العلاقات القائمة بين المحتويات (أفكار، معتقدات، آراء، تفسيرات،...) التي قدمها هؤلاء الشباب وتنوع هذه العلاقات بحسب المتغيرات التي نهدف

إلى فهم تأثيرها على إدراك الشباب لظاهرة الهجرة السرية (العمر، المستوى التعليمي، الإتجاه نحو الهجرة السرية، تجربة الهجرة السرية، طبيعة العزو السببي (داخلي/خارجي) للمجيبين على الإستمارة).

4.5. سلم روتر Rotter لموضع التحكم الداخلي–الخارجي:

أُعد هذا السلم من قبل **جوليان روتر Julian Rotter** بهدف معرفة إن كان الأفراد الذين يجيبون على بنوده يميلون إلى الإعتقاد بأن الأحداث والوضعيات اليومية التي يتواجدون فيها خاضعة لسيطرتهم أم لسيطرة قوى خارجية.

يعتبر هذا السلم النتيجة المنطقية لمفهوم «**موضع التحكم locus of control**» الذي طرحه **روتر** سنة 1966، مرتكزا على أعمال **آلبرت بوندورا Albert Bandura** التي طرحها في نظريته حول التعلم الإجتماعي، فبما أن **روتر** قد إعتقد بأن سلوك الناس وتوقعهم للنتائج المترتبة عن هذا السلوك متأثر بإعتقادهم بتحكمهم في مختلف الوضعيات التي يتواجدون فيها من عدمه، من الطبيعي أن يطور سلما هدفه تمييز الأفراد الذين يميلون إلى عزو نتائج سلوكاتهم أو سلوكات المحيطين بهم إلى أنفسهم (عزو سببي داخلي) عن الذين يعزون نتائج سلوكاتهم إلى عوامل خارجية (عزو سببي خارجي) (Halpert & Russ, 2011, p.10).

لقد طُورت العديد من السلالم بعد ظهور هذا السلم، لكنها تختلف عن هذا الأخير في نقاط جوهرية جعلته الأنسب لدراستنا هذه، فعلى خلاف بقية السلالم صمم **روتر** سلمه هذا ليكشف عن الثوابت التي تحكم تأويلات الناس لمختلف الأحداث والوضعيات التي يعيشونها في جميع مناحي الحياة وليس في ميادين محددة (الميادين التربوية، ميادين الصحة، ميدان العمل، إلخ) كما هو شأن الكثير من السلالم التي طورت فيما بعد، كما أن هذا السلم أحادي البعد (unidimensionnelle)، أي يسمح فقط بتمييز خطي بين موضع التحكم الداخلي وموضع التحكم الخارجي للشخص الذي يجيب على بنوده وهو الهدف الأساسي الذي نصبوا إليه من وراء إستعمال هذا السلم.

يحتوي سلم موضع التحكم الداخلي–الخارجي لـ**روتر** على 29 بندا، يحتوي كل بند على عبارتين **أ** و **ب**:

2	أ	ترجع أغلبية الأمور السيئة التي تحدث للناس إلى سوء حظهم	
	ب	تأتي المشاكل التي يواجهها الناس عادة من أخطاء إرتكبوها	

حيث يتوجب على المجيب إختيار واحدة من العبارتين، علما بأن إحداهما تشير إلى تفسير داخلي في حين تشير الأخرى إلى تفسير خارجي لوضعية أو حدث ما، لكن هذه العبارات لا تأخذ كلها بعين الإعتبار أثناء التنقيط، فالبنود الفعلية هي 23 بندا، أما بقية البنود فهي لا تدخل ضمن البنود الفعلية للإختبار (des items de remplissage).

تتمثل تعليمة هذا السلم حسب التكييف الفرنسي* له فيما يلي:

هذه الإستمارة موجهة لدراسة الكيفية التي تؤثر بها الأحداث المهمة في مجتمعنا علينا.

يحتوي كل بند على عبارتين: أ و **ب** *نرجوا أن تختار واحدة منها فقط.*

إختر العبارة التي تتفق أكثر مع رأيك. بطبيعة الحال، لا توجد إجابات جيدة أو سيئة.

أما فيما يتعلق بتنقيط الإجابات فيجرى كالتالي:

العبارات أ التي يحصل المجيب عنها على نقطة واحدة هي: 2، 6، 7، 9، 16، 17، 18، 20، 21، 23، 25، 29.

العبارات **ب** التي يحصل المجيب عنها على نقطة واحدة هي: 3، 4، 5، 10، 11، 12، 13، 15، 22، 26، 28.

يبين مجموع النقاط المتحصل عليها درجة العزو السببي داخلي/خارجي (le degré d'externalité)، فالأشخاص الذين يتحصلون على نقطة منخفضة يعتقدون بأنه يمكنهم التحكم في مجرى حياتهم، فيما يعتقد الذين يتحصلون على نقطة مرتفعة العكس (Bruchon-Schweitzer, 2002, p. 231-232).

في غياب تكييف لهذا السلم في البيئة الجزائرية، يحمل تطبيق هذا النوع من السلالم الكثير من المخاطر المنهجية، وبما أن مجرد ترجمته لا تكفي لتطبيقه فقد قمنا بمحاولة لتكييف هذا الأخير حتى نتمكن من تطبيقه على أفراد عينة الدراسة وذلك بغية تصنيفهم حسب عزوهم لأسباب النتائج المترتبة عن سلوكاتهم أو الأحداث المميزة لحياتهم اليومية.

بعد ترجمة بنود هذا السلم، قمنا بتمريره على عينة من 119 طالب (20ذ/99إ) في قسم علم النفس (جامعة 20 أوت 1955–سكيكدة)، وذلك بهدف معرفة مدى وضوح تعليمة السلم والعبارات المكونة لبنوده 29.

* تم تكييف هذا السلم من قبل M. Agathon و I. Salehi سنة 1985.

بالرغم من أن التعليمة تؤكد على ضرورة إختيار عبارة واحدة من كل بند، فإن هناك من المجيبين من رأى بأن العبارتين تتفقان أو لا تتفقان معا مع آراءه، ولحل هذا المشكل عدلنا في التعليمة لتصبح كما يلي:

فيما يلي 29 قضية تحتوي كل واحدة منها على عبارتين (أ و ب)، نرجو أن تختار من كل قضية العبارة (أ أو ب) التي تتفق معها أكثر. في حالة ما إذا كنت تتفق مع العبارتين، إختر التي تتفق معها أكثر، أما في حالة عدم إتفاقك مع العبارتين معا، تجنب العبارة التي لا تتفق معها أكثر

يختار المجيب في السلم الأصلي لروتر أو الطبعة الفرنسية المكيفة من خلال إحاطة حرف العبارة بدائرة، لكن عند تمريرنا لسلمنا لاحظنا أنه هناك من المجيبين من نسوا إختيار بعض العبارات أو أحاطوا الجملة بأكملها لذلك أعدنا تصميم السلم على شكل جدول، لتكون أمام كل عبارة خانة يضع المجيب علامة (×) بداخلها في حالة إختياره لها.

هناك من عبر عن عدم فهمه لبعض العبارات أو المفردات ما إضطرنا لإعادة صياغتها.

قمنا بتقييم الثبات الداخلي لهذا السلم (Alpha de Cronbach) وحصلنا على قيمة **0,72** وهي قيمة تدخل ضمن المجال الذي حصل عليه **روتر** عند حسابه للثبات الداخلي لبنود سلمه (من 0,65 إلى 0,79).

نتيجة لغياب طبعة مكيفة لـ Marlowe-Crowne Social Desirability Scale فإنه لم يكن في مقدورنا تمريره على نفس عينة الطلبة من أجل معرفة الإرتباط بين نتائج هذا الأخير ونتائج طبعتنا المكيفة لسلم روتر.

بناءا على ملاحظات (عبارات أو مفردات غير مفهومة) المجيبين أثناء تمريرنا الأول لطبعتنا المكيفة لسلم روتر، قمنا بإجراء تعديلات على شكل السلم، وإعادة صياغة بعض بنود هذا الأخير، وتمريره بعد حوالي شهرين على نفس أفراد العينة الأولى وحصلنا على معامل ثبات (Alpha de Cronbach) أفضل عند التمرير الثاني: **0,78**.

لحساب ثبات طبعتنا المكيفة بالتطبيق وإعادة التطبيق قمنا بتمرير هذا السلم على عينة من 89 طالبا (3ذ/89إ) من جامعة محمد الصديق بن يحيى–جيجل هذه المرة، وبعد حوالي 10 أيام أعدنا تمريره على نفس أفراد العينة، وبالإعتماد على الحزمة الإحصائية للعلوم الإجتماعية (SPSS)، قمنا بالتأكد من مدى ثبات إجابات أفراد العينة ونتائج الإختبار، حيث تحصلنا على النتائج المبينة في الجدول رقم 09 وحساب الإرتباط بين التمرير الأول والتمرير الثاني وحصلنا على النتيجة التالية :

التطبيق	المتوسط الحسابي	إختبار ت (T)	معامل بيرسون	مستوى الدلالة
التطبيق الأول	1,46	27,49	0,63	0,05
التطبيق الثاني	1,46			

الجدول رقم 09 : *ثبات سلم Rotter المكيف (التطبيق وإعادة التطبيق)*

تبين نتائج هذا الجدول وجود ثبات واضح لنتائج الإختبار، حيث نلاحظ أن المتوسط الحسابي العام في التطبيق الأول هو نفسه في التطبيق الثاني (1,64)، ومن جهة أخرى فإن قيمة إختبار T= 27,49 دالة عند مستوى الدلالة المعتمد في دراستنا 0,05 وهو ما يؤكد عدم وجود فروق بين نتائج الإختبار في التطبيقين، كما أن قيمة معامل الإرتباط بيرسون = 0,63 تدل فعلا على وجود إرتباط قوي بين نتائج التطبيق الأول ونتائج تطبيق الإختبار في المرحلة الثانية.وعلى هذا الأساس وانطلاقا من هذه النتائج فإننا نتأكد من ثبات الإختبار وصلاحيته للتطبيق في البيئة المحلية، وهو جاهز للتطبيق على عينة الدراسة النهائية.

5.5. سلم الإتجاهات نحو الهجرة السرية:

لقد قمنا بإعداد هذا السلم من نمط **لكارت Likert** من أجل معرفة إتجاهات الشباب المُستَجوَب نحو الهجرة السرية، فبالرغم من أنه كان بوسعنا طرح سؤال بسيط على شاكلة: هل أنت مع أو ضد الهجرة السرية؟ فإننا لم نلجأ لهذا الخيار لأنه لا يمكن لسؤال بسيط كهذا أن يغطي الأبعاد الثلاثة المميزة للإتجاه (البعد المعرفي، البعد الإنفعالي، البعد السلوكي أو النية في الفعل) والتي لا يمكن الحصول عليها إلا باستعمال هذا النمط من السلالم.

إن الهدف من هذا السلم هو تحديد الشباب الذين يؤيدون الهجرة السرية والشباب الذين يعارضونها، سواء قاموا بمحاولة الهجرة السرية أم لا، حيث يمكن لهذه الأداة أن تتيح لنا، زيادة على ذلك، معرفة إن كان الشاب الذي هاجر سريا وفشل في محاولته راغب في المحاولة مرة أخرى أم أن تجربته جعلته يتخلى عن هذا الأسلوب في الهجرة.

يتضمن هذا السلم 20 بندا (10 بنود مؤيدة للهجرة السرية و10 بنود معارضة لها) تتوزع بين الأبعاد الثلاثة المميزة للإتجاهات:

البعد المعرفي: **(12) الهجرة السرية مغامرة بالحياة.**

البعد الإنفعالي: **(15) تحيا الحرقة.**

البعد السلوكي: **(17) إذا أتيحت لي فرصة الهجرة السرية إلى أوروبا لن أضيعها.**

بعد إعداد البنود العشرين لهذا السلم قمنا بتمريرها على عينة من 57 طالب (12ذ/45إ) في قسم علم النفس (جامعة 20 أوت 1955–سكيكدة)، طلبنا منهم الإشارة إلى البنود غير المفهومة بالإضافة إلى الإجابة عنها.

لقد كان الهدف من هذا التمرير حساب معامل الثبات آلفا كرونباخ (Alpha de Cronbach) لبنود هذا السلم، ومعرفة طبيعة العلاقات المجودة بين البنود المؤيدة والبنود المعارضة للهجرة السرية.

تمثلت قيمة معامل الثبات آلفا كرونباخ (Alpha de Cronbach) في:

- **0.70** بالنسبة للبنود المؤيدة للهجرة السرية.
- **0.60** بالنسبة للبنود المعارضة للهجرة السرية.

تعتبر هذه القيم مقبولة من الناحية الإحصائية، أما فيما يخص العلاقات بين البنود المؤيدة والبنود المعارضة، فقد أثرت بعض البنود من الفئتين على طبيعة العلاقة التي يجب أن تكون سلبية، بسبب عدم وضوح صياغتها أو لأنها حيادية الطرح، حيث يمكن للبند الأول مثلا والذي كان فحواه: «**من حق أي إنسان أن يسعى في أرض الله الواسعة مهما كانت الوسيلة**» أن لا يُربَط بالهجرة السرية لأن السعي لا يعني الهجرة، لذلك قمنا بتغيير هذا البند فأصبح: **من حق أي إنسان أن يهاجر في أرض الله الواسعة، مهما كانت الوسيلة**، وهي العملية التي قمنا بها مع كل البنود التي عانت من نفس المشكل.

بعد حساب معامل الثبات وتعديل البنود غير المفهومة أو غير المصاغة جيدا، قمنا بإعادة تمرير الإستمارة (بعد حوالي شهر ونصف)، وذلك من أجل إعادة حساب معامل الثبات آلفا كرونباخ (Alpha de Cronbach) والعلاقة الإرتباطية بين البنود المؤيدة والبنود المعارضة، وكانت النتائج كالتالي:

- **0.79** بالنسبة للبنود المؤيدة للهجرة السرية.
- **0.84** بالنسبة للبنود المعارضة للهجرة السرية.

فبالإضافة إلى معامل الثبات المقبول جدا، لم يعبر أي من المجيبين عن عدم فهمه لبند معين وكان تمرير السلم سلسا.

6.5. المقابلة نصف الموجهة L'entretien semi-dérectif:

تكتسي المقابلة أهمية كبيرة بالنسبة للباحث في ميدان المعارف الإجتماعية، لأنها تسمح بالكشف عن الخطابات التي تنتجها جماعة ما بخصوص موضوع معين، وتتيح الوصول المباشر للتصورات الإجتماعية التي يملكها المجيب لحظة المقابلة، كما أنها تسمح للباحث بتحديد وتوجيه أفكار الفرد الذي تجرى معه المقابلة، والحصول على إجابات خاصة به فقط، كما أن المعطيات التي نحصل عليها يمكن إستغلالها مباشرة (Moliner & Rateau, 2002, p. 52).

لقد أعددنا أسئلة هذه المقابلة إستنادا على المعطيات الأولية التي تحصلنا عليها من تحليل محتوى تعليقات الشباب على مقالات نشرت حول موضوع الهجرة السرية على الأنترنت والتي كانت أساسا بنينا عليه إستمارة التصورات الإجتماعية للهجرة السرية عند الشباب الجزائري أيضا، بالإضافة إلى بضعة مقابلات مفتوحة تخللها تقديم أداة الإستحضار التسلسلي (التي قدمنا شرحها أعلاه).

تدور أسئلة المقابلة حول المحاور التالية:

- **تصورات (+/−) عن أوروبا والأوروبيين**
- **تصورات (+/−) عن الهجرة السرية والمهاجرين السريين**
- **العلاقة دولة (مسيرون) / شعب (مواطنون) في الجزائر**
- **العلاقة أغنياء / فقراء في الجزائر**
- **تصورات سلبية / إيجابية عن الجزائر والجزائريين**

يحتوي دليل المقابلة (أنظر الملحق) على 72 سؤالا، البعض منهم موجه لفهم المعطيات التي تحصلنا عليها مع أدوات أخرى (تحليل محتوى التعليقات، معطيات أداة الإستحضار التسلسلي، إجابات الشباب على إستمارة التصورات الإجتماعية للهجرة السرية)، والبعض الآخر موجه للحصول على معطيات أعمق حول أفكار المجيبين بخصوص الهجرة السرية، لكننا لم نطرح كل هذه الأسئلة مع كل الذين قابلناهم وإنما مع الذين لمسنا ثراءً في إجاباتهم وتشابها بين ملمح شخصياتهم وملمح المهاجر السري أو الراغب في الهجرة السرية أو المعرض عنها كما وضعه الباحثون (ثيتو–دولاج، لحلو، عبد اللاوي)، كما أن هناك أسئلة لم يكن مجديا طرحها لأن المجيبين قد أجابوا عنها في معرض الإجابة على أسئلة أخرى.

دامت المقابلات من 19 دقيقة إلى ساعتين و10 دقائق، منها من أجريت في مرحلة واحدة وهناك من أجريت على مرحلتين.

يمكن تصنيف الأدوات التي استعملناها في دراستنا الميدانية، حسب الغرض منها، إلى ثلاثة أصناف: جمع وتحليل محتوى تعليقات الشباب على الأنترنت حول موضوع الهجرة السرية وأداة الإستحضار التسلسلي للكشف عن محتوى وبنية التصورات الإجتماعية المحتملة للهجرة السرية، إستمارة التصورات الإجتماعية للهجرة السرية عند الشباب الجزائري ومعطيات المقابلة نصف الموجهة لفهم بنية التصور الإجتماعي للهجرة السرية وعلاقة مكوناته بالفضاء السوسيو–معرفي للمجتمع الجزائري، أما سلم **روتر Rotter** لموضع التحكم الداخلي/الخارجي وسلم الإتجاهات نحو الهجرة السرية فقد كان الغرض منهما تحديد العزو السببي لأفراد العينة واتجاهاتهم نحو الهجرة السرية بغرض توظيف نتائجهما لمعرفة إمكانية تأثر بنية التصور الإجتماعي للهجرة السرية وترسخها النظام الخلفي (le méta-système) الذي أشرنا له في الفرضية العامة للدراسة.

6. وسائل تحليل البيانات:

1.6. تحليل المحتوى:

لقد قمنا في البداية بتحليل محتوى 1149 تعليقا لشباب على 29 مقالا يتناول الهجرة السرية منشور على الأنترنت، وبما أن هدفنا من وراء ذلك هو إستخراج المواضيع (les thématiques) التي يدور حولها محتوى هذه التعليقات، فقد إقتصر التحليل الذي أجريته على المعالجة الوصفية لمحتوى لهذه الأخيرة، أي؛ إستخراج الوحدات الدلالية الأكثر تكرارا، تحليل التلاقي (l'analyse des cooccurrences) ما بين تلك الوحدات والتحليل الموضوعاتي (l'analyse thématique) لكل التعليقات.

أما التحليل الثاني الذي أجريناه فيما بعد، فهو تحليل محتوى المقابلات مع الشباب، وهو تحليل أكثر عمقا لأن الهدف منه هو فهم محتوى تصورات الشباب الإجتماعية للهجرة السرية (الذي حصلنا عليه من تمرير أداة الإستحضار التسلسلي) وإعطاء معنى لبنية هذه الأخيرة (التي تحصلنا عليها من خلال التحليل العاملي والفئوي لنتائج إستمارة التصورات الإجتماعية للهجرة السرية) من خلال محاولة ربطها بالتاريخ والأرضية السوسيو–معرفية التي ينحدر منها الأفراد الذين أنتجوها.

2.6. التحليل النموذجي والفئوي L'analyse prototypique et catégorielle:

يتخذ هذان النوعان من التحليل من نظرية النواة المركزية مرجعا لهما، فالهدف منهما تحديد البنى التي يمكن أن تأخذها الكلمات المستحضرة من قبل المبحوثين إستجابة لكلمة حاثة، أي الكشف عن العناصر المركزية (عناصر النواة المركزية) والمحيطية (عناصر الجهاز المحيطي) للتصور الإجتماعي لموضوع ما.

يرتكز التحليل النموذجي على الكلمات المستحضرة مباشرة، ويتضمن تحديد تكرار كل كلمة (عدد مرات إستحضارها) وترتيب ظهورها (متوسط ترتيب إستحضارها) أو ترتيب أهميتها كما إقترحه **أبريك** لنحصل في النهاية على أربعة فئات:

- **الفئة الأولى:** تتضمن كلمات كثيرة التكرار ومستحضرة في المقام الأول (أو مهمة جدا بالنسبة للمبحوثين)، من المحتمل جدا أن تكون ضمن العناصر المكونة للنواة المركزية.
- **الفئة الثانية:** تتضمن كلمات كثيرة التكرار وظهورها مرجأ (قليلة الأهمية بالنسبة للمبحوثين) تشكل الجهاز المحيطي الأول.
- **الفئة الثالثة:** تتضمن كلمات ذات تكرار ضعيف ولكنها مستحضرة في المقام الأول (أو مهمة جدا بالنسبة للمبحوثين) يمكن أن تعبر عن وجود محتوى تصوراتي لدى جماعة فرعية أو تابعة للمحيط الأول.
- **الفئة الرابعة:** تتضمن كلمات قليلة التكرار وظهورها مرجأ (قليلة الأهمية بالنسبة للمبحوثين) تشكل الجهاز المحيطي الثاني.

3.6. تحليل المركبات الأساسية (ACP) une analyse en composantes principales:

تكمن الفائدة من إستعمال تقنية التحليل هذه فيما توفره من إمكانية لاختزال المعطيات المتعلقة بعدد كبير من المتغيرات في عدد محدود من الأبعاد أو «العوامل» (من بعدين إلى 6 أبعاد)، وإعطاء صورة منظمة وسهلة القراءة حول الطريقة التي تتغير بها المعطيات فيما بينها أو تتعارض أو تكون مستقلة عن بعضها البعض (Moliner & Rateau, 2002, p167-168).

لقد إخترنا تقنية التحليل هذه وشكل إستمارة التصورات بخصوص الهجرة السرية المرتبطة بها رغبة في الحصول على الأبعاد المسيرة لإدراك الشباب لموضوع الهجرة السرية وعلاقة هذه الأبعاد بالمتغيرات الممارساتية والبسيكو-سوسيولوجية التي تحدثنا عنها أعلاه.

الفصل الخامس: عرض وتحليل ومناقشة النتائج

تمهـــيد

أولا: عرض وتحليل ومناقشة نتائج تحليل محتوى تعليقات الشباب على الأنترنت

ثانيا: عرض وتحليل ومناقشة نتائج أداة الإستحضار التسلسلي

ثالثا: عرض وتحليل ومناقشة نتائج إستمارة التصورات الإجتماعية للهجرة السرية

رابعا: عرض وتحليل ومناقشة نتائج تحليل محتوى المقابلات مع الشباب

خامسا: المناقشة العامة لنتائج الدراسة الميدانية

تمهيـــد:

تمنح دراسة التصورات الإجتماعية لموضوع معين فرصة للباحث البسيكو–سوسيولوجي لفهم مختلف الديناميكيات البسيكولوجية والمعرفية والسوسيولوجية التي تحدد نظرة أفراد جماعة ما لهذا الموضوع وبالتالي طبيعة العلاقة التي تربطهم به وتأثير ذلك على حياتهم الإجتماعية، لكن تعدد أبعاد الظاهرة التصوراتية هذا يجعل من دراستها والإحاطة بها مهمة صعبة من الناحية المنهجية.

لقد فرض التعدد المنهجي (la pluri-méthodologie)، أو اللجوء إلى عدة تقنيات لجمع وتحليل المادة التصوراتية، نفسه كحل ناجع لمواجهة تعقيد التصورات الإجتماعية، لذلك كان لزاما علينا إعتماد عدة تقنيات لجمع وتحليل تصورات الشباب الإجتماعية لظاهرة الهجرة السرية، بدءا بأدوات جمع المحتوى التصوراتي بخصوص الهجرة السرية: جمع وانتقاء تعليقات الشباب على الأنترنت بخصوص الهجرة السرية، أداة الإستحضار التسلسلي، ثم الأدوات المساعدة على الكشف عن بنية التصورات الإجتماعية؛ أي طبيعة العلاقة بين العناصر المكونة للتصور فيما بينها وطبيعة العلاقة بين هذه العناصر والإطار السوسيو–معرفي الذي تنتج فيه: إستمارة التصورات الإجتماعية للهجرة السرية الموجهة لتحليل المركبات الرئيسية (L'analyse des composantes principales) والمقابلة نصف الموجهة، بالإضافة إلى أداتين لتحديد متغيرين بسيكو–سوسيولوجيين هما: طبيعة العزو السببي عند الشباب المبحوث واتجاهاته نحو الهجرة السرية.

بما أن دراسة التصورات الإجتماعية لموضوع معين تبدأ بمرحلة الكشف عن محتواها، تليها محاولة فهم بنية هذه التصورات ثم فهم المحددات البسيكو–سوسيولوجية وترسخ هذه التصورات في الإطار العلائقي والإجتماعي للأفراد الذين ينتجونها، فإن عرضنا لنتائج أدوات جمع المعطيات التي إستخدمناها في دراستنا هذه وكذا تحليل ومناقشة نتائجها سيتبع نفس المنطق في الترتيب:

1. عرض وتحليل ومناقشة نتائج تحليل محتوى تعليقات الشباب على الأنترنت:

تُنشَط المعارف الإجتماعية أو مختلف مظاهر الحس المشترك في الوضعيات اليومية بشكل عفوي، فتعمل كنظام خلفي (un méta système) يغذي مختلف التفسيرات والمجهودات المعرفية التي يبدلها الأفراد من أجل فهم ظاهرة ما (طبيعية، إجتماعية، إقتصادية،...) أو حل مشكل علائقي أو تغذية حوار يومي. إن الطابع العفوي والظرفي لهذه المنتوجات والسيرورات المعرفية الإجتماعية يقلل من فعالية أدوات جمع المعطيات التقليدية (الإستمارة، المقابلة) في الكشف عنها، وذلك لأن هذه الأخيرة تسعى من خلال وضعية حوارية (ترتكز أساسا على

أسئلة حاثة) إلى الحصول على معطيات يحاول الباحث من خلال تحليلها الإجابة على أسئلة بحثه، غير أنه، في حالة التصورات الإجتماعية وبقية أشكال المعرفة الإجتماعية، يمكن لأسئلة الباحث أن تحيد عن جزء من العناصر المكونة لتصورات الأفراد الإجتماعية أو التفسيرات الجماعية المتقاسمة فيما بينهم، ذلك أن المشتغلين على طرائق البحث يؤكدون على أن الأشخاص عندما يجيبون في وضعيات رسمية (مقابلة بحث، الإجابة عن أسئلة إستمارة) يقدمون إجابات مدروسة لا تتميز بنفس الحرية والعفوية التي تتمتع بها في إطارها غير الرسمي.

تكمن القيمة الإمبريقية لمحتوى تعليقات الشباب على ظاهرة الهجرة السرية على شبكة الأنترنت، في كون هذه الأخيرة مُنتجات معرفية يرد من خلالها الشباب على محتوى المقال (بتعليقات ساخرة، تعبيرات إنفعالية، الحديث عن أسباب الظاهرة،...) بشكل عفوي، بعيدا عن عدم الراحة التي يمكن أن تولدها أسئلة المقابلة أو الإستمارة، ودون أن تُكشَف هوياتهم، فيجنبهم ذلك أي ضغط معياري، ما يسهل في إعتقادنا، من ظهور التفسيرات والتصورات وأنماط التفكير الجماعية المترسخة في التاريخ السوسيو–معرفي للمجتمع الجزائري، والتي يفترض أن ترتكز عليها تصورات الشباب للهجرة السرية.

يكمن الهدف من وراء تحليل محتوى هذه التعليقات في الكشف عن ملامح المحتوى والبناء التصوراتي للهجرة السرية من خلال معرفة الوحدات الدلالية* الأكثر تكرارا في تعليقات الشباب بشأن هذه الظاهرة، وتسهيل تحليل نتائج أداة الإستحضار التسلسلي (l'instrument d'évocation hiérarchisé)، التي طبقناها فيما بعد لمعرفة محتوى الجهاز المركزي والجهاز المحيطي لتصور الهجرة السرية، ولكن الهدف الأهم تمثل في محاولة الإستفادة من الطابع العفوي والمتحرر لتعليقات الشباب من أجل الكشف عن المعتقدات وأنماط التفسير الجماعية التي تحملها الذاكرة الجماعية والتي تعمل كنظام خلفي (un méta système) يسير إدراك الأفراد والجماعات لمختلف مظاهر حياتهم الإجتماعية بما في ذلك ظاهرة الهجرة السرية.

إن إستخراج نماذج تفسير ومعتقدات جماعية هو خطوة أولى للكشف عن ملامح "نظريات ساذجة des théories naïves" أعتقد أنها مترسخة في التاريخ السوسيو–معرفي للمجتمع الجزائري، كما أعتقد أنه يتم توظيفها بشكل لا واع من قبل أفراد المجتمع كل حسب مكانته في نظام العلاقات الإجتماعية وعلاقته مع مختلف الأحداث ومظاهر الحياة اليومية. خصوصا لما يتعلق الأمر بظاهرة كالهجرة السرية التي تتميز بتداخلها مع العديد من جوانب الحياة اليومية للجزائريين (الجانب الإقتصادي، الإجتماعي، الأمني، الهوياتي،...)، ما يدعوني إلى الإفتراض بأن مجرد الحديث عنها كفيل بتنشيط نماذج التفسير المترسخة في الحس المشترك.

* قد تكون الوحدة الدلالية كلمة أو عبارة تحمل معنى مستقل وكاف.

بعد مرحلة من جمع وإنتقاء مقالات موضوعها الهجرة السرية، منشورة من قبل جريدتين ناطقتين باللغة العربية (الخبر، الشروق اليومي) في موقعهما على الأنترنت من 2007 إلى 2012، إخترنا 29 مقالا مع 1149 تعليقا كتبه معلقون شباب ردا على هذه المقالات التي دارت مضامينها حول المواضيع التالية:

- وفاة الحراقة* في البحر ومصير جثثهم في البحر أو في أماكن حفظ الجثث في أوروبا.
- المحاولات الناجحة (بما فيها غير المتوقعة: لاعبو كرة القدم، الأطفال، الفتيات، المتابَعون قضائيا) للشباب في الوصول إلى أوروبا.
- تشديد الرقابة على الشواطئ وعرض البحر من قبل سلطات ضفتي المتوسط.
- تشديد الإطار التشريعي المتعلق بشروط الإقامة في الدول الأوروبية.
- إجراءات السلطات الجزائرية لترحيل الحراقة المقيمين في أوروبا.
- مبادرات رئيس الجمهورية وخطبه الموجهة للشباب.
- الإجراءات الجديدة لمنح الجنسية وبطاقة الإقامة في فرنسا (أوروبا).
- توقيف بارونات الهجرة السرية.
- الأعمال السينمائية التي تتناول ظاهرة الهجرة السرية.

بعد إنتقاء تلك التعليقات مررنا إلى مرحلة التحليل الوصفي لمحتواها، أي:

- تحليل فئوي للتعليقات وهو عملية عد وتصنيف المفردات الدالة (الوحدات الدلالية).
- تحليل التلاقي (une analyse des co-occurrences) الذي يهدف إلى الكشف عن الترابطات بين إثنتين أو عدة كلمات أو مواضيع في محتوى معين.
- تحليل موضوعاتي (une analyse thématique) يتضمن جمع الوحدات الدلالية المستخرجة من محتوى التعليقات وجمعها تحت مواضيع (فئات) بحسب حقلها الدلالي.

يتضمن الجدول الموالي الوحدات الدلالية الأكثر تكرارا من مجموع 286 وحدة مستقلة تم إستخلاصها من الـ 1149 تعليقا:

* يستعمل هذا النعت من قبل مختلف شرائح المجتمع للإشارة إلى المهاجرين بشكل سري، كما تشير "الحرقة" إلى الهجرة السرية، وسنستعملهما فيما يأتي من الكلام من باب الإختصار.

الوحدات الدلالية	التكرارات	الوحدات الدلالية	التكرارات
المسؤولين	**58**	يجعل الله الخير	**25**
يهديهم الله	**57**	البطالة	**24**
يرحمهم الله	**57**	لا حول ولا قوة إلا بالله	**24**
حفظ الله الحراڤة (الشباب)	**42**	ستعاقبون يا مسؤولين	**21**
تحيا الحرڤة	**42**	شابات غير متخلقات	**20**
الصبر لأهلهم	**40**	دعوهم يذهبون	**20**
الظلم، الحقرة، القهر	**37**	الفقير يموت فقيرا	**20**
كرهنا (كرهنا من هذا البلد)	**35**	1% أغنياء 99% فقراء	**20**
لا جنة في أوروبا	**34**	لصوص	**20**
بوتفليقة (الرئيس)	**33**	الموت	**19**
لا للتعاليق المهينة للشابات	**29**	الشروق تشجع الحرڤة	**18**
خيرات البلاد	**28**	البترول والغاز	**17**
تحيا الجزائر	**28**	يأكلني الحوت ولا يأكلني الدود	**16**
تحيا أوروبا	**27**	أحيي الحراڤة	**16**
السبب هو الدولة	**27**	فتيات الدعارة	**15**
حسبنا الله ونعم الوكيل	**26**		

الجدول رقم 10: *الكلمات الأكثر تكرارا في التعليقات حول الهجرة السرية*

تم الحصول على النتائج المبينة في هذا الجدول بعد مرحلة من إستخراج يدوي للوحدات (قد تكون كلمات أو عبارات) الدلالية من كل تعليق وصبها في برنامج Evoc2000، وهو برنامج خاص بتحليل محتوى التصورات الإجتماعية يتيح لنا الحصول على تكرار كل وحدة دلالية، متوسط ترتيب ظهورها في التعليقات، والكلمات التي تتلاقى مع هذه الوحدة، بالإضافة إلى نتائج أخرى لم نهتم بها في دراستنا هذه.

الكلمة الأكثر تكرارا، كما هو مبين في الجدول أعلاه، هي **المسؤولين (58)**، مع متوسط ظهور **2,21**. بالإضطلاع على نتائج تحليل التلاقي لهذه الكلمة*، يبدوا أنها في علاقة مع الوحدات: **الظلم، الحقرة، القهر (37)**، **خيرات البلاد (28)**، **حسبنا الله ونعم الوكيل (26)**، **يرحمهم الله (57)**، **بوتفليقة (33)**. تفيدنا معرفة تكرار كلمة

* تحليل التلاقي هو التعرف على الكلمات التي تظهر بعدد دال من المرات مع كلمة ما في نص أو تعليق، المسؤولين في حالتنا هذه.

ما وترتيب ظهورها، في حقل التصورات الإجتماعية، في معرفة ما إذا كانت هذه الكلمة جزءا من التصور الإجتماعي قيد الدراسة ومكانتها في بنية هذا التصور، في حين يفيدنا تحليل التلاقي في معرفة شبكة الكلمات التي تكون في علاقة مع هذه الكلمة، على إعتبار أن الكلمات التي تظهر معا تخدم معنا واحدا، فكون **المسؤولين** في هذه الحالة أكثر تكرارا معناه أن حظوظ ظهورها كبيرة لما يتوجب على الشباب الحديث عن ظاهرة الهجرة السرية في حواراتهم اليومية، كما أنها تظهر عادة في بداية الحديث، ففي تعليقات يمكن أن يمتد ترتيب ظهور وحداتها الدلالية من 1 إلى 4، متوسط ظهور **المسؤولين** هو 2,21 وهو ترتيب ظهور متقدم، أما فيما يخص الإطار الدلالي الذي تأتي فيه هذه الوحدة الدلالية، فيبدو أن تعليقات الشباب تعتبر أن المسؤولين يمارسون ظلما ولديهم علاقة ما مع خيرات البلاد، وتربطهم علاقة مع شخص رئيس الجمهورية «**بوتفليقة**»، ولو أننا نعتقد بأن **بوتفليقة (33)** و**السبب هو الدولة (27)** تشير مع **المسؤولين** إلى السلطة بشكل عام. **المسؤولين** تلتقي أيضا مع **حسبنا الله ونعم الوكيل (26)** فيما يشبه طلب القدرة الإلهية في غياب القدرة على معاقبة المسؤولين على أعمال ما، قد يكون من بينها وفاة الشباب المهاجر بشكل سري، **يرحمهم الله (57)**.

لقد خضعت كل الوحدات الدلالية المذكورة في الجدول أعلاه للتحليل الذي خضعت له الوحدة الدلالية: **المسؤولين** (التكرار، ترتيب الظهور، الكلمات التي تتلاقى مع هذه الكلمة)، ولكن تفاديا للخوض في التفاصيل التي يمكن أن تثقل التحليل، سنقتصر على ذكر الدلالات التي تخدم دراستنا، فمن بين الوحدات الدلالية المتبقية هناك من تشجع على الهجرة السرية: **تحيا الحرڤة (42)**، **تحيا أوروبا (27)**، **دعوهم يذهبون (20)**، **أحيي الحراڤة (16)** والتي تملك ترتيب ظهور متقدم جدا (1,10-1,70) ما يعني أنها تكون من بين أول ما يرد به الشباب عند سماع خبر متعلق بالهجرة السرية وتكون مشبعة بشحنة إنفعالية كما يتبين من تحليل التلاقي حيث تظهر هذه الوحدات عادة مع: **كرهنا (كرهنا من هذا البلد) (35)**. يبدو أيضا بأن **يأكلني الحوت ولا يأكلني الدود (16)** تعبير إنفعالي فهي الأخرى تتلاقى **مع كرهنا (كرهنا من هذا البلد)**.

هناك في المقابل الوحدات الرافضة للهجرة السرية وذات نبرة وطنية: **لا جنة في أوروبا (34)**، **تحيا الجزائر (28)**، **الشروق تشجع الحرڤة (18)**، يمكن أن يبررها خطر الموت المصاحب لهذا النوع من الهجرة.

على عكس ما كان متوقعا، **البطالة (24)** ليست أكثر الوحدات تكرارا، مع ذلك متوسط ترتيب ظهورها متقدم (1,92)، غير أن هذا التكرار غير المتوقع يمكن أن يكتسب بعض المعنى عندما نلاحظ الكلمات التي ترافق عادة هذه الكلمة: **الظلم**، **الحقرة**، **القهر (37)**، **المسؤولين (58)**، **السبب هو الدولة (27)**، إذ يبدو أن الشباب لا

يركزون على البطالة بقدر تركيزهم على الجهات التي لا تحل هذا المشكل أو لا تعطيهم نفس الحظوظ للحصول على منصب عمل.

من بين الكلمات كثيرة التكرار في تعليقات الشباب، **الموت (19)** التي ترتبط عادة بدعوات سلبية (passives)**: يجعل الله الخير (25)، يهديهم الله (57)** التي قد تدل على سلبية (une passivité) أمام الموت تميز الثقافة الجزائرية بشكل عام أو تتجنب تحميل الحراقة مسؤولية موتهم بشكل مباشر.

تهتم التعليقات عادة بمعاناة ومخاوف الأولياء الذين تنقطع أخبار أبنائهم: **الصبر لأهلهم (40)** وهذا ما تبينه دعواتهم التي ترافق عادة هذه الوحدة الدلالية: **يجعل الله الخير (25)، يهديهم الله (57)، يرحمهم الله (57)، حفظ الله الحراقة (الشباب) (42)**.

يطالب الشباب عادة بمعاقبة المسؤولين، **ستعاقبون يا مسؤولين (21)**، أما الكلمات التي تتلاقى مع هذه الوحدة الدلالية فهي: **السبب هو الدولة (27)، الفقير يموت فقيرا (20)**، فالوحدة الأولى تؤكد ما أشرنا إليه إلى أن الدولة وبوتفليقة والمسؤولين تشير إلى السلطة بشكل عام، في حين تبين الوحدة الثانية أن الشباب يُحمِل السلطة مسؤولية عدم قدرة الفقير على تحسين وضعه، في حين تشير: **1% أغنياء 99% فقراء (20)** إلى شعور عام باللاعدالة وبأن أقلية لديها فرص أكبر من الأغلبية.

يتحدث الشباب عن سرقة المسؤولين لخيرات البلاد، البترول والغار، حيث يبين تحليل التلاقي إرتباطا بين: **المسؤولين (58)** و**خيرات البلاد (28)**، بين هذه الأخيرة و**لصوص (20)**، وبين **خيرات البلاد (28)** و**البترول والغاز (28)**.

أما بقية الوحدات الدلالية فتشير إلى إتجاهين نحو هجرة الفتيات، إتجاه متحفظ، **لا للتعاليق المهينة للشابات (29)**، وإتجاه معارض، **شابات غير متخلقات (20)، فتيات الدعارة (15)**، حيث يعلق الرافضون للتعليقات المسيئة للفتيات المهاجرات بعبارة: **لا حول ولا قوة إلا بالله (24)**، التي تقال عادة عندما يكون المشكل مستعصيا أو نكون أمام مشكل أخلاقي متعارض بشكل صارخ مع القيم الإجتماعية السائدة، أما الذين يقيمون بشكل سلبي إقدام الفتيات على الهجرة فيرجعونه إلى عدم قيام الأسرة بدورها التربوي.

نظريا، يمكن لكل كلمة أو عبارة مذكورة في الجدول أعلاه أن تشغل حيزا ما في البناء التصوري للهجرة السرية، ولكن إذا أحدثنا تقاطعا بين المعطيات الوصفية التي قدمناها حول كل وحدة دلالية، فإن الوحدات التالية تملك حظوظا أكبر لتكون جزءا من التصور الإجتماعي للهجرة السرية: **المسؤولين، الظلم، القهر، الحقرة، لصوص،**

الصبر لأهلهم، الموت، يبقى أن تحديد ما إذا كانت هذه الوحدات ستكون ضمن عناصر الجهاز المركزي أم لا مرتبطا بنتائج أداة الإستحضار التسلسلي التي سنعرضها بعد الإنتهاء من عرض نتائج تحليل المحتوى، أما أسئلة المقابلة نصف الموجهة فتهدف للكشف عن القيمة السوسيومعرفية ودلالة العلاقات التي تربط مختلف الوحدات الدلالية المتطرق لها أعلاه.

من أجل فهم المكانة التي تحتلها هذه الوحدات الدلالية في الفضاء السوسيو–معرفي لأصحاب تلك التعليقات ودلالات تكراراتها وطبيعة العلاقات فيما بينها لجأنا إلى تحليل موضوعاتي تضمن جمع هذه الوحدات في فئات تخدم نفس المعنى فتحصلنا على الشكل الموالي:

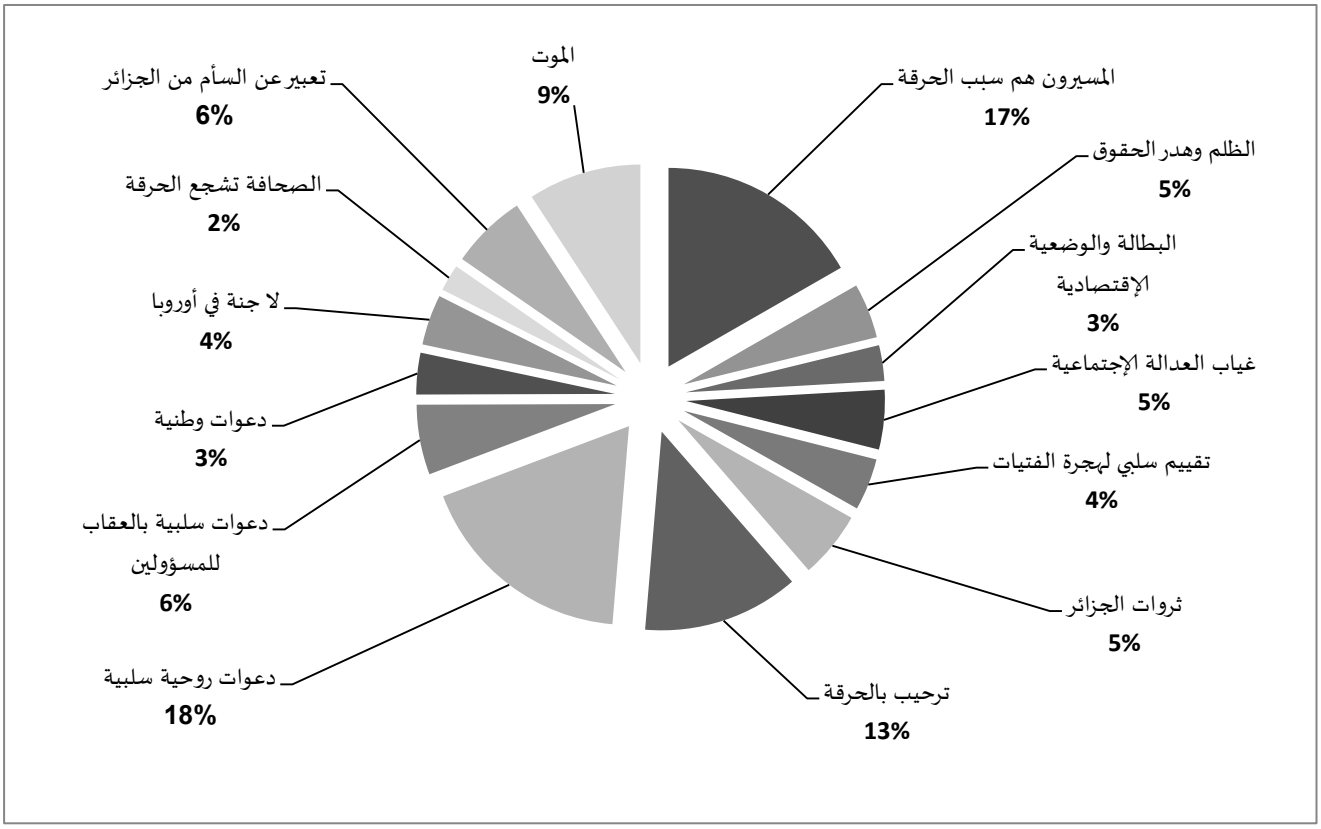

الشكل رقم 03: *نتائج التحليل الموضوعاتي للتعليقات*

لقد إحتلت الدعوات بالهداية والسلامة للشباب المهاجرين وبالصبر لأولياءهم النسبة المئوية الأكبر بين بقية المواضيع (18%)، حيث تبين الوحدات التي أدرجت تحت هذه الفئة أن المعلقين يتفادون، بشكل واضح، تقييم الشباب المهاجر بشكل سلبي ويتعاطفون مع أوليائهم خصوصا في حالة فقدانهم لأبنائهم أو لأخبارهم. في حين يخص ثاني أكبر موضوع الوحدات التي تحمل المسؤولين مسؤولية ظهور هذه الظاهرة (17%) بسبب عدم كفائتهم،

الفساد، عدم المساواة في الفرص، إلخ، أما ثالث أكبر نسبة مئوية فهي متعلقة بالترحيب بالهجرة السرية (13%) وهي تعبيرات (إنفعالية في أغلبها) تشجع الحراقة على الهجرة، ثم يأتي موضوع الموت في المرتبة الرابعة (9%).

فيما بعد تأتي موضوعات تتراوح نسبتها ما بين 4 و6% وتتضمن تعبيرات عن السأم من الجزائر وحديث عن ثروات الجزائر، تمنيات بالعقاب للمسؤولين، التعبير عن شعور بالظلم، غياب العدالة الإجتماعية، إستنكار لهجرة الفتيات، البطالة وتأثيرها على الوضعية الإقتصادية والإجتماعية للشباب، ثم تأتي موضوعات غير مرحبة بالهجرة تعتبر بأنه لا جنة في أوروبا وتهتف للجزائر وتتهم الصحافة بتشجيع الشباب على الهجرة السرية.

يبدوا واضحا من هذا الشكل وجود مجموعتين فرعيتين من المعلقين، الأولى مرحبة بالهجرة السرية والثانية معارضة لها، فمن أجل فهم أكبر لهذين الإتجاهين، سنقدم الآن تحليلا لتكرارات التعليقات بحسب الإتجاه نحو الهجرة السرية (إيجابي/سلبي):

الكلمات الأكثر تكرارا في تعليقات الشباب ذوي الإتجاه الإيجابي من الهجرة السرية	
الوحدة الدلالية	**التكرار**
تحيا الحرقة	**42**
كرهنا (من هذا البلد)	**30**
تحيا أوروبا	**27**
الظلم، الحقرة، القهر	**20**
دعوهم يدهبون	**20**
المسؤولين	**17**
أحيي الحراقة	**16**
حوتة و لا دودة	**16**
لصوص	**12**
البطالة	**11**
حفظ الله الحراقة (الشباب)	**11**
السبب هو الدولة	**11**
بوتفليقة (الرئيس)	**10**

الكلمات الأكثر تكرارا في تعليقات الشباب ذوي الإتجاه السلبي من الهجرة السرية	
الوحدة الدلالية	**التكرار**
يهديهم الله	**30**
لا جنة في أوروبا	**28**
شابات غير متخلقات	**18**
الشروق تشجع الحرقة	**16**
أخجلنا الحراقة	**14**
تحيا الجزائر	**14**
إنتحار	**12**
الموت	**12**
الحراقة مخطئون	**12**
لا حول و لا قوة إلا بالله	**12**
مغامرة	**11**
يرحمهم الله	**10**
الميزيرية في أوروبا	**9**

يرحمهم الله	9	القليل عندك خير من الكثير عند الآخرين	9
الفقير يموت فقيرا	9	لا كرامة في أوروبا	9
المحسوبية	8	الصبر لأهلهم	9
السكن	8	الطمع	6
يتبعنا المسؤولون حتى في أوروبا	8	الغربة	5
كره المسؤولون الشباب في بلدهم	7	الظلم، القهر، الحقرة	5
في فرنسا سيعطونك فرصة	7		
يهتم المسؤولون بأولادهم	7		

الجدول رقم 11: *الكلمات الأكثر تكرارا في تعليقات الشباب مع/ضد الهجرة السرية*

تتضمن التعليقات التي تعبر عن إتجاه إيجابي تجاه الهجرة السرية وحدات دلالية ذات طبيعة تعبيرية محضة: **تحيا الحرقة (42)، كرهنا (من هذا البلد) (30)، تحيا أوروبا (27)، دعوهم يدهبون (20)، أحيي الحراقة (16)، حوتة ولا دودة (16)** أو متضامنة: **حفظ الله الحراقة (الشباب) (11)، يرحمهم الله (9)**. لكن هناك وحدات تتحدث عن الظروف التي شجعت على الهجرة من البلد: **الظلم، القهر، الحقرة (20)، البطالة (11)، الفقير يموت فقيرا (9)، المحسوبية (8)، السكن (8)** ووحدات تتحدث عن الجهة التي يعتبرها المعلقون مسؤولة عن هذه الوضعية: **المسؤولون (17)، السارقون (12)، الدولة (سبب الهجرة السرية) (11)، بوتفليقة (10)، يتبعنا المسؤولون حتى في أوروبا (8)، كره المسؤولون الشباب في بلدهم (7)، يهتم المسؤولون بأولادهم (7)**، أو تتحدث عما يجدب الشباب نحو أوروبا: **في فرنسا يعطونك فرصة (7)**.

أما تعليقات الشباب ذوي الإتجاه السلبي من الهجرة السرية فيعتبرون من خلالها أن: **الحراقة مخطئون (12)، يهديهم الله (30)، أخجلنا الحراقة (14)، شابات غير متخلقات (18)**، ما يجعل الهجرة السرية: **إنتحار (12)، مغامرة (11)** لأنها تسبب: **الموت (12)، الغربة (5)** كما أنه **لا كرامة في أوروبا (9)، الميزيرية في أوروبا (9)**، فالشباب مدفوعون بـ **الطمع (6)** أو تشجيع وسائل الإعلام: **الشروق تشجع الحرقة (19)**.

هناك تعليقات تعبر عن سلبية (une passivité) تجاه هذه الظاهرة: **لا حول و لا قوة إلا بالله (12)، يرحمهم الله (10)، الصبر لأهلهم (9)** في حين تنادي تعليقات أخرى: **تحيا الجزائر (14)، القليل عندك خير من الكثير عند الآخرين (9)**، أما التشابه الوحيد مع التعليقات التي هي مع الهجرة السرية فتمثل في الوحدة الدلالية: **الظلم، القهر، الحقرة (5)** ولكن بتكرار ضعيف.

أما فيما يخص نتائج التحليل الموضوعاتي للوحدات الدلالية المذكورة أعلاه، فمن الواضح أن من يشجعون هذا النوع من الهجرة يرون في المسؤولين السبب الرئيسي لهذه الظاهرة، فيعبرون عن دعمهم للحراقة وسأمهم مما يعايشونه في يومياتهم:

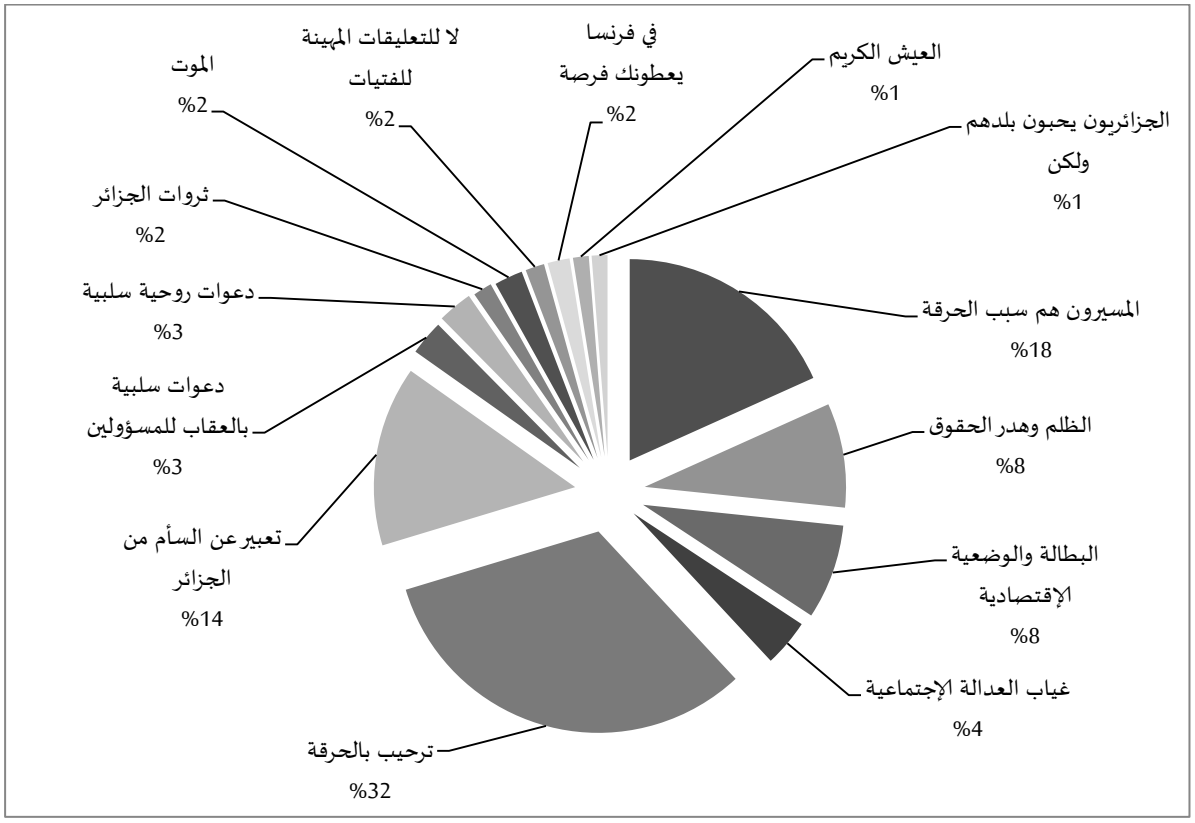

الشكل 04: *نتائج التحليل الموضوعاتي للتعليقات التي مع الهجرة السرية*

أما تعليقات من هم ضد هذا النوع من الهجرة فلا ترى الجنة في أوروبا وترى بأن الشباب جاهلون لما يحيط بهم من أخطار عند قيامهم بهذه المغامرة وتعبر عن تفضيلهم البقاء في بلدهم على الهجرة بشكل سري:

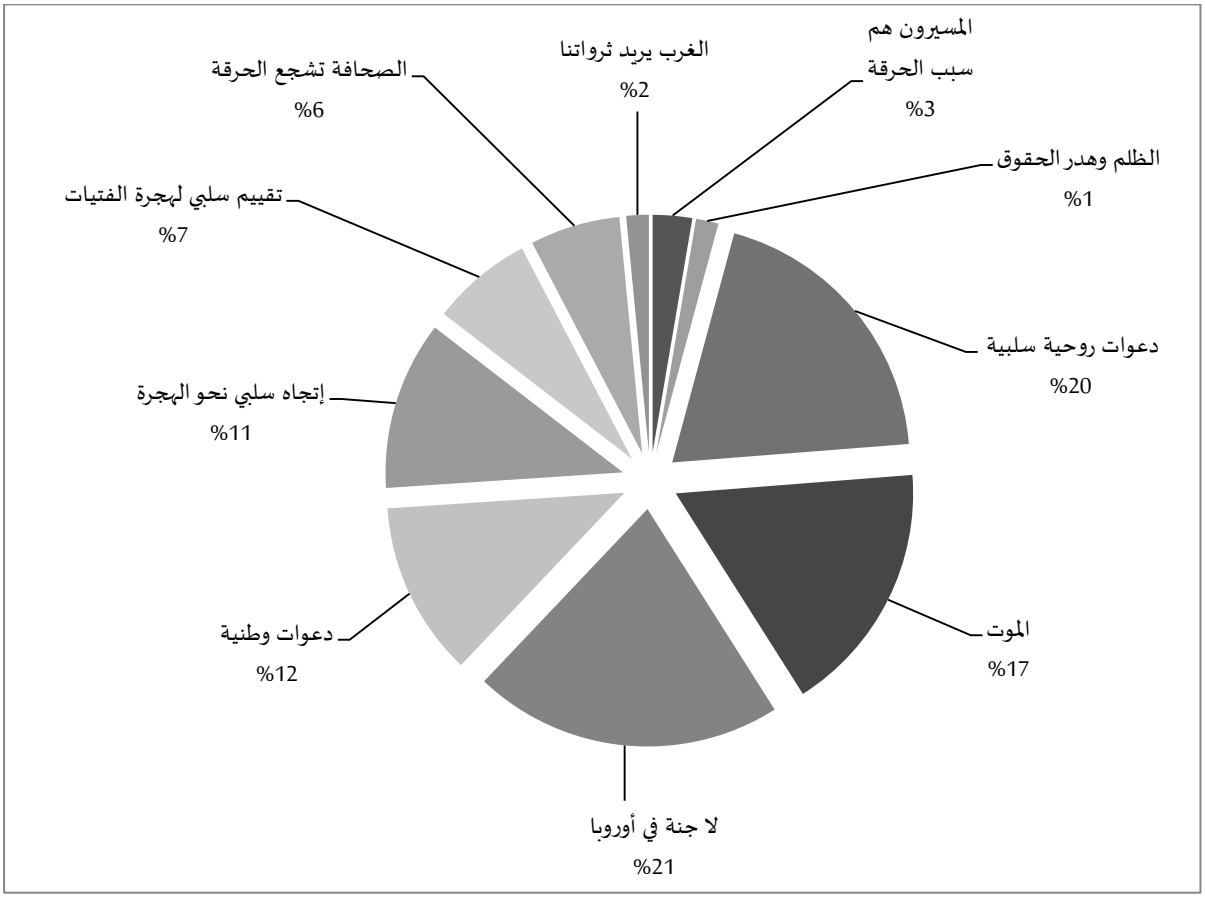

الشكل 05: *نتائج التحليل الموضوعاتي للتعليقات التي ضد الهجرة السرية*

إن التمعن في نتائج التحليل الموضوعاتي المعروض في الشكلين 02 و03 يكشف عن وجود ثنائيات في إدراك المعلقين لمختلف المكونات المرتبطة بظاهرة الهجرة السرية، حيث يبدو أنه يتم توظيف إحدى أقطابها بحسب الموقف من هذا النوع من الهجرة:

- تصورات (+/−) لأوروبا والأوروبيين
- تصورات (+/−) للهجرة السرية والمهاجرين السريين
- العلاقة دولة (مسيرون)/ شعب (مواطنون) في الجزائر
- العلاقة أغنياء/ فقراء في الجزائر
- تصورات (+/−) للجزائر والجزائريين

لكن هذا الميكانيزم الذي يحكم تفسير و"مفهمة" ظاهرة الحرقة من قبل المعلقين وربما من قبل مختلف أفراد المجتمع الجزائري بحاجة إلى تأكيد، وهو ما حاولنا القيام به من خلال بنود إستمارة التصورات الإجتماعية للهجرة السرية وبعض من أسئلة المقابلة نصف الموجهة، حيث سنقوم بتحليل نتائج الإستمارة ومقاطعتها مع ثلاث متغيرات

بسيكوسوسيولوجية (الإتجاه سلبي/إيجابي نحو الهجرة، العزو السببي، الإنخراط في الحرقة) كمحاولة لإثبات دور تلك الثنائيات كنظام خلفي يحكم نظرة الجزائريين لأسباب ونتائج هجرة الشباب السرية.

2. عرض وتحليل ومناقشة نتائج أداة الإستحضار التسلسلي:

بعد أن قُدِمت هذه الأداة إلى 131 شابا ليكتبوا الخمس كلمات أو العبارات التي أتت إلى مخيلتهم عند سماعهم لكلمة «**الحرقة**» حصلنا على 649 كلمة (أو عبارة) مستحضرة، منها 160 كلمة مختلفة، مع متوسط ظهور: 2,99، قمنا – بالإستعانة ببرنامج تحليل الإستحضارات EVOC2005– بتحليل مفرداتي لمعرفة تكرار كل كلمة أو عبارة مستحضرة وترتيب ظهورها وترتيب أهميتها، ودراسة التكرارات وترتيب ظهور الكلمات في مرحلة ثانية من الترتيب الهرمي.

يبين الجدول الموالي الكلمات الأكثر تكرارا وترتيب ظهورها والكلمات الأكثر أهمية بالنسبة للمُستحضِرين وترتيب أهميتها:

الكلمات	الأكثر تكرارا	ترتيب ظهورها		الكلمات	الأكثر أهمية	ترتيب أهميتها
الهروب	**39**	2,41		المستقبل	**21**	2,67
المستقبل	**38**	2,68		العمل	**17**	2,41
العمل	**31**	2,65		الهروب	**16**	1,94
الموت	**28**	2,39		الموت	**11**	2,18
الخطر	**22**	3,40		الخطر	**11**	2,55
النقود	**21**	3,00		تحسين العيش	**09**	2,89
العيش في أوروبا	**20**	3,05		النقود	**09**	2,22
تحسين العيش	**18**	3,44		الهناء	**08**	2,88
مغامرة	**17**	3,35		العيش في أوروبا	**07**	2,43
الهناء	**17**	3,00		حياة أفضل	**06**	2,50
حياة أفضل	**16**	3,19		الحقرة	**06**	2,33
الميزيرية	**14**	2,86		الميزيرية	**06**	2,50

الجدول رقم 12: *الكلمات المستحضرة الأكثر تكرارا والأكثر أهمية وترتيب ظهورها (أهميتها)*

نقصد بالكلمات الأكثر تكرارا تلك التي إستحضرها أكبر عدد من الشباب، أما عن ترتيب ظهورها فهو مؤشر يعطينا فكرة عن العبارات التي تستحضر أولا ويفترض أنها تحتل موقعا مهما في الحقل التصوراتي لموضوع ما، أما عن الكلمات الأكثر أهمية فهي تلك التي يصنفها الشباب على أنها مهمة، وهنا بعد آخر من العمل التصوراتي قد يكون أكثر أهمية من ترتيب الإستحضار لأنه يمكننا من الإستعانة بالشباب المجيبين لفهم العناصر المستحضرة وطبيعة العلاقات فيما بينها.

تتموقع الكلمات (العبارات) المستحضرة عادة ضمن ثلاث مركبات تضم: **عدد كبير من الكلمات التي تكررت مرة واحدة أو مرات معدودة/ عدد قليل من الكلمات ذات التكرار المحدود/ وعدد قليل من الكلمات ذات التكرار الكبير** حيث يشكل محتوى هذه المركبات محتوى كل من الجهاز المركزي والجهاز المحيطي للتصور الإجتماعي للهجرة السرية.

يبين الجدول أعلاه الإثنا عشر كلمة وعبارة الأكثر تكرارا وترتيب ظهورها، أي ترتيب إستحضارها، إذ يبدوا أن الخمس كلمات الأكثر تكرارا هي نفسها الكلمات التي يعتبرها الشباب أكثر أهمية: **الهروب، المستقبل، العمل، الموت، الخطر**، لكن الكلمات (العبارات) الأكثر تكرارا ليست بالضرورة الأكثر أهمية بالنسبة للشباب، كما أن ترتيب ظهورها لا يتوافق تماما مع ترتيبها بحسب أهميتها بالنسبة للشباب، فـ **الهروب** مثلا هي أكثر الكلمات تكرارا ولكنها تأتي في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية، أما **المستقبل** فهو في المرتبة الثانية من حيث التكرار وفي المرتبة الأولى من حيث الأهمية، أما **العمل** فيأتي في المرتبة الثالثة من حيث التكرار وفي المرتبة الثانية من حيث الأهمية ولكنه يتبع **المستقبل** في كلتا الحالتين، أما **الموت** و**الخطر** فيأتيان في المرتبة الرابعة والخامسة في كلتا الحالتين. أما عن الفرق بين ترتيب ظهور هذه الكلمات (العبارات) وترتيب الأهمية الذي يعطيه الشباب لكل كلمة فهو كما يلي: متوسط ظهور كلمة الهروب هو: 2,41 أما متوسط الأهمية الذي منحه إياها الشباب فهو: **1,94**، المستقبل (**2,67**/2,68)، العمل (**2,41**/2,65)، الموت (**2,18**/2,39)، الخطر (**2,55**/3,40).

يكتسي التمعن في كل هذه الإختلافات أهمية تحليلية كبيرة، حيث يمكن أن يكون بداية لفهم البناء التصوراتي لموضوع ما، والقيمة الدلالية والسوسيو–معرفية لكل كلمة (عبارة) مستحضرة، ففي حين يعتبر التداعي الحر للكلمات وسيلة جيدة لتحديد الكلمات ذات الإرتباط بالتاريخ السوسيو–معرفي للجماعة، يمكن لمعرفة الأهمية التي يعطيها المُستحضِرون لكل كلمة أن تكشف عن المحددات الفردية والبسيكو–سوسيولوجية والوضعياتية للأفراد أصحاب التصور، لكن قبل القيام بهذه الخطوة من الأفضل تقديم نتائج البناء الهرمي (la hiérarchisation)

المبني على الربط بين تكرار الكلمات وترتيب ظهورها بهدف تحديد العناصر المكونة للجهاز المركزي وتلك المكونة للجهاز المحيطي للتصور الإجتماعي المفترض للهجرة السرية:

	ترتيب الظهور < 2,90	**ترتيب الظهور > 2.90**
التكرار >=10	الهروب (39؛ 2,41) المستقبل (38؛ 2,45) العمل (31؛ 2,64) الموت (28؛ 2,39) الخطر (22؛ 2,27) الميزيرية (14؛ 2,85) الحقرة (11؛ 2,72) الخانة 1	النقود (21؛ 3,00) العيش في أوروبا (20، 3,05) تحسين العيش (18؛ 3,44) مغامرة (17؛ 3,35) الهناء (17، 3,00) حياة أفضل (16؛ 3,18) الحرية (11؛ 3,63) الزواج (10؛ 3,30) الخانة 2
التكرار <=10	تغيير الوضع (9؛ 2,77) البطالة (9؛ 2,66) الغربة (7؛ 2,14) العدالة (7؛ 2,85) المعاناة (7؛ 2,42) الأمل الوحيد (6؛ 2,83) فقدان الأمل (6؛ 2,16) البحر (6؛ 2,83) فقدان الثقة في النفس (6؛ 2,83) قارب (6؛ 2,00) السعادة (5؛ 2,60) غلطة (5؛ 2,40) إنتحار (5؛ 2,40) الخانة 3	الجهل (5؛ 3,00) عدم الإخلاص للوطن (5؛ 4,00) الزواج بأوروبية (9؛ 3,77) الجنسية (6؛ 3,33) الوثائق (5؛ 3,20) الفقر (8؛ 3,00) المشاكل (5؛ 3,20) الغنى (5؛ 3,40) الخانة 4

الجدول رقم 13: *تحليل تكرارات ومتوسط ترتيب الإستحضارات بخصوص "الحرقة"*

تتضمن الخانة الأولى العناصر المكونة للجهاز المركزي للتصور، وهي مرتبطة بالذاكرة الجماعية وتاريخ الجماعة، إذ يفترض بها أن تكون مستقرة في الزمن، مقاومة للتغيير وأقل تأثرا بالوضعيات اليومية المباشرة، ما يعني أن الدليل على وجود نظام خلفي (un méta-système) محدد لنظرة الشباب للهجرة السرية سيكون ضمن هذه الخانة.

يبدو أن أول ما يأتي في مخيلة الشباب عند سماعهم لـ "الحرقة" هو **الموت، الخطر** أو "خطر الموت"، ما يعني أن الهجرة السرية مرتبطة في أدهان الشباب بإمكانية الموت.

فيما بعد تأتي كلمة **الهروب** (من المعيشة، جحيم البلاد، مشاكل البلاد، من الفقر، بقعة الشر)، التي تبدو للوهلة الأولى تعبيرا عن خروج إضطراري ومستعجل من بلده بسبب إستحالة مواصلة العيش فيه، ولكن فكرة الهروب هذه تعود إلى بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر وتدهور الحياة الإقتصادية والإجتماعية والأمنية نتيجة لذلك، حيث تحدث عمار هلال* عن تداول مقولة «بيع الأرض واركب البحر» في الأوساط الشعبية في الشرق الجزائري مع إشتداد حركة الهجرة باتجاه المشرق العربي آنذاك حيث عكس هذا المثل، في واقع الأمر، تشجيعا من السلطات العثمانية لنقل أو تنقل الجزائريين إلى ولاياتها في بلاد الشام، ولكن التشجيع الأكبر لقيمته المعيارية والرمزية كان من ممثلي بعض الطرق الدينية في الجزائر، حيث يشير أرشيف ما وراء البحر في مدينة آكس أون بروفنس Aix-en-Provence إلى أن الشيخ المهدي وهو مقدم الطريقة الرحمانية ببلاد الزواوة (منطقة القبائل) إستطاع في سنة 1847 أن يرسل بإمكانياته الخاصة عشرات العائلات إلى سوريا، كما نصح سكان وادي سيباو (تيزي وزو) بترك أراضيهم والمغادرة. أما التشجيع الآخر على بيع الممتلكات ومغادرة البلاد فقد جاء من أحد خلفاء الأمير، وهو أحمد بن سالم الذي إستقر بدمشق في سنة 1847 ووجه نداءً لسكان دلس (بومرداس) ليلتحقوا به في منفاه فاستجاب له العشرات من دراع الميزان، سور الغزلان ودلس آنذاك (هلال، 2007، ص ص 7 14 15 21).

صحيح أن صدى هذه الدعوات كان محدودا إذا ما أحصينا عدد الذين إلتحقوا بالمشرق العربي فور علمهم بهذه الأخيرة ولكن دور تلك التشجيعات تمثل في شرعنة فعل التخلي عن الأرض والهجرة، شرعنة سياسية آتية من الخلافة العثمانية ورمزيتها الدينية ومن ممثلي إمارة الأمير عبد القادر وشرعنة دينية من ممثلي الطرق الدينية، لتتشابه رمزية مغادرة الرسول من مسقط رأسه بسبب إضطهاده من قبل قومه مع مغادرة الجزائريين لبلدهم بسبب إضطهادهم من قبل السلطات الإستعمارية غير المسلمة؛ كما يبينه تعليق أحد الشباب على مقال لجريدة الشروق

* باحث جزائري في التاريخ المعاصر

اليومي نشر على موقعها على الإنترنت في 2008/08/08: «.. **يا أخي أرض الله واسعة، يا أخي الرسول صلى الله عليه وسلم هاجر من مكة إلى المدينة بعدما أضطهد في مكة ..**».

تعني الحرقة للكثير من الشباب **المستقبل** (الأفضل، الزاهر أو المستقبل بكل بساطة) أيضا من خلال ما توفره أوروبا من أجل بناء هذا الأخير، حيث توضح هذا الأمر العناصر المكونة لخانتي المحيط الأول والثاني كما سنرى فيما بعد.

أما **العمل** فهو مترسخ في تاريخ هجرة الجزائريين إلى أوروبا وفرنسا بالتحديد، حيث بين عبد المالك صياد ثلاثة أعمار (trois âges) ميزت الهجرة الجزائرية نحو فرنسا، حيث كان المهاجرون في العمر الأول (le premier âge) الذي إمتد من 1871 إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية أفرادا مرسلين من قبل الجماعة (la communauté) للعمل وتوفير الدخل الضروري لهذه الجماعة لإعادة إنتاج نفسها، فحتى مع تغير أهداف المهاجرين وارتباطهم بجماعاتهم في بلدهم الأصلي في العمرين المواليين من الهجرة إلا أن هجرة الجزائريين قبل بداية الهجرة السرية في بدايات التسعينات كانت هجرة من أجل العمل، لكن هل الذهاب إلى فرنسا من أجل العمل هو لتفادي البقاء في البطالة فقط؟

تحدث كل من مصطفى مجاهدي وحفيظة قباطي*، في مقال لهما يلخص نتائج دراسة أجريت ما بين 2009 و2011 حول الهجرة السرية الجزائرية نحو إسبانيا في الفترة المعاصرة، بأن فكرة العمل لا تطرح ضمن ثنائية **العمل/البطالة** في أذهان الشباب المهاجر أو الراغب في الهجرة، وإنما ضمن ثنائية **العمل/النجاح الإجتماعي** (جمع الثروة في وقت قياسي)، فإن كان العمل لا يحقق لهم ذلك في بلدهم فهو يؤدي إلى التحصيل الآني والآلي للثروة في المهجر (مجاهدي، قباطي، 2012، ص 21).

أخيرا تأتي كلمتان تشيران إلى السبب الذي يقف وراء الرغبة في الهجرة السرية: **الحقرة، الميزيرية**، لكن إذا كانت الميزيرية (البؤس) تعبر عن المشاكل الإقتصادية والإجتماعية وغياب ضروريات الحياة نتيجة لذلك، ما الذي يجعل الشباب يعتقدون بأنهم ضحية للحقرة (اللاعدالة) وكيف يمكن لهذا الشعور باللاعدالة أن يكون مترسخا في التاريخ السوسيو–معرفي للمجتمع الذي ينتمي إليه هؤلاء؟

في سنة 1989 نشر بوخبزة أمحمد* كتابا من جزئين تضمن تحليلا للتطورات التي مست الجزائر بعد الإستقلال في ميدان التباينات السوسيو– إقتصادية وسيرورة الإختلافات الإجتماعية داخل المجتمع الجزائري، يمكن أن تعطي

* مختصين في علم الإجتماع، باحثين في CRASC.

* سوسيولوجي جزائري

معنى للشعور العام باللاعدالة الذي يعبر عنه عنصر "الحقرة" المستحضر من قبل الشباب. حيث بين في الجزء الأول من كتابه كيف أن الظاهرة الإستعمارية أقصت "الأهالي" من كل أشكال السلطة أو التسيير أو الإزدهار الإقتصادي، وحصرت بذلك الصراع (على مستوى المخيال والمسلح فيما بعد) بين هاتين الجماعتين المختلفتين، لكن بمجرد تحرير البلاد والفراغ السياسي والإداري والإقتصادي الذي خلفه رحيل الأوروبيين بدأت سيرورة ضرورية لتعويضهم في كل هذه القطاعات، غير أن سيرورة التعويض هذه لم تكن طبيعية بسبب غياب الإطارات الكفؤة الكافية أو الملائمة* لسد الحاجات الهائلة في مختلف مناصب العمل ما نجم عنه توظيف بالإرتكاز على المعارف والعلاقات الشخصية أو على أساس درجة الإنخراط في حركة التحرير الوطني، ما شجع على ترسخ دهنية العصبة (le clanisme)، فأصبح العديد من الأفراد والجماعات يعتقدون بأنه لا يمكنهم النجاح دون أن يسانَدُوا من عصبة أو مسؤول رفيع المستوى. كما أن أغلبية الذين كانوا في وضع مالي جيد إنتقلوا للعيش في المدن في العامين اللذان تليا الإستقلال (Boukhobza, 1989, pp. 138 199 201)، حيث أصبح النزوح نحو المدينة مرادفا لتحسين المستوى المعيشي، وهذا ما انجر عنه التخلي عن النشاط الفلاحي والبحث عن العمل المأجور أو في قطاع الوظيف العمومي في المدن.

إعتبر سليمان مظهر أن هذا السباق نحو المدينة الذي ميز السنوات الأولى من الإستقلال، زرع بذور عنف إجتماعي سائد في مدننا اليوم، فالسباق نحو المدن من أجل الظفر بمنصب مسؤولية أو عمل، سكن، أراض، معاملات تجارية خلق وضعا غير طبيعي لتوزيع الثروات وأعاد بناء شكل آخر من الهيمنة، هو هيمنة السباقين إلى مناصب العمل الجيدة، العقارات ومختلف المزايا التي تركها المستوطنون الأوروبيون، وبالتالي هيمنة المدن (خاصة الكبرى منها) على البلدات والأرياف، وهيمنة العاصمة على باقي المدن، من خلال نظام هرمي مركزي سياسي وإقتصادي (Medher, 2015, p. 112)، يشعر الناس بعدم فعاليته ويعبرون عنه بحديثهم عن "الفوق" ويعبرون عن أنفسهم بـ "التحت".

كان يفترض أن تكون الكلمات التالية: **المسؤولون، الظلم، القهر، الحقرة، لصوص، الصبر لأهلهم، الموت** جزءا من الجهاز المركزي، لكن وحدهما **الموت** و**الحقرة** (الظلم، القهر) كانتا جزءا من هذا الأخير، فما الذي جعل بقية العناصر تغيب عن مكونات الجهاز المركزي بالرغم من أهميتها في تعليقات الشباب على الأنترنت كما رأينا أعلاه؟

* تحدث الباحث عن 60% من الإطارات السامية في المدن تولوا التسيير، التنظيم وتأطير النشاطات الإقتصادية، السياسية والإدارية للبلاد بدون خبرة سابقة أو كفاءة ملائمة.

طرحت فكرة "الشيمات النائمة les schèmes dormants" من قبل **قيميلي Guimelli** في سنة 1998 للإشارة إلى وجود عناصر غير منشطة (des éléments non-activés) وأخرى غير معبر عنها **(des éléments non-exprimables)** في كل تصور إجتماعي، ثم بينت أعمال **أبريك** (2002) التي تندرج ضمن نفس الأعمال النظرية للمقاربة البنيوية وجود منطقة في التصور الإجتماعي تفلت من الكشف والتحليل لأن عناصرها مغلفة أو مخفاة، سماها "المنطقة الصامتة la zone muette"، حيث تتضمن هذه الأخيرة عناصرا ضد معيارية (des éléments contre-normatifs) لا تتوافق مع العناصر المعيارية التي تتضمنها النواة المركزية لتصور إجتماعي ما عادة بالإضافة إلى عناصر وظيفية (des éléments fonctionnels)، فإذا كانت هذه الأخيرة تنشط أو لا بحسب الحاجة إليها في إطار ما فالعناصر الضد–معيارية لا تقدم من قبل الفرد بسبب تعارضها مع معايير جماعة إنتماءه، فهي تمثل الجزء غير الشرعي في تصور الأفراد لموضوع معين ولكن عدم الكشف عنها سيعني عدم الإحاطة بكل محتوى هذا التصور وبطبيعة بناءه (Abric et all, 2003, p. 75).

هناك إحتمال كبير لأن يكون غياب عنصري **المسؤولين** و**لصوص** عن خانة الجهاز المركزي في نتائج أداة الإستحضار التسلسلي راجعا لكونهما جزء من المنطقة الصامتة للتصور الإجتماعي للهجرة السرية، فظهورهما في تعليقات الشباب على الأنترنت كان متاحا بسبب إستحالة تحديد أصحاب هذه التعليقات وبالتالي الحصانة ضد أي شكل من أشكال العقاب أو "الإنتقام"، حيث لاحظنا حرص المستجوبين على معرفة الهدف من مقابلاتنا معهم وتأكدهم المسبق من عدم صلتنا بأي جهة رسمية كانت، أما غياب **الصبر لأهلهم** فقد يكون راجعا إلى تجنب الأحكام المعيارية غير المستحسنة لمن لا يهتمون بمشاعر أوليائهم أو حاجاتهم فما بالك بآلامهم.

يفترض بالخانتين الثانية والرابعة وجزء من الخانة الثالثة أن تتضمن عناصر الجهاز المحيطي، الذي تكون عناصره ملموسة ومرتبطة بالحياة اليومية وأكثر تأثرا بالمعطيات الفردية، كما يمكن لها أن تعطي المعنى للعناصر المكونة للجهاز المركزي، ففي حالتنا هذه يمكن توزيع مكونات هاتين الخانتين على ستة فئات تشير إلى معان متباينة:

- عناصر مرتبطة بالعمل (عنصر مركزي) وتشير إلى الهدف الإقتصادي من الهجرة وهو الحصول على **النقود (21؛ 3,00)** لـ **تحسين العيش (18؛ 3,44)** ولم لا **الغنى (5؛ 3,40)**، فالمطلوب ليس الخروج من وضعية البطالة فقط ولكن الإكتفاء المادي.
- عناصر مرتبطة بالفئة الأولى ولكنها أشمل وفي علاقة مع نوعية الحياة: **حياة أفضل (16، 3,18)**، **الهناء (17، 3,18)**، **الزواج (10، 3,30)**، **الحرية (11، 3,63)**، **تغيير الوضع (9؛ 2,77)**، **العدالة (7؛ 2,85)**،

السعادة (5؛ 2,60) أي أن المستقبل (عنصر مركزي) لا يعني الأبعاد المادية فقط بالنسبة للشباب بل كل جوانب الحياة (النفسية، الزوجية، المدنية، حرية التصرف واختيار نمط العيش).

- عناصر تبين ما يتوجب على الشاب القيام به لضمان المستقبل الذي يصبوا إليه، وهو الحصول على **الوثائق (5؛ 3,20)** و**الجنسية (6؛ 3,33)** من خلال **الزواج بأوروبية (9؛ 3,77)** إذا تطلب الأمر ذلك.
- عناصر تبين ما يقصده المستحضرون بالميزيرية (عنصر مركزي) وهما: **الفقر (8؛ 3,00)، المشاكل (5؛ 3,40)، البطالة (9؛ 2,66)، فقدان الأمل (6؛ 2,16)**.
- على عكس محتويات الفئات الأخرى التي تعتبر الهجرة السرية **الأمل الوحيد (6؛ 2,83)** تتضمن هذه الفئة عناصرا في علاقة مع مكونات الخانة 3 أو خانة العناصر المتباينة التي تشير إلى وجود جماعة فرعية تحمل تصورا مختلفا عن التصور السائد عن الهجرة السرية، والتي تبين بأن أصحاب هذه الجماعة الفرعية يعتقدون بأن الهجرة السرية **مغامرة (17؛ 3,35)، إنتحار (5؛ 2,40)، غلطة (5؛ 2,40)** وراجعة لـ: **الجهل (5؛ 3,00)** أو **عدم الإخلاص للوطن (5؛ 3,40)** أو **فقدان الثقة بالنفس (6؛ 2,83)** ولن يحصل منها المهاجر إلا على **الغربة (7؛ 2,14)** و**المعاناة (7؛ 2,42)**.
- أما الفئة الأخيرة فتتضمن عناصر مادية مرتبطة بالهجرة السرية هي: **البحر (6؛ 2,83)، قارب (6؛ 2,00)**.

تبين نتائج تحليل التلاقي (l'analyse des cooccurrences) بأن **المستقبل، الهروب، العمل** هي الكلمات التي ترتبط مع أكبر عدد من الكلمات وهذا أمر متوقع لأن العناصر المكونة للجهاز المركزي هي التي تعطي المعنى لباقي مكونات التصور، ثم تأتي **العيش في أوروبا، النقود** بدرجة أقل ثم تأتي **الخطر** و**الهناء**. كم تعطي معنى لبعض العناصر، إذ يبدو أن إعتبار الهجرة السرية مغامرة راجع إلى خطر الموت، كما أن الميزيرية مرتبطة في أدهان الشباب بالشعور بالحقرة.

بعد تقديم جدول الكلمات الأكثر إستحضارا، وجدول خانات الجهاز المركزي والجهاز المحيطي ومناقشة محتوياتهما، نقدم فيما يلي جدولا يختصر كل الكلمات المستحضرة في فئات تم إستخراجها بواسطة أحد البرامج الفرعية (CATEVOC) لبرنامج تحليل الإستحضارات EVOC2005:

الرقم	الفئة	عدد الكلمات (العبارات)	مجموع إستحضارات الكلمات	متوسط ترتيب ظهور كلماتها
01	**الهدف من الهجرة**	27	197	3,20
02	**أسباب الهجرة**	24	86	3,00
03	**نتائج سلبية للهجرة**	25	84	**2,80**
04	**سحر أوروبا**	13	50	3,30
05	**مغامرة**	05	44	**2,80**
06	**الهروب**	04	44	**2,40**
07	**السلوك في أوروبا**	09	41	**2,80**
08	**عيوب الحراق**	17	35	3,00
09	**ما تستحضره الحرڤة**	11	21	**2,90**
10	**ضد الحرڤة**	07	15	3,20
11	**عيوب أوروبا**	06	14	**2,80**
12	**غير محددة**	05	08	3,10
13	**مع الحرڤة**	04	05	**2,20**
14	**مواقف سلبية (passives)**	02	02	4,00
15	**تحيا الجزائر**	01	01	**2,30**

الجدول رقم 14: *الفئات التي تختزل إستحضارات الشباب حول الحرڤة وحجم كل فئة وأهميتها*

فيما عدا الفئة رقم 12 (**غير المحددة**) التي تضم خمس كلمات لم نستطع تصنيفها لعدم تمكننا من فهم دلالاتها، ضمت بقية الفئات كلمات أو عبارات تتواجد ضمن نفس الحقل الدلالي ولكن عدد الكلمات المستحضرة وتكراراتها إختلف من فئة إلى أخرى:

- **الهدف من الهجرة؛** إحتوت هذه الفئة على أكبر عدد من الكلمات المستحضرة، أكبر عدد من التكرارات وأكبر عدد من الكلمات (العبارات) ذات التكرار الكبير، حيث يمكن أن نَعُد هذه الأهداف بدءا بتلك التي تدفع الشاب فعلا لمغادرة بلاده: **البحث عن المستقبل، تغيير الوضع، تجنب الآفات الإجتماعية، تحسين العيش، إسعاد الوالدين** ولم لا تلك التي تكون في دهنه أيضا ولكنها غير ملحة: **تنمية الفكر** (الذات)، **التعرف على الشعوب، المعرفة** وحتى محاولة **جذب الأوروبيين للإسلام.** أما بعد نجاح الشاب في بلوغ الضفة الأخرى فعليه أن يشرع في تحقيق أهداف عملية كالحصول على **النقود** من أجل النجاة، ثم تسوية وضعيته القانونية من خلال **الحصول على الوثائق، الإقامة، الجنسية** ولو تطلب الأمر **الزواج بأوروبية،** حتى يتمكن من التمتع بـ **الحقوق** و**الحرية**

و**العيش بكرامة**، فيبدأ حياته **بالزواج**، وتحقيق طموحاته، من بينها **الثروة، السيارة** كرمز للنجاح ولكن أهم شيء يبقى **السعادة** و**الهناء**. أما عن كثرة الكلمات المنتمية إلى هذه الفئة وكثرة تكراراتها فهو على الأرجح راجع إلى الضغط المعياري (الفعلي والرمزي) الذي يتعرض له الشباب الذين يعبرون عن رغبتهم أو تأييدهم للهجرة السرية ما يحتم عليهم مواجهة هذا الضغط من خلال تعداد أكبر عدد ممكن من الأهداف التي قد تبرر سلوكهم أو موقفهم.

- **أسباب الهجرة**؛ وهي فئة تدعم في محتواها الفئة الأولى ويبدو محتواها ضروريا لتبرير الإقدام على هذا النوع من الهجرة أو التفكير فيه؛ **فالمسؤولين، بوتفليقة** أو **الدولة** هم من جعلوا **الشباب يكره بلده** ويشجعونه على الهجرة السرية بسبب سماحهم **بالفساد، البيروقراطية، التخلف، المحسوبية، الإضطرابات السياسية، التهميش، الفقر، البطالة، الميزيرية، الحقرة** بالإضافة إلى **المشاكل، الفراغ، فقدان الأمل، الرفقة السيئة، الحياة الروتينية** التي يعيشها الشاب.
- **سحر أوروبا**؛ في المقابل هناك من يعتقد بأن بلدان الوجهة تستحق العناء؛ فهناك من يهاجر **لرؤية عالم أفضل** أو لمجرد **العيش في أوروبا** و**مقارنة الجزائر مع بقية بلدان العالم**، فأوروبا هي **الجنة، بلاد "النية"، حقوق الإنسان، العدالة، الراحة**. بلاد **الحضارة، التقدم التكنولوجي**.
- **الهروب**؛ من خلال **إختراق الحدود** و**إنقاد النفس**.
- **السلوك في أوروبا**؛ أما عند الوصول إلى أوروبا فيجب على الشاب أن **يعتمد على نفسه** فيبحث عن **عمل** و**يثابر** فيه ويكون **أمينا** و**جادا في عمله مع الأوروبيين**، و**يتوب** عن أخطائه ويلزم **صلاته** (إعادة بناء حياة جديدة)، وهناك من سيقرر بأنه **لن يعود أبدا إلى بلده**.
- **ما تستحضره الحرقة**؛ مكان الإنطلاق: **عنابة**، وقت الإنطلاق: **إنتظار اللحظة**، نوع الهجرة: **هجرة سرية**، أدوات الهجرة: **قارب الصيد**، مسلك الهجرة: **البحر، الأمواج**، الجهة الواجب تجنبها: **أفراد البحرية**.
- **مع الحرقة**؛ لأنها **فرصة** و**شيء جميل**.
- **نتائج سلبية للهجرة**؛ التي يبدو أن محتواها مصدره جماعة فرعية معارضة لهذا النوع من الهجرة؛ بدءًا بالنتيجة الأكثر خطورة: **الغرق** وبالتالي **الموت** الذي يرتقي ليصبح **إنتحارا** فتتحول المحاولة إلى **مأساة**، ثم المعاناة الفيزيقية: **الجوع** والنفسية المصاحبة لمحاولة الهجرة تلك: **الرعب، الخوف، القلق، المعاناة** للحراق وأهله: **أولياء غير راضون، حزن العائلة** فحتى مع الوصول إلى وجهته يمكن أن يكون مآل الحراق **الإنحراف** أو **التشرد، فقدان الأولياء، فقدان الأصدقاء، الكآبة**. أما إذا **فشل** في مسعاه فسيأكله **الندم**، بسبب **تضييعه لوقته** و**مستقبله** وقد يكون مصيره **السجن**.

- **مغامرة**؛ لأن فيها **خطرا**، لأنها **سفر نحو المجهول**.
- **عيوب الحراق**؛ شخص **غير مسؤول، أناني، محب للتفاخر، غير واثق من نفسه، جاهل، لا يفكر، ضعيف الإيمان، غير متقبل للواقع، باع دينه، متأثر بثقافة الغرب، وليس لديه روح وطنية**.
- **ضد الحرقة**؛ لأنها حرام، **ليست حلا** بل **آفة، خطأ، خيانة** والأولى أن **يهاجر الشباب بدون مخاطر**.
- **عيوب أوروبا**؛ التي **لا توجد عدالة** بها بل **الميزيرية، فأبناؤها غير مؤمنون** و**عنصريون** ولا ينال من يعيش فيها **بدون وثائق** غير **الغربة**.
- **مواقف سلبية (passives)**؛ لا تعتقد بأنها تستطيع فعل شيء وتدعوا الله أن يهدينا.
- **تحيا الجزائر**؛ تعبيرات عاطفية عن حب الجزائر.

بالرغم من قلة عدد الحراقة في عينتنا (24) مقارنة بغير الحراقة (107) إلا أن مقارنة إستحضاراتهم بخصوص الحرقة يمكن أن تقودنا إلى بعض الإختلافات الدالة:

الحراقة				غير الحراقة	
الكلمات	**الأكثر تكرارا**	**ترتيب ظهورها**		**الكلمات**	**الأكثر تكرارا**	**ترتيب ظهورها**
المستقبل	**11**	2,27		الهروب	**29**	2,55
الهروب	**10**	2,00		المستقبل	**27**	2,85
الهناء	**08**	2,88		العمل	**26**	2,62
العمل	**05**	2,80		الموت	**26**	2,35
الخطر	**04**	/		النقود	**19**	3,05
الزواج	**04**	/		العيش في أوروبا	**18**	3,11
الميزيرية	**03**	/		الخطر	**18**	2,39
تحسين العيش	**03**	/		تحسين العيش	**15**	3,33
تغيير الوضع	**03**	/		مغامرة	**15**	3,27

الجدول رقم 15: *الكلمات المستحضرة الأكثر تكرارا عند الحراقة وغير الحراقة*

لا ترتكز هذه المقارنة على تكرارات الكلمات المستحضرة بين المجموعتين الفرعيتين وإنما على دلالات الكلمات الأكثر تكرارا عند كل مجموعة، حيث تشترك المجموعتين في الإستحضارات التالية: **المستقبل، الهروب، العمل،**

الخطر، تحسين العيش، وتختلف في بقية الإستحضارات، حيث إستحضر الحراقة كلمات تبين مبتغاهم من الحرقة وهو **تغيير الوضع، الزواج** و**الهناء** أو صعوبة ما قاسوه خلال محاولتهم: **الميزيرية** أما غير الحراقة فيبدو أنهم أكثر حساسية **للموت** ما يجعل الهجرة السرية **مغامرة،** أما عن الهدف من الهجرة السرية فهو **النقود** و**العيش في أوروبا.**

يبدو واضحا أن المجموعتين تشتركان في العناصر المكونة للجهاز المركزي لتصور الهجرة السرية ولكنهما تختلفان في بقية العناصر، حيث يعطي الحراقة أهمية أكبر للزواج والعيش الهني ويشيرون إلى صعوبة ما قاسوه خلال محاولتهم، في حين جعل خطر الموت المصاحب لهذا النوع من الهجرة الشباب يعتبرونها مغامرة أما عن أهدافها فيبدو أن للعيش في أوروبا والحصول على النقود موقع مهم في هذه الأهداف.

عند الربط بين تكرار الكلمات وترتيب ظهورها بهدف تحديد العناصر المكونة للجهاز المركزي وتلك المكونة للجهاز المحيطي للمجموعتين الفرعيتين يتبين أن خانة الجهاز المركزي للمجموعتين تشتركان في: **المستقبل، الهروب، الخطر** و**العمل** ولكنهما تختلفان من حيث غياب **الحقرة، الميزيرية، الموت** عن خانة هذا الجهاز عند الحراقة؛ حيث يمكن أن يفسر هذا الإختلاف على أن **الميزيرية** و**الموت** سمة منفرة في الهجرة السرية عند غير الحراقة أما غياب الحديث عن **الحقرة** عند الحراقة، وهو أمر مستغرب، فقد يكون بسبب تفادي الحرقة للمشاكل مع ممثلي الدولة خصوصا لما نعرف أنهم كانوا محل تحقيق وحتى متابعة قضائية عند فشل محاولتهم أو ترحيلهم.

أما عن الإختلافات بين الخانات المكونة للجهاز المحيطي لدى المجموعتين فيبدو أن الحراقة يهتمون بعوامل الإستقرار **كالزواج** ويعتبرون هذا النوع من الهجرة **آخر فرصة** أمامهم **لتغيير وضعهم** في حين يتجسد النجاح في هذه الهجرة عند غير الحراقة في: **النقود، العيش في أوروبا، الحرية، الجنسية** وتكون مرادفة **للمغامرة** في **البحر.**

أما عن العناصر المكونة لخانتي العناصر المتباينة التي تضم عادة العناصر المتعلقة بمجموعات فرعية تحمل تصورا مختلفا عن التصور المدروس فمن الواضح وجود عناصر لدى خانة غير الحراقة يمكن عزوها إلى جماعة الحراقة: **تغيير الوضع، الغربة، الزواج، القارب، المعاناة** وأخرى يمكن عزوها إلى جماعة معارضة بشدة للحرقة: **خطأ، عدم الثقة بالنفس.** أما في خانة الحراقة فيمكن عزو عناصرها إلى غير الحراقة أيضا؛ حيث نجد: **النقود، السعادة، الحرية، عدم العودة في حالة النجاح، العيش في أوروبا** وعزو عناصر أخرى إلى جماعة فرعية معارضة للحرقة: **فقدان الأمل، الجهل.**

كما كان الشأن بالنسبة لمجموعتي الحراقة وغير الحراقة قمنا بالمقارنة بين ثلاث مجموعات فرعية تختلف بحسب الفئة العمرية (فئة الأقل من 20 سنة، فئة 20-30 سنة، فئة الأكثر من 30 سنة) فتبين أن الفئات الثلاث

تشترك في أغلبية الكلمات: **الهروب، المستقبل، العمل، تحسين العيش، الهناء، الخطر، الموت** وتشترك مجموعتي الأقل من 20 سنة وما بين 20–30 سنة في: **الميزيرية** و**النقود** ويتحدث الأقل من 20 سنة عن **الجنسية** في حين يتحدث من يتراوح سنهم ما بين 20 و30 سنة عن **العيش في أوروبا** و**الحرية**. أما من تجاوزت أعمارهم 30 سنة فيتحدثون عن: **تغيير الوضع، فقدان الأمل** و**الزواج**. ويتشاركون مع فئة 20–30 سنة في الحديث عن **مغامرة**.

3. عرض وتحليل ومناقشة نتائج إستمارة التصورات الإجتماعية للهجرة السرية:

لقد تضمنت إستمارة التصورات الإجتماعية للهجرة السرية هذه 136 عبارة تعبر عن خمس ثنائيات تم إستنتاجها من أحاديث الشباب عن الهجرة السرية (تعليقاتهم على الأنترنت أو أداة الإستحضار التسلسلي)، نعتقد بأنها تؤطر التفكير الإجتماعي للشباب بخصوص الهجرة السرية:

- **تصورات (+/−) عن أوروبا والأوروبيين**
- **تصورات (+/−) عن الهجرة السرية والمهاجرين السريين**
- **العلاقة دولة (مسيرون) / شعب (مواطنون) في الجزائر**
- **العلاقة أغنياء / فقراء في الجزائر**
- **تصورات سلبية / إيجابية عن الجزائر والجزائريين**

يكمن الهدف الأول من تقديم هذه الإستمارة في التأكد من التنشيط الفعلي لهذه الثنائيات خلال التفكير الإجتماعي حول الهجرة السرية لذلك قمنا بإخضاع إجابات أفراد العينة للتحليل العاملي الذي يختزل الدرجات–التي أعطاها جميع أفراد العينة لعبارات الإستمارة للتعبير عن مدى موافقتهم عليها– في عدد محدود من العوامل (des facteurs)، أي تقليص كتلة كبيرة من المعطيات في عدد محدود من الأقسام:

العامل 1				العامل 2		العامل 3		العامل 4		العامل 5	
*REP1	**0,80**	RAA23	0,57	RAA6	**0,68**	RAA18	**0,78**	REE19	**0,65**	REE21	**0,73**
RAA5	**0,77**	REP7	0,56	RAA21	**0,67**	REMC19	**0,70**	REE9	**0,64**	REE23	**0,70**
REP8	**0,76**	REE11	0,56	RAA4	**0,65**	RAA9	**0,69**	REE13	**0,64**	REE18	**0,61**
REP5	**0,75**	RRP4	0,55	RAA13	**0,63**	REMC7	**0,69**	REE3	0,56	REE26	0,48
RRP3	**0,75**	REP20	0,54	RAA15	**0,63**	RAA29	**0,65**	REE11	0,55		
REP6	**0,73**	REP13	0,54	REMC33	**0,61**	RAA7	**0,64**	REE22	0,54		
RRP9	**0,75**	REMC34	0,51	REMC32	0,59	REMC10	**0,61**	REE15	0,53		
REP17	**0,71**	RRP11	0,50	REMC42	0,59	RAA14	**0,61**	REE10	0,49		
REP3	**0,71**	RRP12	0,48	REMC45	0,58	RAA11	0,59				
REP19	**0,69**	RRP1	0,47	REMC13	0,58	RRP12	0,55				
REP4	**0,66**			RAA24	0,58	RRP5	0,53				
REP14	**0,65**			RAA2	0,58	RRP1	0,53				
REP16	**0,61**			REMC38	0,50	REMC3	0,52				
RAA25	**0,60**			REMC44	0,48						
REP15	0,59			RAA19	0,47						
RRP10	0,58			REMC2	0,47						

الجدول رقم 16: *جدول يبين تشبعات** العوامل الخمسة المستخرجة (نتائج التحليل العاملي)*

من الواضح وجود ثلاث عوامل رئيسية واثنين ثانويين تختزل درجات موافقة أفراد العينة على العبارات التي تضمنتها الإستمارة:

العامل الأول: يتضمن هذا العامل الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية، إذ يبدو واضحا أن المسؤولين هم من يحملون الجانب الأكبر من المسؤولية لأنهم "جعلوا الشباب يكرهون بلدهم"، ولأنهم "يأكلون خيرات البلاد" و"يهتمون بأبنائهم وأسرهم فقط" ما يجعل الجزائر بحاجة لحاكمين مثل عمر بن الخطاب أو هواري بومدين، أما المسؤولين فسينالون جزائهم عاجلا أم آجلا.

هناك أيضا شعور باللاعدالة لأن "من لديه القوة والمساندة يأخذ حقه والفرد الضعيف تضيع حقوقه" كما "أن العائلات الغنية أصبحت كذلك لأنها تستغل خيرات البلاد" فبالرغم من أن الجزائر "بلد غني إلا أن أبناءه فقراء".

* تشير هذه الرموز إلى عبارات الإستمارة (أنظر الملاحق).

** تشير التشبعات إلى الإرتباط الموجود بين المتغير (أ، ب، ت، إلخ) وعامل معين (عامل 1، عامل 2، عامل 3، إلخ) حيث يمكن تشبيهها بالإرتباطات.

من جانب آخر هناك شعور باللاقيمة لأن العلاقات ما بين الناس أصبحت تطبعها الماديات على حساب قيمة الفرد كإنسان.

يعتقد أفراد العينة بأن "المستقبل غير مضمون والأوضاع تسير من سيء إلى أسوء" ما يجعل من المنطقي البحث عن الهجرة إلى أوروبا التي تضمن حقوق مواطنيها (السكن، منصب عمل، منحة البطالة).

على عكس نتائج أداة الإستحضار التسلسلي التي غاب عنها الحديث عن المسؤولين واعتبارهم لصوصا والتي قلنا أن السبب في ذلك يمكن أن يكون راجعا لكونهما جزءا من المنطقة الصامتة للتصور الإجتماعي للهجرة السرية، فإنهما قد عادا بقوة مع نتائج إستمارة التصورات الإجتماعية لما عرضا على المستجوبين، ما يشير إلى علاقتهما الوطيدة بإدراك المجيبين للهجرة السرية.

العامل الثاني: من الواضح أن العناصر المكونة لهذا العامل تحمل ضغطا معياريا ويمكن أن تنشط من قبل أصحابها لدعم رفضهم للهجرة السرية، حيث يمكن أن نميز عبارات "عاطفية" مثل "أتناول الخبز والماء ولا أترك بلدي"، "الجزائر أفضل من الكثير من الشعوب الإفريقية والآسيوية وشعوب أمريكا اللاتينية"، وعبارات في علاقة بشخصية الجزائريين بما فيهم الشباب: "يحب أغلبية الجزائريين الربح في 24 ساعة"، "يريد الجزائري أن يستفيد من خيرات البلاد دون أن يقدم المقابل"، "يفضل الشباب التزين والراحة على العمل"، "العمل موجود في الجزائر ولكن الشباب يفضلون المكتب" ، "أصبح الشباب يهتم بالماديات وأهمل الروحانيات"، وعبارات تنتقد قرار الشاب الهجرة إلى أوروبا وتعتبره "تنكرا لتضحيات الشهداء" وتعتبر أن الغاية منه هو "الطمع"، "الرغبة في الحياة الإباحية" ويعتقد أصحابها بأن الشباب يقوم بهذا النوع من الهجرة لنقص الوازع الديني وبأنه سيضطر لفقدان "مبادئه ودينه" "وكرامته" من أجل الوثائق ويستغربون رفضه للعمل اليدوي في بلاده وممارسته في أوروبا.

العامل الثالث: تشير عبارات هذا البعد إلى ما يبرر الفرار من الجزائر "وكرهها" حيث تم إعتبارها "سجنا كبيرا"، "الفقير فيها يموت فقيرا"، "لا تعطي لأبنائها القيمة"، "لن تجد فيها من يساعدك" كما لا يمكنك "أن تحلم حتى حلما جميلا"، إذن، "من يبقى في الجزائر هو يضيع وقته" أو يخدم "الفئة الحاكمة الغنية" ، فما عليه سوى الهجرة إلى البلدان الأوروبية "كما أتت هي إلى البلدان العربية أيام الإستعمار" و"ما دامت تأخذ خيرات هذه الأخيرة من بترول وغاز"، ويمكن لهذه العبارات أن تستخدم من قبل الشباب لمواجهة الضغط المعياري الذي تمثله عبارات العامل الثاني.

العامل الرابع: يشير هذا العامل إلى ما يميز أوروبا من نظام وعدالة وضمان حقوق من يتواجدون بطريقة قانونية فيها، كما يشير إلى ميزات الأوروبيين الذين "يعطونك فرصة" في العمل وفي إثبات نفسك بشكل عام ولا يبخسون

العامل حقه، كما يشير إلى أخلاقهم السامية كاحترامهم للفرد وطقوس الإسلام لدى من يقوم بها من عمالهم وعدم تعقبهم لبعضهم البعض وانشغالهم بأنفسهم بعيدا عن رقابة المحيط.

العامل الخامس: يتضمن هذا العامل نظرة سلبية للغرب بدءًا بالإعتقاد بأنه "في أوروبا لا يوجد شيء بالمجان" كما أن الأروبيين (الغربيون) لا يحبوننا والدليل "عملهم بشكل ممنهج على تحطيم دول العالم الثالث وتفتيتها" ودعمهم "للفساد في الجزائر من خلال سكوتهم عن الأموال المهربة إليهم من قبل المسؤولين الجزائريين".

يكمن الهدف الثاني من تقديم هذه الإستمارة في معرفة ما إذا كانت متغيرات بسيكو–سوسيولوجية تؤثر على تنشيط أفراد العينة (الشباب) لهذه العوامل في تفكيرهم وحواراتهم بخصوص الهجرة السرية، بعبارة أخرى، هل يختلف تنشيط محتوى هذه العوامل بحسب محاولتهم للهجرة السرية من عدمها، إتجاههم السلبي أو الإيجابي نحوها وعزوهم السببي؟ ولكن قبل ذلك سنعرض التشابهات والإختلافات في تنشيط هذه العوامل بحسب:

1. متغير السن:

فيما يلي نتائج إختبار T للعينات المستقلة الذي إستخدمناه لمعرفة الفروقات في توظيف مختلف الفئات العمرية لمختلف العوامل (من 1 إلى 5) المذكورة أعلاه:

1.1. الفروقات بين عينة الأقل من 20 سنة والأكثر من 30 سنة:

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة هو m=0,03 (s=0,82) في حين أن متوسط تشبعات الذين تزيد أعمارهم عن 30 سنة فهو m=0,32 (s=0,48)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,18 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه.

من الواضح جدا موافقة الفئات العمرية الثلاثة على محتوى هذا العامل، وبالخصوص من تجاوزت أعمارهم 30 سنة*، حيث نعتقد بأن تجربتهم في الهجرة السرية، مع ما تضمنته هذه التجربة من مخاطر وظروف صعبة، يضاف لها فشلهم في الحصول على مناصب شغل تضمن لهم الحصول على سكن لائق، سيارة وحتى الزواج بالنسبة للبعض منهم، هو السبب الذي يقف وراء تحمس أفراد هذه الفئة للموافقة على محتوى هذا العامل، أما عن العبارات

* يتضح ذلك من خلال متوسطات درجات موافقتهم على العبارات المكونة لهذا العامل.

التي يوافق عليها أفراد هاته الفئة العمرية وبقية الفئات العمرية فهي تلك التي تشير بشكل واضح إلى من "يسرقون البلاد" ومن "لا ينجزون عملهم" و"يهتمون بأبنائهم وأسرهم فقط" وإلى اللاعدالة التي تتجلى في "بلد غني وأبناءه فقراء"، "من ليس لديه القوة والمساندة يأخذ حقه والفرد الضعيف تضيع حقوقه" وبالتالي فالمسؤولون هم من جعلوا الشباب يكرهون بلدهم، أما الحل فيكمن في حاكم له صفات عمر بن الخطاب أو هواري بومدين في الحكم.

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة هو m=0,16 (s=0,78) في حين أن متوسط تشبعات الذين تزيد أعمارهم عن 30 سنة فهو m=0,22 (s=1,12)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,80 وقد تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، بعبارة أخرى لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى التحفظ بخصوص محتواه. فمن الواضح أن من تقل أعمارهم عن 20 سنة يميلون إلى رفض العبارات التي تتحدث عن طمع الشباب المهاجر بشكل سري وفقدانه لمبادئه أو تلك التي ترى بأن القليل في البلد خير من الكثير في بلدان الآخرين أو تلك التي تتحدث عن غياب الكرامة في أوروبا. في حين يبدو أن من تزيد أعمارهم عن 30 سنة أكثر رفضا للعبارات التي تعتبر هجرة الشباب تنكر لتضحيات الشباب وبأن هجرة الشباب نابعة من رغبتهم في الحياة الإباحية.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة هو m=0,09 (s=0,90) في حين أن متوسط تشبعات الذين تزيد أعمارهم عن 30 سنة فهو m=-0,05 (s=1,19)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,61 وقد تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى التحفظ بخصوص محتواه.

يميل أفراد الفئتين العمريتين إلى رفض العبارات التي ترى بأنه يجب الهجرة إلى الدول الأوروبية كما هاجرت هي إلى الدول العربية عن طريق الإستعمار، أو تلك التي ترى بأنه في الجزائر لن تجد من يساعدك، لكن من الواضح أن من تزيد أعمارهم عن 30 سنة أكثر معارضة للجمل التي تعتبر أنه من يعيش في الجزائر يضيع وقته أو تلك التي تتحدث عن كره البلد واعتباره سجنا كبيرا.

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة هو *m*=0,03 (*s*=0,92) في حين أن متوسط تشبعات الذين تزيد أعمارهم عن 30 سنة فهو *m*=0,48 (*s*=0,87)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,09 أي أنها قد تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى الموافقة على محتواه.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة هو *m*=-0,32 (*s*=0,85) في حين أن متوسط تشبعات الذين تزيد أعمارهم عن 30 سنة فهو *m*=0,53 (*s*=0,80)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,0008 أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفراد المجموعة الأولى إلى التحفظ بخصوص محتواه، في حين يميل أفراد المجموعة الثانية إلى الموافقة على محتواه.

بشكل متناقض، يتفق من تزيد أعمارهم عن 30 سنة بشكل واضح مع محتوى العاملين 4 و5 أكثر ممن تقل أعمارهم عن 20 سنة.

2.1. الفروقات بين عينة الأكثر من 30 سنة وذوي الأعمار بين 20–30 سنة:

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين تزيد أعمارهم عن 30 سنة هو *m*=0,32 (*s*=0,48) في حين أن متوسط تشبعات الذين تتراوح أعمارهم بين 20–30 سنة فهو *m*=-0,09 (*s*=1,14)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,12 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتوى هذا العامل.

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين تزيد أعمارهم عن 30 سنة هو *m*=0,22 (*s*=1,12) في حين أن متوسط تشبعات الذين تتراوح أعمارهم بين 20–30 سنة فهو *m*=-0,12 (*s*=1,03)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,19

أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى التحفظ بخصوص محتواه.

من الواضح أن من تزيد أعمارهم عن 30 سنة هم أكثر الفئات العمرية تحفظا على محتوى العبارات التي تتحدث عن تنكر الشباب لتضحيات الشهداء وبحثهم عن الحياة الإباحية في أوروبا وبأنه من لا يجمع المال في بلده لا يفعل ذلك عند الآخرين، ولكنهم يميلون إلى الموافقة على أنه لا كرامة في أوروبا وبأن الشباب يحتقرون العمل اليدوي، حيث يمكن أن تبرر هذه المعطيات بكون أفراد هذه الفئة العمرية في عينتنا هم شباب هاجروا سريا إلى أوروبا؛ أي أن العبارات الأولى قد مستهم شخصيا وهو ما يبرر ميلهم لرفضها ربما، كما أن حديثهم عن غياب الكرامة في أوروبا يرجع لظروف قد عاشوها ويعتبرونها غير كريمة.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات الذين تزيد أعمارهم عن 30 سنة هو m=−0,05 (s=1,19) في حين أن متوسط تشبعات الذين تتراوح أعمارهم بين 20−30 سنة فهو m=-0,02 (s=0,99)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,93 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى التحفظ بخصوص محتواه.

تبين متوسطات درجات الموافقة على عبارات هذا العامل بأن تحفظ الفئات العمرية الثلاثة على محتوى هذا العامل يرجع لميلهم لرفض العبارات التي تتحدث بشكل سلبي عن الجزائر «من يعيش في الجزائر يضيع وقته»، «كرهنا من هذا البلد»، «الجزائر سجن كبير» في حين يوافقون على عبارات مثل «الجزائر ليست بلدا لكل الجزائريين، بل لبعض العائلات»، «في الجزائر الإنسان النزيه يبقى فقيرا».

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات الذين تزيد أعمارهم عن 30 سنة هو m=0,48 (s=0,87) في حين أن متوسط تشبعات الذين تتراوح أعمارهم بين 20−30 سنة فهو m=-0,14 (s=1,03)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,01 أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، فالذين تزيد أعمارهم عن 30 سنة أكثر موافقة على محتوى هذا العامل عمن تتراوح أعمارهم ما بين 20−30 سنة.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات الذين تزيد أعمارهم عن 30 سنة هو m=0,53 (s=0,80) في حين أن متوسط الذين تتراوح أعمارهم بين 20–30 سنة فهو m=0,003 (s=1,05)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,04 أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، فالذين تزيد أعمارهم عن 30 سنة أكثر موافقة على محتوى هذا العامل عمن تتراوح أعمارهم ما بين 20–30 سنة.

بشكل متناقض مع موافقة من تزيد أعمارهم عن 30 سنة على محتوى العامل 4 يوافق أفراد هذه الفئة العمرية بشكل واضح على عبارات هذا العامل، حيث نعتقد بأن هذا التناقض يتجاوز العلاقة المباشرة لهذه الفئة مع العناصر المعرفية التي يتضمنها العاملين وارتباطهما بنظرة شاملة نحملها عن أوروبا والأوروبيين الجيدين لأنفسهم وأوروبا والأوروبيين السيئين في تعاملهم معنا (المغاربيون، العرب، الأفارقة، مواطنو العالم الثالث).

3.1. الفروقات بين عينة الأقل من 20 سنة وذوي الأعمار 20–30 سنة:

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة هو m=0,03 (s=0,82) في حين أن متوسط تشبعات الذين تتراوح أعمارهم بين 20–30 سنة فهو m=-0,09 (s=1,14)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,54 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتوى هذا العامل.

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة هو m=0,16 (s=0,78) في حين أن متوسط تشبعات الذين تتراوح أعمارهم بين 20–30 سنة فهو m=-0,12 (s=1,03)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,15 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى التحفظ بخصوص محتواه، وبالخصوص من تتراوح أعمارهم بين 20 و30 سنة، أما العبارات التي تثير حفيظة من تقل أعمارهم عن 20 سنة أكثر من غيرهم فهي تلك التي تتحدث عن طمع الشباب أو تلك التي تتهمهم بفقدان المبادئ والدين، أما تلك التي يتحفظ عليها أفراد المجموعتين معا فهي تلك التي تتحدث عن التنكر لتضحيات الشهداء والبحث عن الحياة الإباحية. كما يبدوا أن الشباب من المجموعتين

يرفضون تقبل فكرة غياب الكرامة في أوروبا، أما فيما يخص العبارات التي يتحفظ عليها من تتراوح أعمارهم ما بين 20–30 سنة فهي تلك التي ترى أن الشباب يتكبر على العمل وبالخصوص اليدوي منه.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة هو m=0,09 (s=0,90) في حين أن متوسط تشبعات الذين تتراوح أعمارهم بين 20–30 سنة فهو m=-0,02 (s=0,99)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,54 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى التحفظ بخصوص محتواه.

من الواضح جدا تحفظ أفراد المجموعتين على العبارات التي تتحدث بشكل سلبي عن الجزائر وحتى الجزائريين، لكن تحفظ المجموعتين يقل مع العبارات التي تتحدث عن حظوظ الإنسان الفقير أو النزيه الضئيلة في تحسين وضعهما أو تلك التي تتحدث عن أن الجزائر ليست بلدا لكل الجزائريين بل لفئة معينة.

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة هو m=0,03 (s=0,92) في حين أن متوسط تشبعات الذين تتراوح أعمارهم بين 20–30 سنة فهو m=-0,14 (s=1,03)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,39 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتوى هذا العامل.

من الواضح جدا أن من تقل أعمارهم عن 20 سنة هم الأكثر موافقة على العبارات التي تتحدث عن مزايا أوروبا والأوروبيين.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة هو m=-0,32 (s=0,85) في حين أن متوسط الذين تتراوح أعمارهم بين 20–30 سنة فهو m=0,003 (s=1,05)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,12 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتوى هذا العامل.

يمكن لهذه الموافقة من الذين تتراوح أعمارهم ما بين 20 و30 سنة أن تبرر بوجود الحراقة ضمن هذه الفئة والذين يكونون قد اختبروا ظروفا تشير إليها العبارات التي تتحدث عن موقف الأوروبيين من المغاربيين أو العرب (الأوروبيون لا يحبوننا) أو تلك التي تشير إلى ظروف العيش في أوروبا «في أوروبا لا يوجد شيء بالمجان».

تبين نتائج إختبار ت حول الفروق بين مختلف الفئات العمرية في علاقتهم مع العامل الأول المتعلق بـ **الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية** بأنه لا يوجد إختلاف دال إحصائيا بين الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة، الذين تتراوح أعمارهم ما بين 20 و 30 سنة وأولئك الذين تزيد أعمارهم عن 30 سنة في علاقتهم مع محتوى هذا العامل، حيث بينت المقارنة بين متوسطات درجات تقييم أفراد هذه الجماعات الفرعية للبنود المشكلة لهذا العامل بأن هذه المجموعات الفرعية الثلاثة توافق بشكل واضح جدا على محتوى هذه البنود.

إن ما يبرر موافقة الفئات العمرية الثلاثة على محتوى هذا العامل هو تفصيله لمعنى كلمتي "المسؤولين" و"لصوص" التي إستخلصناهما من تحليل محتوى تعليقات الشباب على المقالات حول الهجرة السرية المنشورة في الأنترنت والتي قلنا أنها يمكن أن تكون عنصرا من عناصر الجهاز المركزي للتصور الإجتماعي للهجرة السرية، وكذا كلمة "الحقرة" التي ظهرت في محتوى الجهاز المركزي للتصور الإجتماعي للهجرة السرية كما حصلنا عليه مع أداة الإستحضار التسلسلي، ما يعني أن إتفاق الفئات العمرية على محتواه راجع إلى أن هذا المحتوى جزء من الجهاز المركزي للتصور الإجتماعي لظاهرة الهجرة السرية.

أما فيما يخص علاقة الفئات العمرية الثلاثة بمحتوى العامل الثاني الذي يتضمن بنودا متمثلة في **تبريرات لرفض الهجرة السرية** فالنتيجة تكاد تكون نفسها، إذ لا يوجد إختلاف دال إحصائيا بين الفئات العمرية الثلاثة في علاقتها مع محتوى هذا العامل، حيث بينت المقارنة بين متوسطات درجات تقييم أفراد هذه الجماعات الفرعية للبنود المشكلة لهذا العامل بأن هذه المجموعات الفرعية الثلاثة تميل إلى موقف محايد من شطر من البنود ورفض شطر آخر، فمن الواضح أن الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة أكثر رفضا للبنود التي تتحدث عن طمع الشباب المهاجر بشكل سري، فقدانه لمبادئه ودينه من أجل الوثائق أو تلك التي تدعو إلى الرضا بالوضع في الجزائر وتعتبر الجزائري ميالا للإستفادة من خيرات البلاد دون أن يقدم المقابل، أما الذين تتراوح أعمارهم ما بين 20 و30 سنة فهم أكثر المجموعات رفضا للعبارات التي تتحدث عن احتقار الشباب للعمل اليدوي وقيامهم به في أوروبا، وتكبرهم على المهن. أما فئة الذين تزيد أعمارهم عن 30 سنة فهم ميالون لرفض إعتبار هجرة الشباب تنكر لتضحيات الشهداء وكذلك الفكرة التي مفادها بأن من لا يجمع المال في بلده لا يجمعه عند الآخرين. كل هذه المعطيات تبين أن الشباب حساسون لكل ما يتهمهم بنقص الوطنية أو التكبر على العمل في الجزائر مهما كان نوعه، وهذا مناقض

تماما لما تسوقه وسائل الإعلام المحترفة أو وسائل التواصل الإجتماعي من عدم مبالاة الشباب المهاجرين سريا أو الراغبين في ذلك بموقف مجتمعهم من هجرتهم السرية والضغط المعياري المصاحب لهذا الأسلوب في مغادرة الأهل والبلاد.

لا يوجد إختلاف دال إحصائيا بين الفئات العمرية الثلاثة في علاقتها مع محتوى العامل الثالث الذي يضم بنودا متمثلة في **تبريرات للفرار من الجزائر "وكرهها"** والتي تنحوا منحاً محايدا مع أغلبية بنود هذا العامل، وتميل ثلاثتها إلى رفض العبارات التي تدعوا للهجرة إلى الدول الأوروبية كما هاجرت هي إلى الدول العربية عن طريق الإستعمار، أو تلك التي تقول بأنه في الجزائر لن تجد من يساعدك، لكن من تجاوزت أعمارهم 30 هم الأكثر رفضا للعبارات التي تتحدث عن كره البلد، أو تعتبره سجنا كبيرا وبأن من يعيش فيه يضيع وقته. وهنا يبدوا واضحا حرص الشباب على التمييز بين البلد (كوطن، كجغرافيا وكموارد سياحية وطبيعية) وبين الدولة التي تسير هذا البلد.

أما فيما يخص محتوى العامل الرابع الذي يشير إلى **الميزات الحسنة للأوروبيين** فإنه يوجد إختلاف دال إحصائيا بين الفئات العمرية الثلاث في علاقتها مع محتوى هذا العامل، حيث يوافق من تزيد أعمارهم عن 30 سنة على محتوى هذا العامل بشكل أكبر من الذين تتراوح أعمارهم ما بين 20 و 30 سنة والذين تقل أعمارهم عن 20 سنة.

يبدوا أن من تزيد أعمارهم عن 30 سنة يختلفون في نظرتهم عن الفئتين العمريتين الأخريين في علاقتهم مع محتوى العامل الخامس، إذ يبدو أن من تزيد أعمارهم عن 30 يحملون نظرة سلبية عن الغرب في حين يميل من تقل أعمارهم عن 20 سنة إلى الحياد ويميل من تتراوح أعمارهم ما بين 20 و30 سنة إلى إتخاذ موقف حيادي (ولو بشكل غير قوي) تجاه محتوى هذا العامل. فالذي يبرر زيادة من تزيد أعمارهم عن 30 سنة في موافقتهم على محتوى العاملين 4 و5 ذوا المحتوى المتناقض مقارنة بأفراد الفئتين العمريتين الآخرين هو إنتماء هذين المحتويين إلى نظام خلفي يحدد نظرة مزدوجة لأوروبا والأوروبيين إيجابية وسلبية في آن واحد.

2. متغير المستوى الدراسي:

فيما يلي نتائج إختبار T للعينات المستقلة الذي إستخدمناه لمعرفة الفروقات في توظيف مختلف العوامل (من 1 إلى 5) المذكورة أعلاه بحسب المستوى الدراسي:

1. الفروقات بين عينة ذوي المستوى الدراسي متوسط وذوي المستوى الدراسي ثانوي:

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي متوسط هو m=0,09 (s=0,89) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي ثانوي فهو m=-0,08 (s=1,10)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,40 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتوى هذا العامل.

من الواضح جدا أن أفراد العينة يوافقون على محتوى هذا العامل مهما كان مستواهم الدراسي، ويبدو أن السبب الذي نعتقد بأنه يبرر موافقة مختلف الفئات العمرية على محتوى هذا العامل هو نفسه الذي يقف خلف موافقة مختلف المستويات الدراسية عليه وهو احتواءه على عبارات تفصل معاني الكلمات التي إعتقدنا بانتمائها للجهاز المركزي للهجرة السرية: "المسؤولين"، "لصوص" و"الحقرة".

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي متوسط هو m=0,18 (s=0,94) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي ثانوي فهو m=-0,01 (s=0,95)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,33 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى التحفظ بخصوص محتواه.

أما ما يبرر هذا التحفظ، فمن الواضح أن العبارات التي تتحدث عن تنكر الشباب المهاجر سريا لتضحيات الشهداء ورغبته في الحياة الإباحية في أوروبا وتفضيله للعمل في المكتب بدل العمل في البناء، الفلاحة والصيد البحري مرفوضة من قبل أفراد المجموعتين.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي متوسط هو m=−0,04 (s=1,18) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي ثانوي فهو m=0,07 (s=0,89)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,61 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى التحفظ بخصوص محتواه. حيث يمكن أن يبرر هذا التحفظ بحديث الكثير من العبارات بشكل سلبي عن الجزائر، ولكننا نرى في المقابل أن هذا التحفظ يقل مع العبارات التي تتحدث عن اللاعدالة والممارسات التي تقصي غالبية الجزائريين من الإستفاذة من خيرات البلاد.

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي متوسط هو m=0,16 (s=0,84) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي ثانوي فهو m=-0,09 (s=1,09)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,20 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتوى هذا العامل.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي متوسط هو m=−0,13 (s=1,06) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي ثانوي فهو m=0,05 (s=1,10)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,39 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى الموافقة على محتواه.

كما هو الشأن بالنسبة لمحتوى العامل الرابع، يميل أفراد المجموعتين إلى الموافقة على محتوى العامل الخامس الذي تتحدث عباراته عن مساوئ الأوروبيين، فهذه الموافقة على عاملين متناقضين يمكن أن تزيد من إعتقادنا بأن محتواهما جزء من نظام خلفي يتضمن نظرتين متضادتين لأوروبا والأوروبيين.

2. الفروقات بين عينة ذوي المستوى الدراسي متوسط وذوي المستوى الدراسي جامعي:

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي متوسط هو *m*=0,09 (*s*=0,89) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي جامعي فهو *m*=-0,06 (*s*=1,07)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,46 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتوى هذا العامل.

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي متوسط هو *m*=0,18 (*s*=0,94) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي جامعي فهو *m*=-0,26 (*s*=1,07)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,04 أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل الجامعيون إلى رفض محتوى هذا العامل في حين يميل أصحاب المستوى المتوسط إلى التحفظ بشأنه.

يتفق الجامعيون مع أصحاب المستوى التعليمي المتوسط في ميلهم لرفض العبارات التي تتحدث عن فقدان الشباب لدينهم ومبادئهم من أجل الوثائق وتنكرهم لتضحيات الشهداء ورغبتهم في الحياة الإباحية وتلك التي ترى أنه من لا يجمع المال في بلده لا يفعله عند الآخرين، ويرفضون أكثر العبارات التي تتحدث عن طمع الشباب المهاجر وعن غياب الكرامة في أوروبا، أو تلك التي تتحدث عن ميل الجزائري للإستفادة من خيرات البلاد دون أن يقدم المقابل، وكذا تكبره عن العمل واحتقاره للعمل اليدوي وبأنه من لا يجمع المال في بلده لا يستطيع فعل ذلك في بلدان الآخرين، لكن ما الذي يبرر هذا الميل لدى الجامعيين إلى معارضة محتوى هذا العامل؟ وقد كنا نتوقع أن أصحاب المستوى المتوسط والثانوي هم من سيميلون إلى معارضته لكون الحراقة والشباب الراغبين في الهجرة السرية بهذا المستوى الدراسي في الغالب، فهذا الموقف من الجامعيين يمكن أن يبرر بتأكيد انفلاتهم من الضغط المعياري للمجتمع والذي شجعهم عليه مستواهم التعليمي وآليات التفكير الموضوعي التي إكتسبوها خلال مسارهم الدراسي.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي متوسط هو m=-0,04 (s=1,18) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي جامعي فهو m=-0,07 (s=0,78)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,89 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى التحفظ بخصوص محتواه.

من الواضح جدا تحفظ المجموعتين على العبارات التي تتحدث عن الجزائر بشكل سلبي وميل هذا التحفظ إلى التراجع مع العبارات التي تتحدث بشكل سلبي عن المسيرين والعائلات الغنية وغياب العدالة الإجتماعية.

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي متوسط هو m=0,16 (s=0,84) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي جامعي فهو m=-0,18 (s=1,10)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,09 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتوى هذا العامل.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي متوسط هو m=-0,13 (s=1,06) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي جامعي فهو m=0,18 (s=0,71)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,12 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى الموافقة على محتوى هذا العامل.

كما كان الشأن بالنسبة للاختلافات ما بين الفئات العمرية والمستويين التعليميين في علاقتهم مع محتوى هذين العاملين، يميل الجامعيون وأصحاب المستوى التعليمي المتوسط إلى الموافقة على محتوى العاملين ليتأكد ما رأيناه قبلا بخصوصهما.

3. الفروقات بين عينة ذوي المستوى الدراسي ثانوي وذوي المستوى الدراسي جامعي:

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي ثانوي هو *m*=-0,09 (*s*=1,10) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي جامعي فهو *m*=-0,06 (*s*=1,07)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,92 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتوى هذا العامل.

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي ثانوي هو *m*=-0,01 (*s*=0,95) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي جامعي فهو *m*=-0,26 (*s*=1,07)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,31 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى التحفظ بخصوص محتواه.

إن ما يبرر تحفظ أفراد المجموعتين على محتوى هذا العامل هو ميلهم إلى رفض العبارات التي تعتبر أن هجرة الشباب تنكر لتضحيات الشهداء وراجعة لرغبته في الحياة الإباحية وتكبره على العمل في الجزائر، والعبارات التي تعتبر بأنه لا كرامة في أوروبا وبأن القليل في البلد خير من الكثير في بلدان الآخرين وبأن من لا يجمع المال في بلده لا يفعل ذلك في بلدان الآخرين.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي ثانوي هو *m*=0,07 (*s*=0,89) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي جامعي فهو *m*=-0,07 (*s*=0,78)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,46 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى التحفظ بخصوص محتواه.

كما كان الشأن بالنسبة للفئات العمرية وأصحاب المستوى الدراسي المتوسط يتحفظ أفراد المجموعتين على العبارات التي تتحدث بشكل سلبي عن الجزائر ويقل هذا التحفظ مع العبارات التي تتحدث بشكل سلبي عن المسيرين والعائلات الغنية وغياب العدالة الإجتماعية.

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي ثانوي هو *m*=-0,09 (*s*=1,09) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي جامعي فهو *m*=-0,18 (*s*=1,10)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,72 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى الموافقة على محتواه.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي ثانوي هو *m*=0,05 (*s*=1,10) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم مستوى دراسي جامعي فهو *m*=0,18 (*s*=0,71)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,56 أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى الموافقة على محتواه.

كما كان الشأن بالنسبة للاختلافات ما بين الفئات العمرية والمستويين التعليميين السابقين في علاقتهم مع محتوى هذين العاملين، يميل الجامعيون وأصحاب المستوى التعليمي الثانوي إلى الموافقة على محتوى هذين العاملين ليتأكد ما رأيناه قبلا بخصوصه. أي إمكانية أن يكون محتواهما جزءا من نظام خلفي يتضمن نظرتين متضادتين لأوروبا والأوروبيين.

3. متغير المهنة:

فيما يلي نتائج إختبار T للعينات المستقلة الذي إستخدمناه لمعرفة الفروقات في توظيف مختلف العوامل (من 1 إلى 5) المذكورة أعلاه بحسب الوضعية المهنية:

1. الفروقات بين عينة ذوي الأعمال الدائمة والأعمال المؤقتة :

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال دائمة هو *m*=-0,01 (*s*=0,61) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال مؤقتة فهو *m*=0,12 (*s*=0,99)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,61 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل،

حيث يوافق أفرادهما على محتواه. فكما كان الشأن مع متغيري السن والمستوى التعليمي يوافق جميع أفراد الفئات المشكلة لهذا المتغير على محتوى هذا العامل.

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال دائمة هو m=0,13 (s=1,26) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال مؤقتة فهو m=-0,04 (s=1,01)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,57 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى التحفظ بخصوص محتواه. أما ما يعطي معنى لهذا التحفظ فهو رفضهم للعبارات التي تعتبر الشباب المهاجر إلى أوروبا راغبا في الحياة الإباحية أو تلك التي تعتبر أن من لا يجمع المال في بلده لا يفعل ذلك عند الآخرين، ولكنهم يختلفون في علاقتهما مع بعض العبارات، حيث يميل أصحاب الأعمال المؤقتة إلى رفض العبارات التي تعتبر هجرة الشباب تنكرا لتضحيات الشهداء أو تلك التي تتحدث عن غياب الكرامة في أوروبا أو التي تتحدث عن رغبة الجزائري في الإستفادة من خيرات البلاد دون أن يقدم المقابل أو تكبر الشباب على العمل واحتقارهم للعمل اليدوي مبررا، في حين يميل أصحاب الأعمال الدائمة إلى رفض العبارة التي تعتبر أن العمل موجود في الجزائر ولكن الشباب يفضلون المكتب.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال دائمة هو m=-0,83 (s=1,17) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال مؤقتة فهو m=0,001 (s=1,00)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,01 أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفراد المجموعة الأولى إلى رفض محتواه، في حين يميل أفراد المجموعة الثانية إلى التحفظ بشأنه. فمن الواضح جدا أن من يملكون وظائف دائمة يميلون لرفض محتوى هذا العامل وبالخصوص العبارات التي تعتبر أن من يعيش في الجزائر يضيع وقته، وبأن الشباب كرهو من البلد وأنها سجن كبير، في حين يميل أصحاب المهن المؤقتة إلى التحفظ بشأن محتوى هذا العامل ولكنهم يميلون إلى الموافقة على محتوى العبارات التي تتحدث عن اللاعدالة في توزيع الثروة في هذا البلد، في حين يميل من يملكون أعمالا دائمة إلى التحفظ بشأن هذه العبارات.

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال دائمة هو *m*=0,30 (*s*=0,75) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال مؤقتة فهو *m*=-0,08 (*s*=1,00)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,18 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه. وبالخصوص العبارات التي تتحدث عن الحقوق: "في أوروبا عندما تعمل يعطونك حقك بالتمام"، "عندما تحصل على الأوراق في أوروبا يصبح لديك الحق في السكن، العمل أو منحة البطالة" وكذا النظام في أوروبا "في أوروبا يسود النظام".

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال دائمة هو *m*=0,12 (*s*=1,06) في حين أن متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال مؤقتة فهو *m*=0,08 (*s*=0,98)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,88 أي أنها لم تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى الموافقة على محتواه. وهنا موافقة أفراد المجموعتين مرة أخرى على محتوى عاملين متناقضين.

2. الفروقات بين عينة ذوي الأعمال الدائمة والذين ليس لديهم عمل :

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال دائمة هو *m*=-0,01 (*s*=0,61) في حين أن متوسط تشبعات الذين ليس لديهم عمل فهو *m*=-0,04 (*s*=1,15)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,92 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه.

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال دائمة هو *m*=0,13 (*s*=1,26) في حين أن متوسط تشبعات الذين ليس لديهم عمل فهو *m*=0,04 (*s*=0,90)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,77 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث

يميل أفرادهما إلى التحفظ بخصوص محتواه. ولكن من لا يملكون عملا هم الأكثر تحفظا على محتوى هذا العامل، أما ما يبرر ذلك فهو ميلهم لرفض العبارات التي تتهم الشباب المهاجر سريا بالطمع، وفقدان المبادئ والدين من أجل الوثائق، والتنكر لتضحيات الشهداء، ولكنهم يتميزون بشكل واضح في رفضهم للعبارة التي تقول بأن القليل في بلدي أفضل من الكثير في بلدان الآخرين وبأنه لا كرامة في أوروبا، ولكنهم يتشاركون مع أصحاب الأعمال الدائمة في ميلهم لرفض العبارات التي تعتبر أن العمل موجود في الجزائر ولكن الشباب يفضلون المكتب وبأن من لا يجمع المال في بلده لا يستطيع جمعه عند الآخرين أو تلك التي تعتبر هجرة الشباب نابعة من رغبته في الحياة الإباحية.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال دائمة هو m=-0,83 (s=1,17) في حين أن متوسط تشبعات الذين ليس لديهم عمل فهو m=0,27 (s=0,96)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,001 أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أصحاب الأعمال الدائمة إلى رفض محتوى هذا العامل، في حين يميل من ليس لديهم عمل إلى الموافقة على محتواه. فمن الواضح أن من لا يملكون عمل هم الأقل تحفظا على العبارات التي تتحدث بشكل سلبي عن الجزائر "من يعيش في الجزائر يضيع وقته، الجزائر سجن كبير، في الجزائر الفقير يموت فقيرا،..." ويميلون إلى الموافقة على العبارات التي تتحدث عن اللاعدالة "الجزائر ليست بلدا لكل الجزائريين بل لبعض العائلات ...".

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال دائمة هو m=0,30 (s=0,75) في حين أن متوسط تشبعات الذين ليس لديهم عمل فهو m=-0,00 (s=1,03)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,30 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه. فمن الواضح موافقتهم أكثر على العبارات التي تتحدث عن الحقوق والنظام في أوروبا.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال دائمة هو m=0,12 (s=1,06) في حين أن متوسط تشبعات الذين ليس لديهم عمل فهو m=0,06 (s=1,10)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,86 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي

0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى الموافقة على محتواه، وهنا موافقة أفراد المجموعتين مرة أخرى على محتوى عاملين متناقضين.

3. الفروقات بين عينة ذوي الأعمال الدائمة والطلبة :

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال دائمة هو *m*=-0,01 (*s*=0,61) في حين أن متوسط تشبعات الطلبة فهو *m*=-0,18 (*s*=0,95)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,54 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه.

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال دائمة هو *m*=0,13 (*s*=1,26) في حين أن متوسط تشبعات الطلبة فهو *m*=-0,05 (*s*=0,99)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,61 أي أنها لم تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفراد المجموعة الأولى إلى التحفظ بخصوص محتوى هذا العامل، في حين يميل أفراد المجموعة الثانية إلى رفض محتواه. فعلى عكس ما كان متوقعا (بسبب عدم إنخراطهم في عالم الشغل)، يميل الطلبة إلى رفض العبارات التي يميل أصحاب الأعمال الدائمة إلى التحفظ بشأنها وهي تلك العبارات التي تتحدث عن تنكر الشباب لتضحيات الشهداء وبأن القليل في بلدي خير من الكثير في بلدان الآخرين وبأن الجزائري يريد أن يستفيد من خيرات البلاد دون أن يقدم المقابل وبأنه لا كرامة في أوروبا، ولو أن أفراد المجموعتين يميلون إلى معارضة محتوى العبارات التي تعتبر أن من لا يجمع المال في بلده لا يستطيع جمعه عند الآخرين أو تلك التي ترى أن هجرة الشباب راجعة لرغبته في الحياة الإباحية.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال دائمة هو *m*=-0,83 (*s*=1,17) في حين أن متوسط تشبعات الطلبة فهو *m*=0,05 (*s*=0,69)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,005 أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يرفض أفراد المجموعة الأولى محتوى هذا العامل، في حين يميل أفراد المجموعة الثانية إلى التحفظ بشأنه. حيث يبدو الطلاب

متحفظين بخصوص العبارات التي تتحدث بسوء عن الجزائر (كرهنا من هذا البلد، الجزائر سجن كبير،...) ويميلون إلى الموافقة على العبارات التي تعبر عن الشعور باللاعدالة (الجزائر ليست بلدا لكل الجزائريين بل لبعض العائلات، ماذا تفعل في بلد لم يعطيك قيمة)، أما أصحاب الأعمال الدائمة فيميلون إلى التحفظ بخصوص العبارات التي تتحدث عن اللاعدالة في الجزائر ورفض العبارات السلبية عن الجزائر.

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال دائمة هو m=0,30 (s=0,75) في حين أن متوسط تشبعات الطلبة فهو m=0,006 (s=1,07)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,36 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه. فإن كانت موافقة أفراد المجموعتين على محتوى هذا العامل تتماشى مع موافقة المجموعات السابقة حسب (العمر، المستوى التعليمي) فإن تحفظ الطلبة على عبارات العامل 5 يبقى ملفتا، فهو يدعونا إلى التساؤل حول إمكانية إنفلات الطلاب بسبب خضوعهم للمنطق والموضوعية في تقييم الأمور من أنماط تفكير محكومة بنظام خلفي يسير تقييم الجزائريين للعلاقة مع أوروبا والأوروبيين.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات الذين لديهم أعمال دائمة هو m=0,12 (s=1,06) في حين أن متوسط تشبعات الطلبة فهو m=-0,35 (s=0,79)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,12 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفراد المجموعة الأولى إلى الموافقة على محتواه، في حين يميل أفراد المجموعة الثانية إلى التحفظ بشأنه.

4. الفروقات بين عينة ذوي الأعمال المؤقتة والذين ليس لديهم عمل :

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات ذوي الأعمال المؤقتة هو m=0,12 (s=0,99) في حين أن متوسط الذين ليس لديهم عمل فهو m=-0,04 (s=1,15)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,46 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفراد المجموعتين على محتواه.

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات ذوي الأعمال المؤقتة هو *m*=-0,04 (*s*=1,01) في حين أن متوسط تشبعات الذين ليس لديهم عمل فهو *m*=0,04 (*s*=0,90)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,67 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى التحفظ بخصوص محتواه. أما ما يبرر هذا التحفظ فهو ميل أفراد المجموعتين إلى رفض العبارات التي تعتبر أن هجرة الشباب تنكر لتضحيات الشهداء أو أنها نابعة من رغبته في الحياة الإباحية أو العبارات التي تعتبر الشباب متكبرين على العمل أو تلك التي ترى بأنه من لا يجمع المال في بلده لا يستطيع جمعه عند الآخرين.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات ذوي الأعمال المؤقتة هو *m*=0,001 (*s*=1,00) في حين أن متوسط تشبعات الذين ليس لديهم عمل فهو *m*=0,27 (*s*=0,96)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,20 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى التحفظ بخصوص محتواه، فمن الواضح أن هذا التحفظ راجع إلى تحفظهم بشأن النظرة السلبية للجزائر التي يتحدث عنها جزء من العبارات.

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات ذوي الأعمال المؤقتة هو *m*=-0,08 (*s*=1,00) في حين أن متوسط تشبعات الذين ليس لديهم عمل فهو *m*=-0,005 (*s*=1,03)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,72 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه، وهي ملاحظة شبيهة بالملاحظات السابقة المتعلقة بهذا العامل وموافقة مختلف المجموعات حسب العمر أو المستوى التعليمي على محتواه.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات ذوي الأعمال المؤقتة هو *m*=0,08 (*s*=0,98) في حين أن متوسط تشبعات الذين ليس لديهم عمل فهو *m*=0,06 (*s*=1,10)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,94 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي

0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى الموافقة على محتواه.

5. الفروقات بين عينة ذوي الأعمال المؤقتة والطلبة:

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات ذوي الأعمال المؤقتة هو m=0,12 (s=0,99) في حين أن متوسط تشبعات الطلبة فهو m=-0,18 (s=0,95)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,20 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه.

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات ذوي الأعمال المؤقتة هو m=-0,04 (s=1,01) في حين أن متوسط تشبعات الطلبة فهو m=-0,05 (s=0,99)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,98 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث تميل المجموعة الأولى إلى التحفظ بشأنه، في حين تميل المجموعة الثانية إلى معارضة محتواه، فكما أشرنا له قبلا، يميل الطلبة إلى رفض العبارات التي تتحدث عن تنكر الشباب لتضحيات الشهداء واعتبار هجرتهم راجعة لرغبتهم في الحياة الإباحية ورغبة الجزائري في الإستفادة من خيرات البلاد دون أن يقدم المقابل، وبأن القليل في بلده خير من الكثير في بلدان الآخرين وبأنه لا كرامة في أوروبا وهي عبارات يميل أصحاب الأعمال المؤقتة إلى رفضها أيضا، في حين يميل أفراد المجموعتين إلى التحفظ على العبارات التي تتحدث عن سلبيات أقل حدة مثل: يحتقر الشباب الجزائري العمل اليدوي، الشباب المهاجر يهتم بالماديات ويهمل الروحانيات.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات ذوي الأعمال المؤقتة هو m=0,001 (s=1,002) في حين أن متوسط تشبعات الطلبة فهو m=0,05 (s=0,69)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,82 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى التحفظ بشأن محتواه، وهو تحفظ يمس العبارات التي تتحدث عن الجزائر بسلبية: من يعيش في

الجزائر يضيع وقته، الجزائر سجن كبير، ولكن هذا التحفظ يقل عند الحديث عن المتسببين في اللاعدالة في الجزائر (الجزائر ليست بلدا لكل الجزائريين، بل لبعض العائلات فقط، الإنسان النزيه يبقى فقيرا، ...).

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات ذوي الأعمال المؤقتة هو *m*=-0,08 (*s*=1,00) في حين أن متوسط تشبعات الطلبة فهو *m*=0,006 (*s*=1,07)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,72 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه، ويتشابه موقف المجموعتين من عباراته التي تتحدث بشكل إيجابي عن أوروبا والأوروبيين.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات ذوي الأعمال المؤقتة هو *m*=0,08 (*s*=0,98) في حين أن متوسط تشبعات الطلبة فهو *m*=-0,35 (*s*=0,79)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,05 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، ولو أن المجموعة الأولى تميل إلى الموافقة على محتواه في حين تميل المجموعة الثانية إلى التحفظ بشأنه، وقد أشرنا قبلا إلى أن ميل الطلبة إلى التحفظ قد يكون راجعا لإنفلاتهم من الضغوطات الأيديولوجية والثقافية التي يمكن أن تكون مسيرة لإدراكات الناس غير المتعلمين لأوروبا والأوروبيين.

6. الفروقات بين عينة الذين لا يملكون عملا والطلبة:

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين ليس لديهم عمل هو *m*=-0,04 (*s*=1,15) في حين أن متوسط تشبعات الطلبة فهو *m*=-0,18 (*s*=0,95)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,61 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه.

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين ليس لديهم عمل هو *m*=0,04 (*s*=0,90) في حين أن متوسط تشبعات الطلبة فهو *m*=-0,05 (*s*=0,99)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,70 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما

يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث تتحفظ المجموعة الأولى بشأنه، في حين تميل المجموعة الثانية إلى معارضة محتواه. فمن الواضح أن إشتراك أفراد المجموعتين في رفضهما للعبارات التي تتحدث عن تنكر الشباب المهاجر بشكل سري لتضحيات الشهداء ورغبته في عيش حياة إباحية أو رفضهما للعبارات التي تتحدث عن رغبة الجزائري في الإستفادة من خيرات البلاد دون أن يقدم المقابل أو تلك التي تعتبر بأن من لا يجمع المال في بلده لا يفعل ذلك عند الآخرين وتشاركهما في التحفظ على محتوى عبارات أقل قسوة في تقييم الشباب المهاجر: الشباب المهاجر يهتم بالماديات ويهمل الروحانيات.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات الذين ليس لديهم عمل هو m=0,27 (s=0,96) في حين أن متوسط تشبعات الطلبة فهو m=0,05 (s=0,69)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,32 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفراد المجموعتين إلى التحفظ بشأنه ولو أن أفراد المجموعة الثانية هم الأكثر تحفظا، ولكن كما هو الشأن بالنسبة لعلاقة الشباب بحسب سنهم ومستواهم الدراسي بهذا العامل يبدو أن ما يثير حفيظة أفراد المجموعتين هو العبارات التي تتحدث بسلبية عن الجزائر ولكن هذه الحفيظة تقل عندما يتعلق الأمر بالعبارات التي تتحدث عن غياب العدالة في الجزائر.

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات الذين ليس لديهم عمل هو m=-0,08 (s=1,00) في حين أن متوسط تشبعات الطلبة فهو m=0,006 (s=1,04)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,72 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفراد المجموعتين على محتواه الذي يتحدث عن إيجابيات أوروبا والأوروبيين وبالخصوص العبارات التي تتحدث عن أنه: في أوروبا عندما تعمل يعطونك حقك بالتمام، في أوروبا يعرفون قيمة الفرد ويحترمونها، في أوروبا يسود النظام.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات الذين ليس لديهم عمل هو m=0,06 (s=1,10) في حين أن متوسط تشبعات الطلبة فهو m=-0,35 (s=0,79)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,10 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما

يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى التحفظ على محتواه، ولو أن أفراد المجموعة الثانية هم الأكثر تحفظا بشأنه. فمن الواضح أن الطلبة أقل إنخراطا في التقييم الأيديولوجي السائد لأوروبا والأوروبيين ويبدو ذلك من خلال ميلهم لرفض عبارة: الأوروبيون (الغربيون) لا يحبوننا.

بالرغم من كون متغيرات السن والمستوى الدراسي والمهنة لا تندرج ضمن فرضيات الدراسة، فإن معرفة الفروقات في توظيف العوامل الخمسة بحسب هذه المتغيرات ليست دون جدوى، فمن المفيد جدا معرفة دور العمر في توظيف مختلف المحتويات التصوراتية لكثرة الأصوات التي ترى بأن الهجرة السرية عمل شبابي طائش، كذلك تكتسي معرفة تأثير ممارسة مهنة من عدمها على تنشيط الشباب لهذه العوامل أهمية كبيرة لأن البطالة هي السبب الرئيسي الذي يقدم من قبل مختلف شرائح المجتمع لتبرير إقدام الشباب على هذا النوع من الهجرة، أما المستوى التعليمي فيكتسي أهمية بسيكو–معرفية مرتبطة بطبيعة أنماط التفكير العامية والعلمية وعلاقتها بالعمل التصوراتي للأفراد.

يبدو أن أفراد العينة يتفقون مع محتوى العامل الأول الذي يتحدث عن الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية مهما كانت أعمارهم، مستواهم الدراسي أو علاقتهم بالعمل، والسبب في ذلك هو إختزال عبارات هذا العامل لعناصر مركزية (تنتمي للجهاز المركزي) في التصور الإجتماعي للهجرة السرية وهي: **المسؤولين، لصوص، الحڤرة.**

يمثل العامل الثاني الذي يتضمن عبارات تبرر رفض الهجرة السرية، الضغط المعياري الذي يمارسه أفراد المجتمع على الشباب المقدم أو الراغب في هذا النوع من الهجرة، من خلال إتهام شخصية الشاب بالطمع والبحث عن الحياة الإباحية في أوروبا وإمكانية فقدان مبادئه ودينه من أجل الوثائق، وتنكره لتضحيات الشهداء، وتذكيره بأنه من لا يجمع المال في بلده لا يفعل ذلك في بلدان الآخرين، وبأن العمل موجود في الجزائر ولكن المشكل يرجع دائما للشباب الميال للراحة والتزين، في حين يمكن أن يضحي بذلك في أوروبا حتى ولو فقد كرامته. لذلك يبدوا منطقيا تحفظ الشباب على محتوى هذا العامل مهما كان عمرهم، مستواهم التعليمي أو علاقتهم بالعمل، لأن في ذلك مواجهة من قبلهم لهذا الضغط الممارس من طرف محيطهم، أما عن أكثر الفئات تحفظا وحتى معارضة لمحتوى هذا العامل فنجد من تجاوزت أعمارهم الـ 30 سنة، ونعتقد أن ذلك راجع لكون من هم في هذا السن في عينتنا هم شباب كانت لهم تجربة في الهجرة السرية وحتى الإقامة في أوروبا، ما يعني أن تعرضهم لهذا الضغط المعياري كان أشد، أما فيما يتعلق بالمتغيرين الآخرين فنجد الجامعيين ميالين لرفض محتوى هذا العامل بالنسبة

لمتغير المستوى الدراسي والطلبة بالنسبة لمتغير المهنة، وكلاهما ينتمي لفئة المتعلمين الخاضعة أكثر للتفكير العلمي الموضوعي الذي يميل إلى رفض مختلف أشكال الضغط المعياري والهوياتي التي تمارسها المجتمعات على أفرادها.

يتضمن العامل الثالث عبارات تشير إلى مبررات الهجرة من الجزائر وهي نوعان، عبارات مرتبطة بالبلد: "الجزائر سجن كبير"، "في الجزائر، لا يمكنك أن تحلم حتى حلما جميلا" أو من يسكنه: "في الجزائر، لن تجد من يساعدك" وأخرى متعلقة بالعدالة الإجتماعية فيه: "الجزائر ليست بلدا لكل الجزائريين، بل لبعض العائلات". وهذا ما يبرر تحفظ أغلبية الفئات المقسمة بحسب متغيرات السن، المستوى الدراسي والمهنة على هذا العامل، لكن هذا التحفظ يمس القسم الأول من العبارات، فمن الواضح حرص المجيبين على توضيح أن موقفهم السلبي ليس من الجزائر كبلد رمزي ومادي وبالخصوص من تزيد أعمارهم عن 30 سنة، وأصحاب الأعمال الدائمة الذين يميلون إلى معارضة محتوى هذا القسم من العبارات، أما تبرير ذلك فهو راجع في إعتقادنا لكون أغلبية من تجاوزت أعمارهم الثلاثين سنة مهاجرون سريون سابقون، فشلوا في بلوغ أوروبا أو عادوا منها ولذلك تبدوا معارضتهم من قبيل التخفيف من وطأة عودتهم إلى الجزائر، خصوصا لما نعلم أن الفاشلين في مشروعهم الهجراتي يخجلون من عودتهم ويعانون من سخرية محيطهم وهذا ما يبرر رفضهم العودة أو الترحيل مهما كانت ظروفهم سيئة في أوروبا وإصرارهم على محاولة الكرة في حالة ترحيلهم (ثيتو–دولاج، 2009). كما أن من يملكون عملا دائما يكونون في وضع نفسي واقتصادي واجتماعي أفضل من غيرهم وبذلك يكونون أقل قنوطا من عيشهم في الجزائر. أما فيما يخص العبارات التي تشير إلى غياب العدالة الإجتماعية في الجزائر فيميل المجيبون إلى الموافقة عليها مهما كانت خصائصهم (أعمارهم، مستواهم الدراسي ومهنهم)، فموقفهم من محتوى هذا العامل فيه مواجهة للضغط المعياري والهوياتي الذي يفرضه المجتمع من خلال الفصل بين البلد (الرمزي والمادي) ومزاياه وخيراته وبين من يسيره أو يستغل خيراته.

أما العامل الرابع الذي تتحدث عباراته عن الميزات الحسنة للأوروبيين، فيوافق كل أفراد العينة عليه مهما كانت خصائصهم (حسب السن، المستوى الدراسي والمهنة)، ولكن من تتجاوز أعمارهم 30 هم الأكثر موافقة على محتوى هذا العامل، وهو راجع في إعتقادنا لوجود حراقة بين هذه الفئة قد خبرت أوروبا ولو لمدة زمنية قصيرة حتى ولو كانت في المراكز المخصصة لإستقبال المهاجرين السريين، ليأتي من تقل أعمارهم عن 20 سنة بعدهم من حيث الموافقة على العبارات المشكلة لهذا العامل وهو أمر قد يرجع لتأثرهم بما يشاهدونه في التلفزيون وعدم قدرتهم على تكوين صورة موضوعية عن أوروبا.

تتراوح مواقف أفراد العينة على إختلاف خصائصهم بين الموافقة والتحفظ على محتوى العامل 5 الذي تتحدث عباراته عن الجوانب السلبية لأوروبا والأوروبيين، فمن تتجاوز أعمارهم 30 ميالون للموافقة على محتوى هذا العامل وهو وضع قد يرجع لاختبارهم المعيشة في أوروبا أو قدرتهم بحكم سنهم على التخلص من النظرة المنبهرة بالغرب، في حين أن هذه النظرة يمكن أن تكون لدى من تقل أعمارهم عن 20 ومن تتراوح أعمارهم بين 20 و30 سنة كما يمكن أن يوحي به ميلهم للتحفظ بشأن عبارات هذا العامل. أما المستوى الدراسي فلا يبدو أنه يغير من ميل أصحابه للموافقة على محتوى هذا العامل، أما فيما يخص متغير المهنة فيبدو أن من لا يملكون عملا والطلبة هم من يميلون للتحفظ بشأن محتوى هذا العامل في حين يميل الآخرون إلى الموافقة على محتواه، فهل معنى ذلك أن من لا يملك عملا غير موافق على موقف سلبي من أوروبا لأنها يمكن أن تكون أملا له؟ وهل الطلبة يفلتون من نظرة ثقافية سلبية لأوروبا؟

إن الأمر الملفت في علاقة أفراد العينة مع محتوى العاملين (4 و5) هو ميل أغلبيتهم إلى الموافقة على نظرتين متناقضتين عن أوروبا والأوروبيين، وقد ذكرنا فيما سبق أن ذلك يمكن أن يفسر بوجود نظرة شاملة نحملها عن أوروبا والأوروبيين الجيدين لأنفسهم وأوروبا والأوروبيين السيئين في تعاملهم معنا (المغاربيون، العرب، الأفارقة، مواطنو العالم الثالث).

4. متغير مستوى الإنخراط في الهجرة السرية:

فيما يلي نتائج إختبار T للعينات المستقلة الذي إستخدمناه لمعرفة الفروقات في توظيف مختلف العوامل (من 1 إلى 5) المذكورة أعلاه بحسب علاقة الشباب بالهجرة السرية:

1. الفروقات بين عينة الحراقة والذين فكروا في المحاولة :

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الحراقة هو m=0,23 (s=0,47) في حين أن متوسط تشبعات الذين فكروا في المحاولة فهو m=-0,08 (s=1,16)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,24 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه. فكما كان الشأن بالنسبة لعلاقة المتغيرات السابقة بهذا العامل، يوافق أفراد المجموعات الفرعية الثلاثة المشكلة لهذا المتغير على محتوى هذا العامل وبالخصوص عينة الحراقة، فمن الواضح جدا موافقة

أفراد المجموعات الفرعية الثلاثة على العبارات التي تحمل المسؤولين مسؤولية وضعهم وتلك التي تتحدث عن شعور عام باللاعدالة في توزيع خيرات البلاد.

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الحراقة هو m=0,05 (s=1,07) في حين أن متوسط تشبعات الذين فكروا في المحاولة فهو m=-0,22 (s=0,99)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,29 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يتحفظ أفراد المجموعتين على محتواه ولو أن أفراد المجموعة الثانية يميلون إلى معارضته. فمن الواضح جدا أن الحراقة يرفضون بقوة من يتهمهم بالتنكر لتضحيات الشهداء أو يعتبر هجرتهم نابعة من رغبة في الحياة الإباحية أو من يعتقدون بأن من لا يجمع المال في بلده لا يستطيع فعل ذلك عند الآخرين، وهي نفسها العبارات التي يرفضها من يفكرون في الهجرة السرية ولو بدرجة أقل، أما ما يفسر ميل هذه الفئة الأخيرة إلى رفض محتوى هذا العامل فهو ربما عدم إختبارهم لظروف العيش في أوروبا والتي قد تعطي بعض المصداقية لمحتوى هذا العامل فهم يميلون إلى رفض محتوى العبارة التي تقول بأنه لا كرامة في أوروبا.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات الحراقة هو m=0,36 (s=0,86) في حين أن متوسط تشبعات الذين فكروا في المحاولة فهو m=0,14 (s=0,94)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,36 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفراد المجموعتين إلى التحفظ على محتواه. ولو أن الحراقة هم الأقل تحفظا، فهذا التحفظ يمكن أن يبرره تحفظ أفراد المجموعتين على العبارات السلبية عن الجزائر كبلد (كوطن) ولكنه يتلاشى لصالح الموافقة على العبارات التي تتحدث عن اللاعدالة في توزيع الثروات الطبيعية والذين يقفون وراء هذه اللاعدالة.

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات الحراقة هو m=0,49 (s=0,70) في حين أن متوسط تشبعات الذين فكروا في المحاولة فهو m=0,01 (s=1,00)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,06 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفراد المجموعتين على محتوى هذا الأخير، ولو أن الحراقة أكثر موافقة على محتواه، عكس ما توقعناه، فعدم إختبار

المفكرين في الهجرة السرية لهذا النوع من الهجرة جعلنا نعتقد بأنهم سيكونون أكثر موافقة على المعتقدات الإيجابية عن أوروبا والأوروبيين، في حين أن إختبار الحراقة لتجربة الهجرة السرية الصعبة وترحيلهم من أوروبا جعلنا نعتقد بأن نظرتهم الإيجابية جدا عن أوروبا ستنخفض، ليبقى التفسير المحتمل لذلك هو قصر إقامة الحراقة في أوروبا أو إقامتهم في مراكز خاصة منظمة وبظروف لائقة باستثناء حراق واحد تم إحتجازه في مركز سيء الظروف في بلغاريا.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات الحراقة هو *m*=0,23 (*s*=0,92) في حين أن متوسط تشبعات الذين فكروا في المحاولة فهو *m*=-0,07 (*s*=1,12)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,27 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفراد المجموعة الأولى إلى الموافقة على محتواه. فعلى النقيض تماما مما رأيناه مع العامل 4، يميل الحراقة إلى الموافقة على محتوى هذا العامل، في حين يميل من يفكرون في الهجرة السرية إلى التحفظ بشأنه وقد يكون ذلك راجعا لتناقض محتواه مع رغبتهم في الإلتحاق بأوروبا.

2. الفروقات بين عينة الحراقة والذين لم يفكروا في المحاولة:

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الحراقة هو *m*=0,23 (*s*=0,47) في حين أن متوسط تشبعات الذين لم يفكروا في المحاولة فهو *m*=0,007 (*s*=0,94)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,31 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه.

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الحراقة هو *m*=0,05 (*s*=1,07) في حين أن متوسط تشبعات الذين لم يفكروا في المحاولة فهو *m*=0,22 (*s*=0,94)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,51 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفراد المجموعتين إلى التحفظ بشأنه ولو أن أفراد المجموعة الأولى هم الأكثر تحفظا، ويمكن أن تفسر قلة التحفظ لغير المفكرين في الهجرة لكونهم غير معنيين بهذا الموضوع، مع ذلك يبدو بوضوح ميلهم لمعارضة العبارات التي تعتبر

هجرة الشباب راجعة لرغبتهم في الحياة الإباحية أو العبارة التي ترى بأنه من لا يجمع المال في بلده لا يستطيع جمعه عند الآخرين.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات الحراقة هو m=0,36 (s=0,86) في حين أن متوسط تشبعات الذين لم يفكروا في المحاولة فهو m=-0,29 (s=1,04)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,01 أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفراد المجموعة الأولى إلى الموافقة على محتواه، في حين يميل أفراد المجموعة الثانية إلى معارضة هذا الأخير، ويبدو هذا الأمر مبررا جدا، فمن الواضح أن من هم أقل إهتماما بهذا النوع من الهجرة سيكونون أقل موافقة على مبررات كره البلد وما يجري فيه.

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات الحراقة هو m=0,49 (s=0,70) في حين أن متوسط تشبعات الذين لم يفكروا في المحاولة فهو m=-0,20 (s=1,03)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,008 أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفراد المجموعة 1 على محتوى هذا العامل في حين يميل أفراد المجموعة 2 إلى الموافقة على محتواه، فهنا أيضا تبدو موافقة غير الراغبين في الحرقة الأقل من الحراقة مبررة بقلة إهتمامهم بأوروبا والدليل تحفظهم على عبارات يعطيها الحراقة موافقة كبيرة مثل: يحترم أرباب العمل الأوروبيون طقوس الإسلام على عكس بعض أرباب العمل الجزائريين، في أوروبا يعطونك فرصة.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات الحراقة هو m=0,23 (s=0,92) في حين أن متوسط تشبعات الذين لم يفكروا في المحاولة فهو m=-0,0009 (s=0,87)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,32 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفراد المجموعتين إلى الموافقة على محتواه، كما يقترب موقف الذين لم يفكروا في الهجرة السرية من موقف الحراقة الذي يميل إلى الموافقة على محتوى هذا العامل ولو أنهم يتحفظون على العبارة التي ترى أن الأوروبيين (الغربيين) لا يحبوننا.

3. الفروقات بين عينة الذين لم يفكروا في المحاولة والذين فكروا فيها:

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين لم يفكروا في المحاولة هو m=0,007 (s=0,94) في حين أن متوسط تشبعات الذين فكروا فيها فهو m=-0,08 (s=1,16)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,65 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفراد المجموعتين على محتواه.

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين لم يفكروا في المحاولة هو m=0,22 (s=0,94) في حين أن متوسط تشبعات الذين فكروا فيها فهو m=-0,22 (s=0,99)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,01 أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفراد المجموعة الأولى إلى الموافقة عليه في حين يميل أفراد المجموعة الثانية إلى معارضته، مع ذلك يميل أفراد المجموعتين إلى رفض العبارات التي تتحدث عن التنكر لتضحيات الشهداء أو التي تعتبر هجرة الشباب راجعة لرغبته في الحياة الإباحية، أو التي تعتبر بأنه من لا يجمع المال في بلده لا يستطيع جمعه عند الآخرين.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات الذين لم يفكروا في المحاولة هو m=-0,29 (s=1,04) في حين أن متوسط تشبعات الذين فكروا فيها فهو m=0,14 (s=0,94)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,02 أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفراد المجموعة الأولى إلى معارضة محتواه في حين يميل أفراد المجموعة الثانية إلى الموافقة على محتواه. فهذا الإختلاف يبدو مبررا، فمن المنطقي أن من لا يفكرون في الهجرة السرية وربما الهجرة القانونية أيضا يميلون إلى رفض محتوى هذا العامل الذي تتضمن عباراته موقفا سلبيا من الجزائر والعيش فيها، كما أنهم أقل رفضا للعبارات التي تتحدث بسوء عمن يقفون وراء غياب العدالة في توزيع ثروات البلاد مقارنة بأفراد المجموعة 2.

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات الذين لم يفكروا في المحاولة هو *m*=-0,20 (*s*=1,03) في حين أن متوسط تشبعات الذين فكروا فيها فهو *m*=0,01 (*s*=1,00)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,25 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفراد المجموعتين على محتواه، ولو أن من لا يفكرون في الهجرة السرية هم أكثر موافقة على هذا المحتوى.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات الذين لم يفكروا في المحاولة هو *m*=-0,00 (*s*=0,87) في حين أن متوسط تشبعات الذين فكروا فيها فهو *m*=-0,07 (*s*=1,12)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,69 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفراد المجموعتين إلى الموافقة على محتواه، ولو أن من لا يفكرون في الهجرة السرية هم الأكثر ميلا إلى ذلك مع تحفظهم على محتوى العبارة التي تعتبر الأوروبيين (الغربيين) لا يحبوننا.

5. متغير التفكير في الهجرة السرية من عدمه:

فيما يلي نتائج إختبار T للعينات المستقلة الذي إستخدمناه لمعرفة الفروقات في توظيف مختلف العوامل (من 1 إلى 5) المذكورة أعلاه حسب التفكير في الهجرة السرية من عدمه:

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين ما زالوا يفكرون في الهجرة السرية هو *m*=0,08 (*s*=1,00) في حين أن متوسط تشبعات الذين لا يفكرون في الهجرة السرية فهو *m*=-0,05 (*s*=0,99)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,43 أي أنها لم تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفراد المجموعتين على محتواه، لكن الغريب في الأمر هو ميل من لا يفكرون في الهجرة السرية إلى الموافقة أكثر على محتوى هذا العامل.

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين ما زالوا يفكرون في الهجرة السرية هو *m*=0,13 (*s*=1,07) في حين أن متوسط تشبعات الذين لا يفكرون في الهجرة السرية فهو *m*=-0,20 (*s*=0,93)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,05

أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفراد المجموعة الأولى إلى التحفظ بخصوص محتوى هذا العامل، في حين يميل أفراد المجموعة الثانية إلى معارضة محتوى هذا الأخير، فهنا أيضا تبدو معارضة من لا يرغبون في الهجرة السرية غير معقولة، فهم يميلون إلى معارضة كل العبارات التي تتحدث بشكل سلبي عن الشباب، بما فيه الشباب المهاجر أو العبارات التي تحث على البقاء في هذا البلد.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات الذين ما زالوا يفكرون في الهجرة السرية هو m=-0,36 (s=0,77) في حين أن متوسط تشبعات الذين لا يفكرون في الهجرة السرية فهو m=0,54 (s=0,97)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,00 أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفراد المجموعة الأولى إلى معارضة محتوى هذا العامل في حين يميل أفراد المجموعة الثانية إلى الموافقة على محتواه، لكن هذه الملاحظة جاءت مغايرة لما كان متوقعا، وهو أن من مازالوا يفكرون في الهجرة السرية سيكونون أكثر موافقة على محتوى هذا العامل وأن من لا يفكرون في الهجرة السرية سيميلون إلى رفضه.

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات الذين ما زالوا يفكرون في الهجرة السرية هو m=0,21 (s=0,86) في حين أن متوسط تشبعات الذين لا يفكرون في الهجرة السرية فهو m=-0,14 (s=1,06)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,05 أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، فبالرغم من موافقة أفراد المجموعتين على محتواه فإن المجموعة الثانية أكثر موافقة عليه، وهذه النتيجة تتماشى مع نتيجة العاملين السابقين والعامل 5.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات الذين ما زالوا يفكرون في الهجرة السرية هو m=−0,19 (s=1,03) في حين أن متوسط تشبعات الذين لا يفكرون في الهجرة السرية فهو m=0,12 (s=0,96)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,08 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في

علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى الموافقة على محتواه، ولو أن أفراد المجموعة 2 هم الأكثر موافقة عليه.

6. متغير الرغبة في الهجرة القانونية:

فيما يلي نتائج إختبار T للعينات المستقلة الذي إستخدمناه لمعرفة الفروقات في توظيف مختلف العوامل (من 1 إلى 5) المذكورة أعلاه بحسب تفكير الشباب في الهجرة القانونية:

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين يفكرون في الهجرة القانونية هو m=-0,03 (s=1,01) في حين أن متوسط تشبعات الذين لا يفكرون في الهجرة القانونية فهو m=0,18 (s=0,89)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,37 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفراد المجموعتين على محتواه.

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات الذين يفكرون في الهجرة القانونية هو m=-0,01 (s=0,98) في حين أن متوسط الذين لا يفكرون في الهجرة القانونية فهو m=0,07 (s=1,08)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,72 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين أفراد المجموعتين في علاقتهم مع هذا العامل، حيث يتحفظون على محتواه، ولكن من الواضح أن الراغبين في الهجرة القانونية يرفضون العبارات التي ترى أن الشباب يفقد مبادئه ودينه من أجل الوثائق وأن هجرة الشباب تنكر لتضحيات الشهداء أو تلك التي ترى أن القليل في البلد الأصلي خير من الكثير في بلدان الآخرين.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات الذين يفكرون في الهجرة القانونية هو m=0,001 (s=1,02) في حين أن متوسط تشبعات الذين لا يفكرون في الهجرة القانونية فهو m=-0,00 (s=0,90)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,97 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يتحفظ أفرادهما على محتواه، وهو تحفظ راجع إلى وجود عبارات تتحدث بشكل سلبي عن الجزائر.

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات الذين يفكرون في الهجرة القانونية هو *m*=0,01 (*s*=1,01) في حين أن متوسط تشبعات الذين لا يفكرون في الهجرة القانونية فهو *m*=-0,10 (*s*=0,94)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,61 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات الذين يفكرون في الهجرة القانونية هو *m*=-0,02 (*s*=0,97) في حين أن متوسط تشبعات الذين لا يفكرون في الهجرة القانونية فهو *m*=0,10 (*s*=1,14)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,60 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه. ولو بشكل أقل من موافقتهم على محتوى العامل 4، ولكن الملفت في علاقة أفراد المجموعتين بمحتوى العوامل الخمسة هو تقارب مواقفهم منها، وهو أمر راجع في إعتقادنا لموقفهم من الهجرة القانونية المتخذ بشيء من الأريحية وبعيدا عن الضغط المعياري الذي يمكن أن يولده إتخاذ الموقف من الهجرة السرية.

يرجع إهتمامنا بمعرفة علاقة متغير الإنخراط في الهجرة السرية أو الإقدام على هذا النوع من الهجرة أو التفكير فيه من عدمهما، إلى ما توصلت إليه الدراسات في حقل التصورات الإجتماعية من تأثير للممارسات على التصورات الإجتماعية لموضوع معين معني بتلك الممارسات، فنحن نسعى هنا لمعرفة ما إذا كان إقدام الشاب على الهجرة السرية يمكن أن يؤثر على توظيفه للعناصر المكونة للتصور الإجتماعي لها، أو يؤثر في علاقته مع العوامل الخمسة المستخرجة من إستمارة التصورات الإجتماعية للهجرة السرية والتي نعتقد أنها جزء من نظام خلفي (un méta-système) يحكم البناء التصوراتي للهجرة السرية.

كما كان الشأن مع متغيرات السن، المستوى الدراسي والمهنة، لا يبدو أن إقدام الشباب على الهجرة السرية أو تفكيرهم أو عدم تفكيرهم فيها يغير شيئا في علاقتهم مع العامل الأول الذي يوافقون على العبارات المكونة له، أما تفسير ذلك فيرجع كما أشرنا له قبلا لاختزال عبارات هذا العامل لعناصر مركزية (تنتمي للجهاز المركزي) في التصور الإجتماعي للهجرة السرية وهي: **المسؤولين، لصوص، الحڤرة.**

أما فيما يخص العامل الثاني، فمن الواضح أن الحراقة أكثر تحفظا على محتواه، وهو أمر منطقي، لأن سعيهم لبلوغ أوروبا لا يمكن أن يتفق مع عبارات من قبيل: "يفقد الشباب في أوروبا مبادئه ودينه من أجل الوثائق"، "هجرة الشباب تنكر لتضحيات الشهداء"، "هجرة الشباب نتيجة لرغبته في الحياة الإباحية"، "لا كرامة في أوروبا"، ثم يأتي من فكرو في الهجرة السرية في مرتبة ثانية من حيث شدة التحفظ، أما من لم يفكروا في هذا النوع من الهجرة فهم الأقل تحفظا وهو أمر معقول باعتبارهم غير معنيين بالهجرة السرية، وهكذا يتضح أن الحراقة هم الأكثر تعرضا للضغط المعياري الذي تمثله عبارات هذا العامل وبالتالي الأكثر تحفظا بشأنه.

لقد سبق وأشرنا إلى أن عبارات العامل الثالث تقدم فرصة للمجيبين لمواجهة الضغط المعياري الذي مثلته عبارات العامل الثاني، فمن الواضح أن الحراقة أقل تحفظا على العبارات التي تتحدث عن الجزائر والجزائريين بسلبية، في حين يميل من فكروا في الهجرة السرية إلى التحفظ بخصوصها ويميل من لم يفكروا في الهجرة السرية إلى معارضتها، أما فيما يخص العبارات التي تتحدث عن اللاعدالة في توزيع الثروات الطبيعية والذين يقفون وراءها فنجد نفس المنطق معهما، فالحراقة أكثر موافقة عليها في حين يتحفظ من فكروا في الهجرة السرية بخصوصها ويعارضها من لم يفكروا فيها باعتبارهم غير معنيين بها.

تتحدث عبارات العامل الرابع عن مزايا الأوروبيين وهي عبارات يوافق عليها الحراقة ومن فكروا في هذا النوع من الهجرة ومن لم يفكروا فيها، فهنا أيضا نعتقد بأننا أمام عامل تنتمي عباراته إلى نظام خلفي (un méta-système) يسير إدراك أفراد المجتمع الجزائري للأوروبيين، فحتى الحراقة الذين اختبروا صعوبات الهجرة السرية في المسلك وفي أوروبا يوافقون على عبارات هذا العامل.

أما العامل الخامس الذي تتحدث عباراته عن سلبيات الغرب فيوافق عليه الحراقة والذين لم يفكروا فيها لأن المجموعة الأولى قد اختبرت سلبيات أوروبا في حين تعتبر المجموعة الثانية غير معنية بالأمر، أما من فكروا في الهجرة السرية فهم ميالون إلى التحفظ بشأن محتوى هذا العامل لعدم إختبارهم لواقع العيش في البلدان الأوروبية. أما عن التناقض الناجم عن ميل الحراقة ومن فكروا فيها ومن لم يفكروا فيها إلى الموافقة على محتوى عاملين متناقضين فيمكن أن يبرر بوجود نظرة شاملة نحملها عن أوروبا والأوروبيين الجيدين لأنفسهم وأوروبا والأوروبيين السيئين في تعاملهم معنا (المغاربيون، العرب، الأفارقة، مواطنو العالم الثالث) كما أشرنا له سابقا.

بالرغم من عدم وجودهما ضمن فرضيات دراستنا، فإنه من المفيد في رأينا معرفة تأثير متغيري التفكير حاليا في الهجرة السرية والهجرة القانونية من عدمهما على علاقة الشباب المجيب بالعبارات المكونة للعوامل الخمسة:

كما كان الشأن مع بقية المتغيرات يوافق من يفكرون في الهجرة السرية، من لا يفكرون فيها، من يفكرون في الهجرة القانونية ومن لا يفكرون فيها على عبارات العامل الأول، وهنا دليل آخر على أن محتوياته جزء من الجهاز المركزي لتصورهم الإجتماعي للهجرة السرية.

يبدو أن من يفكرون في الهجرة السرية أو القانونية يتحفظون على عبارات العامل الثاني التي تحمل ضغطا معياريا من خلال عباراتها السلبية تجاه الشباب بشكل عام والشباب الحراق بشكل خاص، وهو نفس التحفظ لدى من لا يفكرون في الهجرة السرية أو القانونية، فإن كان تحفظ الفئتين الأوليتين (بالخصوص فئة من يفكرون في الهجرة السرية) مبررا، فإن تحفظ الفئتين الثانيتين يمكن أن يكون سببه ميل عام لدى الشباب لمواجهة مختلف أشكال الضغط المعياري والهوياتي للمجتمع الذي يعيشون فيه.

يميل من يفكرون في الهجرة السرية، من يفكرون في الهجرة القانونية ومن لا يفكرون في هذه الأخيرة إلى التحفظ بخصوص محتوى العامل الثالث بسبب وجود عبارات تتحدث بشكل سلبي عن الجزائر، في حين يميل من لا يفكرون في الهجرة السرية إلى الموافقة عليه، وهو أمر راجع في إعتقادنا إلى تحررهم من الضغط المعياري والهوياتي الذي يتعرض له من يرغب في مغادرة بلده بشكل قانوني أو سري.

أما فيما يخص العاملين 4 و5، فمن الواضح موافقة الفئات الأربعة على محتواهما، ليعزز ذلك ما ذهبنا إليه أعلاه من وجود نظرتين متناقضتين ومتعايشتين لأوروبا والأوروبيين لدى أفراد المجتمع الجزائري.

7. متغير الإتجاه نحو الهجرة السرية:

فيما يلي نتائج إختبار T للعينات المستقلة الذي إستخدمناه لمعرفة الفروقات في توظيف مختلف العوامل (من 1 إلى 5) المذكورة أعلاه حسب الإختلاف في الإتجاه (إيجابي/سلبي) للهجرة السرية:

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات ذوي الإتجاه الإيجابي نحو الهجرة السرية هو m=0,08 (s=0,96) في حين أن متوسط تشبعات ذوي الإتجاه السلبي نحو الهجرة السرية فهو m=-0,08 (s=1,03)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,34 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه، ولو أن من يعارضون هذا النوع من الهجرة أقل موافقة على عبارات من قبيل: "الفقير في هذا البلد يموت فقيرا دون أن تتاح له فرصة تحسين وضعه"

"المستقبل غير مضمون والأوضاع في هذا البلد تسير من سيء إلى أسوأ" "الأميون لهم المناصب والجامعيون بطالون" "من لديه القوة والمساندة يأخذ حقه والفرد الضعيف تضيع حقوقه".

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات ذوي الإتجاه الإيجابي نحو الهجرة السرية هو m=-0,31 (s=1,03) في حين أن متوسط تشبعات ذوي الإتجاه السلبي نحو الهجرة السرية فهو m=0,30 (s=0,36)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,00 أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل ذوو الإتجاه الإيجابي إلى رفض محتواه في حين يميل أصحاب الإتجاه السلبي إلى الموافقة على محتواه. فالموافقون على الهجرة السرية يميلون إلى معارضة مجمل عبارات هذا العامل وبالخصوص العبارات التي تتحدث عن الشباب بسلبية "يفقد الشباب مبادئه ودينه في أوروبا من أجل الوثائق" "هجرة الشباب تتكر لتضحيات الشهداء" "كان الجزائريون يرضون بالقليل أما اليوم فالشباب يتكبر على العمل" أو تلك التي تحث على البقاء في الجزائر "القليل في بلدي أفضل من الكثير في بلدان الآخرين" "لا كرامة في أوروبا" "من لا يجمع المال في بلده لا يستطيع جمعه عند الآخرين".

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات ذوي الإتجاه الإيجابي نحو الهجرة السرية هو m=0,44 (s=0,79) في حين أن متوسط تشبعات ذوي الإتجاه السلبي نحو الهجرة السرية فهو m=-0,43 (s=0,99)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,00 أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أصحاب المجموعة الأولى إلى الموافقة على محتواه في حين يميل أصحاب المجموعة الثانية إلى معارضته. فمن الواضح جدا أن من يعارضون مغادرة البلاد بشكل سري أكثر معارضة للعبارات التي تتحدث بسلبية عنها، ولكن أفراد المجموعتين يميلون إلى التشارك في ميلهم للموافقة على العبارات التي تتحدث عن اللاعدالة في توزيع ثروات البلاد ومن يقفون وراءها.

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات ذوي الإتجاه الإيجابي نحو الهجرة السرية هو m=0,06 (s=0,90) في حين أن متوسط تشبعات ذوي الإتجاه السلبي نحو الهجرة السرية فهو m=-0,06 (s=1,08)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي

p=0,48 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات ذوي الإتجاه الإيجابي نحو الهجرة السرية هو *m*=-0,14 (*s*=0,98) في حين أن متوسط تشبعات ذوي الإتجاه السلبي نحو الهجرة السرية فهو *m*=0,13 (*s*=1,00)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي *p*=0,12 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفراد المجموعتين إلى الموافقة على محتواه ولو أن من هم مع الهجرة السرية هم الأقل موافقة.

يفترض في الإتجاه نحو موضوع ما، أن يتضمن معارفا عن هذا الأخير وعاطفة تجاهه وسلوكا أو نية في السلوك بشأنه، لذلك افترضنا أن علاقة أفراد العينة بالعوامل الخمسة المذكورة أعلاه ستختلف بحسب إتجاههم نحو الهجرة السرية، لكن ذلك لم يحدث مع العوامل 1، 4 و5، حيث يميل من هم مع أو ضد الهجرة السرية إلى الموافقة على محتواها، وهي محتويات نعتقد بأنها تنتمي لنظام خلفي (un méta système) يتم تنشيطه عند الحديث عن الهجرة السرية في الجزائر. أما الإختلاف بين أصحاب الإتجاهين فيظهر في موقفهما من عبارات العامل الثاني الذي تتضمن عباراته ضغطا معياريا، حيث يميل أصحاب الإتجاه الإيجابي إلى رفضه في حين يميل أصحاب الإتجاه السلبي إلى الموافقة عليه، كما يظهر الإختلاف في موقفهما من محتوى العامل الثالث، أين يوافق ذوو الإتجاه الإيجابي على عباراته المتحدثة بشكل سلبي عن الجزائر والمسؤولين عن عدم العدالة في توزيع ثرواتها، في حين يميل من يعارضون هذا النوع من الهجرة السرية إلى معارضة تلك العبارات.

8. متغير العزو السببي للهجرة السرية:

فيما يلي نتائج إختبار T للعينات المستقلة الذي إستخدمناه لمعرفة الفروقات في توظيف مختلف العوامل (من 1 إلى 5) المذكورة أعلاه حسب الإختلاف في العزو السببي (داخلي/خارجي) للهجرة السرية:

العامل 1 (الدوافع التي يقدمها الشباب لتبرير ظاهرة الهجرة السرية):

متوسط تشبعات ذوي العزو السببي الداخلي هو m=0,01 (s=0,97) في حين أن متوسط تشبعات ذوي العزو السببي الخارجي فهو m=-0,03 (s=1,04)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,78 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه، فلا يبدو أن للعزو السببي (داخلي/خارجي) لأفراد العينة تأثير على موقفهم من محتوى هذا العامل الذي تتضمن عباراته عزوا سببيا خارجيا بالأساس.

العامل 2 (تبريرات لرفض الهجرة السرية):

متوسط تشبعات ذوي العزو السببي الداخلي هو m=0,11 (s=1,02) في حين أن متوسط تشبعات ذوي العزو السببي الخارجي فهو m=-0,18 (s=0,94)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,09 أي أنها لم تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفراد المجموعة الأولى إلى التحفظ بخصوص محتواه، في حين يميل أفراد المجموعة الثانية إلى معارضته. بعبارة أخرى، يميل من لهم عزو سببي خارجي إلى رفض العبارات التي تقيم بشكل سلبي الشباب: هجرة الشباب تنكر لتضحيات الشهداء، يفقد الشباب مبادئه ودينه في أوروبا من أجل الوثائق، يفضل الشباب التزين والراحة على العمل، يريد الجزائري أن يستفيد من خيرات البلاد دون أن يقدم المقابل أو تلك التي تحث على البقاء في البلاد "القليل في بلدي أفضل من الكثير في بلدان الآخرين"، "من لا يجمع المال في بلده لا يستطيع جمعه عند الآخرين"، في حين يميل أصحاب العزو السببي الداخلي إلى التحفظ بخصوص هذه العبارات.

العامل 3 (تبريرات الفرار من الجزائر "وكرهها"):

متوسط تشبعات ذوي العزو السببي الداخلي هو m=-0,26 (s=1,08) في حين أن متوسط تشبعات ذوي العزو السببي الخارجي فهو m=0,42 (s=0,66)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,00 أي أنها لم تتجاوز عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار دال، أي يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يتحفظ أفراد المجموعة الأولى حول محتواه، في حين يميل أفراد المجموعة الثانية إلى الموافقة عليه، وهنا

أيضا يميل من لهم عزو سببي خارجي إلى الموافقة على العبارات التي تتحدث بسلبية عن الجزائر، في حين يميل أصحاب العزو السببي الداخلي إلى التحفظ بشأن محتواها، ولكن لا يبدو أن للعزو السببي تأثير على موافقة أفراد المجموعتين على العبارات التي تتحدث بشكل سلبي عن اللاعدالة في توزيع الثروة في الجزائر والذي يقفون وراءها.

العامل 4 (الميزات الحسنة للأوروبيين):

متوسط تشبعات ذوي العزو السببي الداخلي هو m=-0,05 (s=1,05) في حين أن متوسط تشبعات ذوي العزو السببي الخارجي فهو m=0,09 (s=0,90)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,41 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يوافق أفرادهما على محتواه، فلا يبدو أن للعزو السببي تأثيرا على موقف أفراد المجموعتين من محتوى هذا العامل.

العامل 5 (النظرة السلبية للغرب):

متوسط تشبعات ذوي العزو السببي الداخلي هو m=-0,05 (s=1,04) في حين أن متوسط تشبعات ذوي العزو السببي الخارجي فهو m=0,08 (s=0,92)، أما مستوى الدلالة الإحصائية آلفا فهي p=0,44 أي أنها تجاوزت عتبة 5% أي 0,05 ما يعني أن الإختبار غير دال، أي لا يوجد إختلاف بين المجموعتين في علاقتهما مع هذا العامل، حيث يميل أفرادهما إلى الموافقة على محتواه، وهنا أيضا لا يبدو أن للعزو السببي تأثير على موقف أفراد المجموعتين من محتوى هذا العامل.

كما كان الشأن بالنسبة لإتجاه الشباب نحو الهجرة السرية، إفترضنا أن عزوهم السببي الداخلي أو الخارجي يمكن أن يغير من موقفهم تجاه العوامل الخمسة، وهو ما حدث بشكل طفيف مع العامل الثاني وبشكل واضح مع العامل الثالث، إذ يبدو أن من لديهم عزو سببي داخلي متحفظون بخصوص العبارات التي تتضمن ضغطا معياريا ومتحفظون بشأن تلك التي تتحدث بسلبية عن الجزائر، في حين يعارض أصحاب العزو السببي الخارجي عبارات العامل الثاني ذات الضغط المعياري ويوافقون على عبارات العامل الثالث التي تتحدث عن الجزائر بسلبية. في المقابل، يبدو أن العزو السببي داخليا كان أم خارجيا لأفراد العينة لم يؤدي إلى إختلاف في موقفهم من العوامل 1، 4 و5 التي تنتمي في إعتقادنا لنظام خلفي (un méta système) مترسخ في التاريخ السوسيو معرفي للمجتمع الجزائري.

4. عرض وتحليل ومناقشة محتوى المقابلات مع الشباب:

لقد كان الهدف من إجراء مقابلات نصف موجهة الحصول على معطيات أعمق حول ما يفكر به الشباب الحراقة وغير الحراقة بخصوص ظاهرة الهجرة السرية وكذا فهم المعطيات المتحصل عليها من توظيف أدوات أخرى (تحليل محتوى تعليقات الشباب على الأنترنت بخصوص الهجرة السرية، معطيات أداة الإستحضار التسلسلي، إجابات الشباب على إستمارة التحليل العاملي)، وتفاديا لإثقال النص بالتفاصيل سنكتفي بعرض النتائج التي نعتقد بأنها تساعد على فهم ما تم عرضه من نتائج إلى حد الآن:

- يبدو أن البطالة أو عدم الحصول على منصب عمل ليس هو المشكل الجوهري بالنسبة للشباب المُقابَلين، بل عدم المساواة في الحصول على نفس الفرص لولوج عالم الشغل وعدم الحصول على المقابل الكافي من العمل: «... **هناك تأخذ حقك بالتمام، أنت تعلم بأنك ستعمل بثمن، لو كانوا يعطونك حقك في الجزائر ستقتل نفسك في العمل** ...» (رمزي*، حاول الهجرة مرتين عبر تركيا، 24 سنة وقت إجراء المقابلة، يعيش حاليا بدون وثائق في ألمانيا)، «**هناك يَأخذ العامل حقه، هنا يُأْخذ عرقه**» فالعمل غير مطلوب لذاته ولكن لما يوفره من ضروريات ولفرص النجاح المرتبطة به: «... **لا يوجد شيء هنا...حتى ولو تعمل وتعمل لن تفعل شيئا (ما تدير والو)...**» (عبد الرحيم، 23 سنة وقت إجراء المقابلة). إن هذه الملاحظة تعزز ما أشارت إليه دراسة مصطفى مجاهدي وحفيظة قباطي (التي أشرنا لها أعلاه) من أن فكرة العمل لا تطرح ضمن ثنائية **العمل/البطالة** في أدهان الشباب المهاجر أو الراغب في الهجرة، وإنما ضمن ثنائية **العمل/النجاح الإجتماعي** (جمع الثروة في وقت قياسي).
- من الواضح جدا تأثر الشباب وبالخصوص من يفضلون الهجرة بالتأشيرة ثم البقاء بعد إنتهاء مدة صلاحيتها بموت الحراقة في البحر: «**لم أجد ما أقوله**»، «**الحرقة في البحر إنتحار**» لذلك يفضلون، بما فيهم من حاول الهجرة بالزورق عبر البحر، الهجرة بالتأشيرة.
- لقد إستطعنا أيضا إعطاء بعض المعنى للكلمات التي إستخرجناها من محتوى تعليقات الشباب على الأنترنت بخصوص ظاهرة الهجرة السرية؛ حيث يبدو أن الشباب يحملون المسؤولين مسؤولية وضعهم لأنهم:
  - يسرقون ثروات البلد أو يخدمون مصالحهم أو مصالح أبنائهم.
  - ليسوا مثل نظرائهم في البلدان الأوروبية.
  - كبار في السن ولا يفهمون الشباب ولا يتركون لهم المجال لإثبات أنفسهم.
  - غير واعين بالظروف التي يعيشها شعبهم وبالتالي فهم يهضمون حقوقه.

* تم تغيير الأسماء حتى لا يتم التعرف على أصحابها.

– يرفضون إعطاء الفرصة لمن يمكنه التغيير. لكن الشباب يحرصون على تبيان كرههم للنظام وليس للوطن.

إن هذا الوضع هو الذي يبرر الشعور بالحقرة والتهميش «... **أسكن بجوار قنبلة ذرية (مركب تكرير البترول– سكيكدة) ولا أعمل؟!**»، «...**هنا يأكلون الخير وحدهم...الجميع يأكلون الخير لوحدهم...**» (رضا، هاجر بالزورق بشكل سري، 33 سنة وقت إجراء المقابلة) «**شخص كان معك ولا يملك شيئا مثلك...بين عشية وضحاها يصبح ذا مال؟...**» (رمزي).

أما دعوات المعلقين على الأنترنت بالصبر لأهل الحراقة الغرقى في البحر أو المفقودين فترجع لأفكار تؤرق الشباب الحراقة كعدم رضا الوالدين على محاولاتهم، تعذبهم بسبب عدم سماع أخبارهم أو موتهم، ولكن الفكرة التي يبدو أنها تعذب الحراقة أكثر فهي وفاة أحد والديه دون أن يتمكن من رؤيتهما أو حضور دفنهما على الأقل، وهذا ما يبرر ربما تجنب المعلقين على الأنترنت تحميل المهاجرين السريين المتوفين مسؤولية ما حدث لهم.

- يبدو أن الهروب الذي يتحدث عنه الشباب يحمل معنى الإضطهاد: «**هربونا من البلاد**»، «**البلاد أعطاتنا والعباد نحاولنا**»، فالهجرة مقدمة على أنها الحل الأخير بعد فشل بقية الحلول: «... **بقيت هنا في البلد، عملت بكل شيء ورأيت كل شيء، وجربت كل شيء ولم أجد شيئا، بقي لي الحل الوحيد الذي وضعته في رأسي هو الهجرة، حرقت ولكن الله غالب لقد أرجعوني**»، «**لا تستطيع التغيير وبالتالي خير لك أن تهرب**» «**تتحدث فيكون مآلك السجن، إذن خير لك أن تهرب**» (رمزي).
- كتأكيد لما أشرنا له أعلاه من أن ما يدفع الشباب إلى الهجرة السرية ليست البطالة بمعناها الضيق وإنما شعور عام بعدم الرضا على مختلف جوانب الحياة في الجزائر، حيث يمكن أن نلمس هذا الشعور في حديث الشباب الإيجابي عن أوروبا: «**ألمانيا بلد التطور، فيها كل شيء**» فإذا بحثنا عن هذا «الكل شيء» نجده متمثلا في: الطبيعة، النظافة، "التحواس" (النزهة)، المعيشة، معاملة الناس، النظام، الدين المختلف محترم، طيبة الناس، الإنسانية (التعاطف مع الإنسان)، المواطنون مثقفون وواعون، «**لا أحد يتبع أحدا، كل منشغل بنفسه**» ولكن يمكن أن يصل إلى حد المبالغة: «**في أوروبا يمكن أن تأتيك الوهبة**» ، «**في أوروبا من يصبر ينال خيرا من صبره**»، «**الڤور أحنان**». في المقابل لا يوجد شيء في الجزائر: إهمال الدولة، البيروقراطية، مشاكل عائلية، «**لا يوجد شيء جيد هنا لتمرير الوقت... في فرنسا هناك كل شيء...**»، لكن الملفت هو حديث الشباب سواء كانت له تجربة في الهجرة السرية أم لا عن نفس مظاهر العنف التي تحدث عنها سليمان مظهر في كتابه المنشور باللغة الفرنسية: العنف الإجتماعي في الجزائر* والمتمثلة في: عنف المحيط الفيزيقي، عنف التنظيم الإجتماعي، عنف

* Medher S. (2015), La violence sociale en Algérie, 4 éd, Thala édition, Algérie.

الوسط الإجتماعي، عنف التفاعلات الإجتماعية، عنف الجوار، عنف الفضاء العمومي، عنف الوسط المهني وحتى عنف المقدس، ما يعني أن تعرض الشباب لأشكال العنف هذه ليس سلبيا (passif) ولكنه محل تقييم ومفهمة يمكن أن يكون لها دور في بلورة فكرة مغادرة البلاد عن طريق الهجرة السرية.

- يبدو أن المستقبل الذي يتحدث عنه الشباب يتجسد في الحصول على الوثائق بالزواج من أجنبية أو مغتربة، أي الإستقرار الذي يسمح له بجني المال ومساعدة عائلته «il a sauvé sa famille» بإرسال النقود أو جلبهم أو بعضهم إلى حيث هاجر، ولكن قمة النجاح تكمن في القدرة على "الصعود والهبوط"" أو الذهاب والإياب بين بلد المهجر وبلده، أي أن النجاح لا يعاش خارج بلده الأصلي وهي فكرة أشارت إليها الباحثة ماري ثيراز ثيتو–دولاج (Marie Thérèse Têtu-Delage) في كتابها: مهاجرون سريون في بلد الوثائق، تجارب ومسارات جزائريين مقيمون بدون وثائق*.
- أما فيما يخص حجج من يرفضون هجرة الشباب بشكل سري فهي تكمن في إعتبارهم غير جديين، يبغون اللهو ويهاجرون بحثا عن الملذات (الملاهي، النساء، ...) أو مجاراة لأصدقائهم. أما هجرة الفتيات فهي مستهجنة لأن الشباب يعتقدون بأنهن غير مجبرات على ذلك لأن مسؤولية توفير مسكن ومصاريف حفل الزواج والتكفل المادي بالأسرة لا يقع على عاتقهن، كما أن هجرتهن خطيرة لما يمكن أن تتعرض له الفتاة من إستغلال جنسي أو تتعرض له من معاناة.

* Têtu-Delage M.T. (2009), Clandestins au pays des papiers, expériences et parcours de sans-papiers algériens, Paris, La découverte.

5. مناقشة النتائج في ضوء فرضيات الدراسة:

1.5. مناقشة النتائج في ضوء الفرضية العامة:

يوجد نظام خلفي (un méta-système) مشجع للهجرة السرية مواز لنظام معياري وقيمي (خاضع لإعتبارات تاريخية، هوياتية، ثقافية) موجود مسبقا معارض لهذه الظاهرة يحددان محتوى وبنية التصورات الإجتماعية للهجرة السرية

لقد بين التحليل الموضوعاتي لنتائج تحليل محتوى تعليقات الشباب على الأنترنت بخصوص ظاهرة الهجرة السرية وجود ثنائيات في إدراك هؤلاء المعلقين لهذه الظاهرة وهي:

- **تصورات إيجابية/ سلبية عن أوروبا والأوروبيين**
- **تصورات إيجابية/ سلبية عن الهجرة السرية والمهاجرين السريين**
- **العلاقة دولة (مسيرون) / شعب (مواطنون) في الجزائر**
- **العلاقة أغنياء / فقراء في الجزائر**
- **تصورات إيجابية / سلبية عن الجزائر والجزائريين**

لكن هذه الملاحظة غير كافية لوحدها، فنحن بحاجة لمعرفة وجود هذه الثنائيات فعلا وحجم كل ثنائية في هذا النظام الخلفي المحتمل، لذلك قمنا بإعداد إستمارة التصورات الإجتماعية للهجرة السرية وإخضاعها للتحليل العاملي الذي يختزل الدرجات–التي أعطاها جميع أفراد العينة لعبارات الإستمارة للتعبير عن مدى موافقتهم عليها– في عدد محدود من العوامل (des facteurs)، أي تقليص كتلة كبيرة من المعطيات في عدد محدود من الأقسام:

يبين **العامل الأول** بوضوح أن الثنائيتين **دولة (مسيرون)/شعب (مواطنون)** و**أغنياء/فقراء** توظف بشكل قوي بمجرد حديث الشباب أو سماعهم للحديث عن الهجرة السرية، وهي ثنائيات تؤكد وجود نظام خلفي (un méta-système) يحدد معايير وقيم مرتبطة بالعدالة في الحكم تجسدت ميدانيا في حكم عمر بن الخطاب في التاريخ السوسيو–سياسي العربي وحكم هواري بومدين في التاريخ السوسيو–سياسي الجزائري وانطلاقا من هذين المعيارين هناك تقييم للاعدالة في الجزائر (مُسيرين/مُسيَرين، أغنياء/فقراء) وبأن الفئة الحاكمة غير مستجيبة لإرادة وطموحات الشعب، ولكن الأخطر من ذلك هو وجود إعتقاد بتدهور الوضع عاما بعد عام وغياب التغيير في الأفق.

أما **العامل الثاني** فيبين وجود ثنائية يوظفها من يرفضون الهجرة السرية وهي متمثلة في **إدراكات إيجابية عن الجزائر/ إدراكات سلبية عن الجزائريين**، بعبارة أخرى؛ يتشبث الرافضون للهجرة بتقييمات عاطفية إيجابية للجزائر ويلقون باللائمة على دهنية الشباب الجزائري. فمن الواضح أن من يوظفون هذه الثنائية أكثر تأثرا بقيم وطنية ودينية وتستند إلى نظام معياري وقيمي يعتبر أن الهجرة السرية تنكر لتضحيات الشهداء؛ أي الهجرة إلى بلدان كانت محتلة للجزائر أو الوطن العربي بالأمس وتعبير عن نقص الوازع الديني واحتمال فقدان الشاب المهاجر لمبادئه ودينه وكرامته من أجل الوثائق، وهنا تنشيط لعلاقة صراعية بين بلد مسلم وبلدان غير ذلك، وفي الأخير تنشيط لإدراكات خلفية تنظر لشخصية الجزائري التي يمثلها الشاب الميال للكسل والعمل المريح والتزين والرغبة في الربح السريع.

أما **العامل الثالث** فيشير إلى ثنائية أخرى يستعملها من يوافقون على هذا النمط من الهجرة وهي **دولة (مسيرون)/ إدراكات سلبية عن الجزائر**. وهذه الثنائية تستند على نفس النظام الإدراكي الخلفي الذي أشرنا إليه أعلاه.

أما **العامل الرابع والخامس** فيشيران بشكل واضح إلى إستعمال ثنائيتين بحسب الموقف من الهجرة السرية تتمثلان في: **إدراكات إيجابية/ سلبية عن أوروبا والأوروبيين**. وهما ثنائيتين تكشفان عن أكثر الأنظمة الإدراكية الخلفية وضوحا في حواراتنا اليومية وهي أوروبا والأوروبيون المدركون كبلدان تجسد التطور والنظام والعدالة والجمال وكشعوب متحضرة، ودودة، مرحبة ومسالمة من جهة، وكبلدان تسعى لاستغلال مواردنا البشرية المؤهلة ومواردنا الإقتصادية ومواطنين عنصريين، خائفين من المسلمين والقادمين من بلدان العامل الثالث ومستغلين لعرق المهاجرين (خصوصا من لا يملكون الوثائق منهم) من جهة أخرى.

بالإضافة إلى هذه العناصر المعبرة عن نظرة متجذرة في التاريخ السوسيو–معرفي لواقع العيش في الجزائر وطبيعة العلاقات بين كتلتين رئيسيتين لهذا المجتمع هما المسيرون/المسيَرين وعلاقة أفراد هذا المجتمع بأوروبا والأوروبيين هناك عناصر أخرى لا تقل أهمية عنها تم الحصول عليها باستعمال أدوات جمع بيانات أخرى تعطي رسما أوليا (une esquisse) لنظام خلفي مؤطر لتصور الشباب الجزائري للهجرة السرية ويتضمن:

- ترسخ فكرة الهروب من البلد كحل مقبول ومشرعن لمواجهة أوضاع لا تشجع على العيش في البلد الأصلي.
- الأوضاع المزرية في البلد والتي لا تعود لأسباب موضوعية وإنما لشعور عام باللاعدالة خلقته فئة المسيرين من خلال توزيع غير عادل للثروة وخدمة للمصالح الشخصية وغياب الأمل في التغيير.

- زوال قيمة العمل نتيجة لقلة مردوديته مقارنة بنفس العمل في أوروبا وعدم مساهمته في الإرتقاء الإجتماعي.
- صورة إيجابية عن أوروبا كمكان للعيش يلبي جميع متطلبات العيش ويوفر فرصة للتحرر من كل أشكال العنف: عنف المحيط الفيزيقي، عنف التنظيم الإجتماعي، عنف الوسط الإجتماعي، عنف التفاعلات الإجتماعية، عنف الفضاء العمومي، عنف الوسط المهني، عنف المقدس.

أما فيما يخص النظام المعياري والقيمي المعارض لهذا النوع من الهجرة، فمن الواضح أن موضوع الهجرة السرية ينشط بعضا من عناصره المتمثلة في:

- تقييم سلبي لشخصية المهاجر السري (الطمع، الإهتمام بالماديات، الرغبة في حياة إباحية) الذي يعتبر عينة من الشباب الجزائري الميال إلى الكسل والعمل المريح.
- رفض مغادرة البلاد بدعوى الوطنية (القليل في بلدي أفضل من الكثير في بلدان الآخرين) وهي وطنية قد تصل إلى حد إتهام الشباب المهاجرين سريا بالتنكر لتضحيات الشهداء.
- تقييم سلبي لشخصية الجزائري التي تغيرت مع الوقت وفقدت قيمها في العمل.
- رفض مغادرة البلاد بدعوى دينية والنظر إلى أوروبا كمكان يمكن للشاب المهاجر إليه أن يفقد مبادئه ودينه فيه.
- صراع تاريخي مع أوروبا كقارة مستعمرة بالأمس ومستمرة في سعيها للهيمنة علينا إلى اليوم.

2.5. مناقشة النتائج في ضوء الفرضيات الجزئية:

تعكس الفرضيات الجزئية الثلاثة رغبتنا في معرفة الإختلاف في توظيف الثنائيات المذكورة أعلاه بحسب ثلاث متغيرات بسيكو– سوسيولوجية هي: مستوى الإنخراط في الهجرة السرية، الإتجاه سلبي/إيجابي نحو الهجرة السرية، العزو السببي لدى الشباب المُستجوَب.

1.2.5. الفرضية الجزئية الأولى:

يتأثر توظيف هذه البنى السوسيو معرفية في التصورات الإجتماعية للهجرة السرية بمستوى إنخراط الشباب في هذه الهجرة.*

بينت النتائج أن مستوى إنخراط الشباب في الهجرة السرية لا يؤثر في علاقتهم مع **العامل الأول** الذي يتضمن الثنائيتين **دولة (مسيرون)/شعب (مواطنون)** و**أغنياء/فقراء** حيث يوافق من حاولوا الهجرة بشكل سري، من فكروا فيها ومن لم يفكروا فيها على محتوى هذا العامل. كما أن مستوى إنخراطهم هذا لا يؤثر في موقفهم الموافق على عبارات العامل الرابع الحامل لتصورات إيجابية عن أوروبا والأوروبيين.

في المقابل، يبدو أن مستوى إنخراط الشباب في الهجرة السرية يؤثر في موقفهم من محتوى العوامل 2، 3 و5 ، حيث يتحفظ من حاولوا الهجرة السرية على محتوى العامل الثاني الذي تحمل عباراته ضغطا معياريا ويأتي من فكروا فيها في المرتبة الثانية من حيث التحفظ، في حين أن من لم يفكروا في هذا النوع من الهجرة هم الأقل تحفظا، ما يعني أن من ينخرطون في الهجرة السرية هم الأكثر حساسية لأشكال الضغط التي يمارسها المجتمع، لذلك نجدهم أقل تحفظا على عبارات العامل الثالث الذي تتحدث عباراته عن الجزائر بسلبية وعن لا عدالة من يسيرونها، في حين نجد أن من فكروا في الهجرة ميالون للتحفظ بشأنها، بينما يعارضها من لم يفكروا في الهجرة السرية.

يبدو أن مستوى إنخراط الشباب في الهجرة السرية يؤثر على موقفهم من محتوى العامل الخامس الذي تتحدث عباراته عن سلبيات الغرب، فنجد الحراقة يوافقون على محتواه وهو أمر راجع في إعتقادنا لما اختبروه من ظروف في أوروبا، كما يوافق من لم يفكروا في الهجرة السرية على محتواه وقد يكون ذلك راجعا لعدم رغبتهم في الهجرة إلى أوروبا، أما من يفكرون في هذا النوع من الهجرة فهم ميالون إلى التحفظ بشأن محتوى هذا العامل، وقد يكون هذا الميل للتحفظ نابعا من عدم إختبارهم لواقع العيش في البلدان الأوروبية.

* يشير مفهوم «مستوى الإنخراط» (le niveau d'implication) إلى وضعية بسيكو-سوسيولوجية و ممارساتية، فهو يعبر عن موقف من موضوع ما يتجسد بالممارسات المرتبطة بهذا الموضوع، ففي حالتنا مثلا، يظهر مستوى الإنخراط في القيام بهجرة سرية أم لا.

2.2.5. الفرضية الجزئية الثانية:

يتأثر توظيف هذه البنى السوسيو معرفية في التصورات الإجتماعية للهجرة السرية بإتجاه الشباب نحو هذه الهجرة.

لا يوجد إختلاف دال إحصائيا في علاقة الذين يوافقون على الهجرة السرية والذين يرفضونها مع العوامل 1، 4 و5، حيث يوافق أفراد المجموعتين على محتوى هذه العوامل، ما يعني أنهم ينشطون بنفس الكيفية النظام الإدراكي الخلفي الذي ترتكز عليه الثنائيتين **دولة (مسيرون)/شعب (مواطنون)** و**أغنياء/فقراء** و **الإدراكات الإيجابية/ السلبية عن أوروبا والأوروبيين**، ولكن أصحاب الإتجاه الإيجابي من الهجرة السرية يختلفون عن أصحاب الإتجاه السلبي في علاقتهم مع العامل 2 و3، فمن الواضح أن من يوافقون على هذا النوع من الهجرة يرفضون ثنائية **الإدراكات الإيجابية عن الجزائر/ الإدراكات السلبية عن الجزائريين** في حين يوافق من لهم إتجاه سلبي من هذا النوع من الهجرة على هذه الثنائية، في المقابل، يميل أفراد المجموعة الأولى إلى الموافقة على ثنائية **دولة (مسيرون)/ إدراكات سلبية عن الجزائر** في حين يميل أفراد المجموعة الثانية إلى رفض هذه الثنائية. بعبارة أخرى، لا يؤثر إتجاه الشباب من الهجرة السرية على موافقتهم على العوامل التي تتحدث عن مسؤولية المسيرين الذين يمثلون الأقلية الأغنياء على الوضع المزري للمسيَرين الفقراء، وعن التصورات الإيجابية والسلبية بشأن أوروبا والأوروبيين، ولكنه يؤثر في موقفهم من محتوى العامل الثاني الذي تحمل عباراته ضغطا معياريا والعامل الثالث الذي توفر عباراته فرصة لمن يشعرون بهذا الضغط لمواجهته.

3.2.5. الفرضية الجزئية الثالثة:

يتأثر توظيف هذه البنى السوسيو معرفية في التصورات الإجتماعية للهجرة السرية بحسب العزو السببي (داخلي/خارجي) للشباب المعني.*

لقد إفترضنا أن العزو السببي الداخلي أو الخارجي يمكن أن يغير من موقف الشباب تجاه العوامل الخمسة، وهو ما حدث بشكل طفيف مع العامل الثاني وبشكل واضح مع العامل الثالث، إذ يبدو أن من لديهم عزو سببي داخلي متحفظون بخصوص العبارات التي تتضمن ضغطا معياريا ومتحفظون بشأن تلك التي تتحدث بسلبية عن الجزائر، في حين يعارض أصحاب العزو السببي الخارجي عبارات العامل الثاني ذات الضغط المعياري ويوافقون على عبارات العامل الثالث التي تتحدث عن الجزائر بسلبية. في المقابل، يبدو أن العزو السببي داخليا كان أم خارجيا

* يشير مفهوم «العزو السببي» أو «مركز التحكم le locus de contrôle» إلى الكيفية التي يفسر بها الأفراد نتائج سلوكاتهم أو سلوكات الآخرين، فدووا العزو السببي الداخلي يعزون نتائج تلك السلوكات إلى قدراتهم، مجهوداتهم أو أخطائهم، في حين يعزوا دووا العزو السببي الخارجي نتائج تلك السلوكات إلى قوى غير متحكم فيها: سوء الحظ، القدر، الظروف، ...

لأفراد العينة لم يؤدي إلى إختلاف في موقفهم من العوامل 1، 4 و5 التي تتحدث عن مسؤولية المسيرين الذين يمثلون الأقلية الأغنياء على الوضع المزري للمسيَرين الفقراء، وعن التصورات الإيجابية والسلبية بشأن أوروبا والأوروبيين والتي تنتمي في إعتقادنا لنظام خلفي (un méta système) مترسخ في التاريخ السوسيو معرفي للمجتمع الجزائري.

خـــاتمة:

تتيح نظرية التصورات الإجتماعية، بما تتضمنه من أساس نظري (مختلف التوجهات النظرية المؤسسة لها) ومنهجي (أدوات جمع وتحديد وتحليل محتوى وبنية إدراكات جماعة أو فئة ما بخصوص موضوع ما) فرصة للباحث البسيكو–سوسيولوجي لفهم علاقة الجماعة الإجتماعية أو الفئة بموضوع أو ظاهرة مشكلة لحياتهم اليومية، لكن صعوبة هذا الحقل البحثي تكمن في تعدد مستويات التحليل (البسيكولوجي، السوسيولوجي، المعرفي، الرمزي، الهوياتي والممارساتي) وبالتالي ربط المحتوى التصوراتي بدلالاته البسيكو–سوسيو–معرفية، فمعرفة بنية التصور الإجتماعي للهجرة السرية (الحرقة) في دراستنا هذه لم تكن كافية لوحدها، حيث توجب علينا العمل على ربط العناصر المفرداتية بدلالاتها البسيكو–سوسيو–معرفية وحتى الثقافية وهي مهمة لا ندعي أنها كانت سهلة أو أُنجزت بنجاح.

لقد بينت نتائج الدراسة الميدانية كيف أن فكرة الهروب مترسخة في التاريخ السوسيو–معرفي للجماعة وهي فكرة ارتبطت بالوضعية الإقتصادية المزرية التي خلقها الإستعمار وغياب العدالة الإجتماعية، ويبدو أن الشباب المهاجر يعتقد بأن ظروفه الحالية مبرِرة لهروبه، يضاف لها شعور بالظلم (الحقرة) محدد في علاقة غير متكافئة بين دولة (مسيرين)/شعب (مواطنين) وأغنياء/فقراء، بينا أنه مترسخ في تاريخ المجتمع الجزائري، إذ يرجع إلى بدايات الإستقلال كما رأينا في عنصر عرض وتحليل ومناقشة نتائج أداة الإستحضار التسلسلي.

من الواضح أن من يوافقون على هذا النمط من الهجرة يرتكزون على نظام خلفي يتضمن فكرة الهروب كحل لمواجهة مختلف المشكلات التي يعاني منها الجزائريون في بلدهم، وذلك لاعتقاد عميق لديهم بوجود ما يشبه علاقة غير صحيحة أصلية بين الدولة (المسيرون) والشعب (المواطنون) وبين الأغنياء والفقراء، بالإضافة لارتباط الهجرة الجزائرية تاريخيا بالعمل، وتنشيط من يقومون بهذا النوع من الهجرة أو يوافقون عليه لإدراكات سلبية عن الجزائر بالموازاة مع إدراكات إيجابية عن أوروبا وشخصية الأوروبيين.

يبدو أن من يعارضون الهجرة السرية يخضعون هم أيضا لنظام معياري وقيمي يؤطر موقفهم، حيث يحتوي هذا الأخير على إدراكات سلبية عن شخصية الجزائري وإدراكات سلبية عن البلدان الأوروبية لإعتبارات تاريخية والأوروبيين لإعتبارات عقائدية.

أما فيما يخص المتغيرات البسيكو–سوسيولوجية التي هدفت دراستنا لمعرفة دورها في توظيف الشباب المستجوبين لمختلف الثنائيات (المشار إليها في نتائج الدراسة) في نشاطهم المعرفي والتصوراتي، فمن الواضح أن

مستوى الإنخراط في الهجرة السرية والإتجاه نحوها والعزو السببي لحدوثها لا يغير شيئا في علاقة المستجوَبين بالثنائيات **دولة (مسيرون)/شعب (مواطنون)** و**أغنياء/فقراء**، أو **الإدراكات الإيجابية/السلبية عن أوروبا والأوروبيين**، إذ يبدو أن هذه الإدراكات توظف من قبل الجميع دون أن تتأثر بمتغيرات بسيكو–سوسيولوجية.

من الواضح أن تأثير تلك المتغيرات البسيكو–سوسيولوجية يظهر فقط مع المحتويات التي تحمل ضغطا معياريا، أو المحتويات التي تتيح فرصة للشباب لمجابهة ذلك الضغط.

يبدوا أن الثنائيات التي أتاحت لنا دراستنا الميدانية إستخراجها والتي نعتقد بأنها تنتمي لنظام خلفي مترسخ في التاريخ السوسيو–معرفي للمجتمع الجزائري، تُوظَف بشكل مستقل عن المتغيرات البسيكو–سوسيولوجية الثلاثة (مستوى الإنخراط في هذا النوع من الهجرة، الإتجاه نحوها والعزو السببي لحدوثها) حيث يبقى تأثيرها منحصرا على الإدراكات السلبية المتعلقة بالشباب أو الحراقة أو الجزائري بشكل عام أو الإدراكات السلبية عن الجزائر، لكن ما عجزت دراستنا عن توضيحه هو حجم أو ثقل كل ثنائية في إدراكات الشباب الجزائري لظاهرة الهجرة السرية؛ فباستثناء الثنائيات المشكلة للعامل الأول: **دولة (مسيرون)/شعب (مواطنون)** و**أغنياء/فقراء** والتي من الواضح أنها توظف بشكل قوي أثناء الحديث عن الهجرة السرية، تبقى معرفة حجم توظيف الثنائيات الأخرى مرهونة بدراسات أشمل وأعمق.

من المؤكد أن المعطيات المتحصل عليها من هذه الدراسة تدل على وجود نظام تصوراتي أوسع يؤطر نظرة مختلف أفراد المجتمع لمختلف الظواهر المشكلة لحياتهم الإجتماعية، إستطعنا أن نبرز جزءا منه، في حين يحتاج الكشف عن بقية عناصره جهدا إضافيا، ومن بينها وجود ما يشبه "النظرية الساذجة" عن تدهور حال البلاد عاما بعد عام وعدم إمكانية تحسن وضعها، أما الدليل على وجود هكذا نظرية فيظهر في الحديث عن الماضي "كزمن جميل" وعن تدهور "حال الأجيال" جيلا بعد جيل، وعن تراجع القيم وغيرها من الوقائع التي كانت موجودة في أزمنة مضت وغابت أو تراجعت اليوم. لكن المحتوى السوسيو–معرفي الذي يمكن أن يكون في علاقة وطيدة مع إقدام الشباب على الهجرة السرية هو إعتقادهم بأن جهدهم وبقائهم في بلدهم هو خدمة لأغنياءه ومسيريه ولكنه بحاجة إلى دراسة أعمق تؤكد وجوده والظروف التي ساعدت على تشكله.

من المفيد أيضا الإشارة هنا إلى تغيرات بدأت تمس واقع الهجرة السرية في الخمس سنوات الأخيرة، بسبب لجوء الشباب إلى مسلك الجزائر–تركيا عن طريق الطائرة وبطريقة قانونية ثم الإنطلاق في هجرة سرية عبر دول أوروبا الشرقية أو اليونان وإيطاليا، ما قد ينجر عنه تعديلات في العمل التصوراتي الملازم لهذا النوع من الهجرة، فالممارسات مرتبطة، كما رأينا في الفصل النظري المتعلق بالتصورات الإجتماعية، بالتصور الإجتماعي لظاهرة معينة.

قائمة المراجع

قائمة المراجع

الكتب

1. الشهاوي، ط. ع. ا. (2009). *الهجرة غير الشرعية، رؤيا مستقبلية*، مصر: دار الفكر الجامعي.

2. بلهامل، م. (2014). *الأقليات المسلمة في الغرب والإندماج المستحيل، مسلمو فرنسا نموذجا*، الجزائر: الرجاء للطباعة والنشر.

3. بومدين، س. وآخرون. (2007). *النسق القيمي والتصورات الإجتماعية*، الجزائر: منشورات مخبر العلوم الإجتماعية وقضايا المجتمع، دار الأنيس.

4. بوسلطان، م. وآخرون. (2014). *الهجرة غير الشرعية*، الجزائر: مخبر المجتمع والسلطة.

5. دليو، ف. وآخرون. (2003). *الهجرة والعنصرية في الصحافة الأوروبية*، الجزائر: مخبر علم إجتماع الإتصال للبحث والترجمة.

6. رزيق المخادمي، ع. ق. (2012). *الهجرة السرية واللجوء السياسي*، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

7. شويخ، إ. وآخرون. (2015). *إسهامات مهاجري وادي سوف في الحياة الإجتماعية والإقتصادية المحلية (1918–1969)*، الجزائر: دار هومة.

8. طرشون، ن. وآخرون. (2007). *الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي، أثناء الإحتلال*، الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث.

9. عوادي، ع. ق. ع. (2014). *هجرة سكان وادي سوف إلى تونس خلال 1912–1962– تونس العاصمة أنموذجا*، الجزائر: دار الألمعية للنشر والتوزيع.

10. فيلالي، ك. (2009). *سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر*، الجزائر: مخبر الدراسات والأبحاث الإجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة.

11. قميني، ر. (2016). *آليات مكافحة الهجرة غير الشرعية، دراسة تحليلية في ضوء القانون الجنائي الدولي*، الجزائر: دار هومة.

12. هلال، ع. (2007). *الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847–1918)*، الجزائر: دار هومة.

13- Abric, J. C. et autres. (2003). *Méthodes d'étude des représentations sociales*. France : Edition érès.

14- Azzoug, A. (2012). *Le destin sans frontière, l'émigration : dernier espoir d'un Algérien*. Paris : L'Harmattan.

15- Boukhobza, M. (1989). *Ruptures et transformations sociales en Algérie*. Vol 1, Algérie : OPU.

16- Bruchon-Schweitzer, M. (2002). *Psychologie de la santé*. Paris : Dunod.

17- Chojnicki, L., Ragot, L. (2012). *L'immigration coûte cher à la France, Qu'en pensent les économistes*. Paris : Eyrolles.

18- Delcroix, C. (2005). *Ombres et lumières de la famille Nour, Comment certains résistent face à la précarité*. Paris : Petite Bibliothèque Payot.

19- Dubois, N. et autres. (2005). *Psychologie sociale de la cognition*. Paris : Dunod.

20- Fischer, G. N. (2005). *Les concepts fondamentaux de la psychologie sociale*. 3e éd, Paris : Dunod.

21- Gourévitch, J. P. (2014). *Les migrations pour les nuls*. Paris: éditions First.

22- Halpert, R., & Hill R. (2011). *The locus of control construct's, various means of measurement*. USA: Will To Power Press.

23- Jodelet, D. (1989). *Les représentations sociales*. Paris : PUF.

24- Mannoni, P. (1998). *Les représentations sociales*. 2e éd, Paris : PUF.

25- Mendy, T. (2009). *L'immigration clandestine, Mythes, mystères et réalités*. Paris : L'Harmattan.

26- Medher, S. (2015). *La violence sociale en Algérie*. 4e éd, Algérie : Thala édition.

27- Mohammedi, S. M. et autres. (2014). *Abdelmalek Sayad, migrations et mondialisation*. Algérie : éditions CRASC.

28- Moscovici, S. (1961). *La psychanalyse son image et son public*. Paris : PUF.

29- Musette, M. S. (dir.). (2006). *Les maghrébins dans la migration internationale*. Vol. 2, Alger : CREAD.

30- Musette, M. S. (dir.). (2016). *De la fuite des cerveaux à la mobilité des compétences ? Une vision du Maghreb*. Alger : CREAD.

31- Noé, J. B. (2015). *Le défi migratoire, L'Europe ébranlée*. France : Bernard Giovanangeli éditeur.

32- Noiriel, G. (1988). *Le creuset français, histoire de l'immigration XIX^{e}-XX^{e} siècle*. Paris : Editions du Seuil.

33- Paicheler, H. (1984). L'épistémologie du sens commun : de la perception à la connaissance de l'autre. Dans S. Moscovici (dir.), *Psychologie sociale* (p. 277-307). Paris: PUF.

34- Moliner, P. (2002). *Les représentations sociales, pratique des études de terrain.* France : PUR.

35- Pinta, P. (2010). *Sebha, ville pionnière au cœur du Sahara libyen, urbanisation, immigration, développement, tensions*. Paris : L'Harmattan.

36- Rateau, P., Moliner, P., Guimelli, C., Abric, J. C. (2011). Social Representations Theory. Dans P. A. M. Van Lange, A. W. Kruglanski, E. Tory Higgins, *Handbook of Theories of Social Psychology* (p. Thousand Oaks (USA): Sage Publications Ltd.

37- Rouquette, M. -L., Garnier, C. (1999). *La genèse des représentations sociales.* Canada : Editions Nouvelles.

38- Rouquette, M. -L., Rateau, P. (1998). *Introduction à l'étude des représentations sociales*. Grenoble : Presses universitaires de Grenoble.

39- Roussiau, N., Bonardi, C. (1999). *Les représentations sociales*. Paris : Dunod.

40- Roussiau, N., Bonardi, C. (2001). *Les représentations sociales : états des lieux et perspectives*. Belgique : Mardaga.

41- Roux, S. (2005). *Action sociale et migration, expériences et méthodes d'un service social spécialisé*. Paris : L'Harmattan.

42- Slemnia, B. D. (2008). *Harragas : ces éternels incompris !*. Alger : éditions el Maarifa.

43- Straehle, C. (dir.), (2009). *L'éthique saisie par la mondialisation : la question de l'immigration*. Canada : PUL.

44- Têtu-Delage, M.T. (2009). *Clandestins au pays des papiers, expériences et parcours de sans-papiers algériens*, Paris : La découverte.

التقارير

1- التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية، الهجرة الدولية والتنمية، جامعة الدول العربية، 2014، مصر.

2- Agence Nationale de Développement de l'investissement. (2013). Wilaya de Skikda, Algérie.

3- ONS. (2012). *Premier recensement économique (2011) : Résultats préliminaires de la première phase,* Collections Statistiques, N° 168, Série E : Economie N° 67, Algérie. Repéré à http://www.ons.dz/IMG/pdf/Resultats_definitifs_phase_I_RE2011.pdf

المقالات

1- بلعباس ع. ا، *ظاهرة الهجرة عند عبد المالك صياد: من السياق التاريخي إلى النموذج السوسيولوجي*، إنسانيات، عدد 62، أكتوبر/ديسمبر، 2013، ص 25-38.

2- بلمقدم مصطفى، بومدين محمد رشيد، بن رمضان أنيسة، *الغاز الطبيعي في الجزائر: آفاق واعدة و تحديات*، مجلة التنظيم و العمل، العدد 04، مخبر تحليل و إستشراف و تطوير الوظائف و الكفاءات، جامعة معسكر، أفريل/جوان، 2013.

3- مجاهدي م، قباطي ح، *سير ذاتية وخطابات حول تجارب "الحرقة"*، إنسانيات، عدد مزدوج 55-56، جانفي/جوان، 2012، ص 15-29.

4- مصباح ع. (2010)، *«الهجرة غير الشرعية: إطار نظري للتحليل»*، فكر ومجتمع، العدد 03، ص 61-72.

5- Agier, M. (2014). Parcours dans un paysage flottant de frontières, *Revue européenne des migrations internationales*, 30 (2), p 13-23.

6- Apostolidis, T., Duveen, G. & Kalampalikis, N. (2002). Représentations et croyances. *Psychologie & Société*, 5, 7-11.

7- Ben Khalifa, R. (2013). L'émigration irrégulière en Tunisie après le 14 janvier 2011. Le problème des disparus : pouvoirs publics et société civile. *Hommes & Migrations*, 3 (1303), 182-188.

8- Bensaâd, A. (2003). Agadez, carrefour migratoire sahélo maghrébin, *Revue européenne des migrations internationales*, 19 (1), 7-28.

9- Clochard, O. (2003). La Méditerranée : dernière frontière avant l'Europe, *Les Cahiers d'Outre-Mer*, 222, 159-180.

10- Doise, W. (1992). L'ancrage dans les études sur les représentations sociales, *Bulletin de psychologie*, Tome XLV (405), 189-195.

11- De la Guérivière, J. (2003). Amis, sachez ce que vous voulez !, *Algériens-Français : Bientôt finis les enfantillages ? Panoramiques*, 123-128.

12- Dumont, G. F. (2006). Les nouvelles logiques migratoires au XXIe siècle, *Outre-Terre*, 4 (17), 15-25.

13- Hennebelle, G. (2003). Inégalités nationalitaires, *Algériens-Français : Bientôt finis les enfantillages, Panoramiques*, 136.

14- Laffort, B. (2009). Amères olives espagnoles, le parcours de Mamadou en Andalousie, ou comment l'agriculture espagnole a créé un nouveau lumpen prolétariat, *Naqd*, 26/27, 303-333.

15- Lahlou, M. (2006). Les causes multiples de l'émigration africaine irrégulière, *Population & Avenir*, 1(676), 4-7.

16_ Le Boedec, G. (2007). Le détroit de Gibraltar, les limites d'un espace modèle de la lutte européenne contre les migrations irrégulières, *EchoGéo*, 2, 1-16.

17- Mabrouk, M. (2009). Émigration clandestine en Tunisie : organisations et filières, *Naqd*, 26/27, 101-126.

18- Maillot, P. (2003), Algériens, si vous saviez…, Algériens-Français : Bientôt finis les enfantillages ? *Panoramiques*, 74-92.

19- Mariotti, F. Tous les objets sociaux sont-t-ils des objets de représentations sociales ?, questions autours de la pertinence, université de Montpellier 3.

20- Medher, S. (2008). L'implication de jeunes algériens dans l'immigration clandestine, *Pensée et Société*, 1, 47-55.

21- Mutluer M. (2003). Les migrations irrégulière en Turquie, *Revue européenne des migrations internationales*, 19(3), 151-172.

22- Ottavy, E. & Clochard, O. (2014). Franchir les dispositifs établis par Frontex. Coopérations policières transfrontalières et refoulement en mer Egée, *Revue européenne des migrations internationales*, 30(2), 137-156.

23- Rateau, P. (1995). Dimensions descriptive, fonctionnelle et évaluative des RS- une étude exploratoire.

24- Peraldi, M. & Rahmi, A. (2009). Migrations marocaines, vielles routes, nouveaux destins, *Naqd*, 26/27, 87-100.

25_ Perrin, D. (2009). Sémantique et faux-semblants juridiques de la problématique migratoire au Maghreb, *Migrations Société*, 21(123-124), 19-49.

26- Péroncel-Hugoz, J. P. (2003). En 1962, la France aussi est devenue indépendante, Algériens-Français : Bientôt finis les enfantillages ? *Panoramiques*, 116- 122.

27- Rouadjia, A. (2003). Les oubliés des accords d'Evain, Algériens-Français : Bientôt finis les enfantillages ? *Panoramiques*, 260-271.

28- Scricciolo, L. (2006). Murs ou ghettos ? Le cas italien, *Outre-terre*, 4(17), 145-154.

29- Streiff-Fénart, J. & Poutignat, P. (2008). Nouadhibou «ville de transit» ? Le rapport d'une ville à ses étrangers dans le contexte des politiques de contrôle des frontières de l'Europe, *Revue européenne des migrations internationales*, 24(2), 193-217.

30- Terray, E. (2009). Les migrants illégaux : victimes et acteurs, *Naqd*, 26/27, 11-20.

31- Rotter, J. B. (1966). Generalized expectancies for internal versus external control of reinforcement. *Psychological Monographs: General and Applied*, 80, 1-28.

المقالات في الأنترنت:

1- Historique Jemmapes-ville : http// : encyclopedie-afn.org-historique-Jemmapes-ville.

2- Thuy Co Hoang, C. (2005). La tragédie des boat-people : un recul historique, la diaspora vietnamienne en Suisse (1975-2005), http:// www. Cosunam .ch/ vietnam/ diasporaviet/tragedieboatpeople.pdf.

الملاحق

محتويات الملاحق

- **الملحق رقم 1:** نموذج أداة الإستحضار التسلسلي Instrument d'évocation hiérarchisée
- **الملحق رقم 2:** دليل المقابلة
- **الملحق رقم 3:** نموذج سلم الإتجاهات نحو الهجرة السرية
- **الملحق رقم 4:** نموذج سلم روتر **Rotter** لموضع التحكم الداخلي–الخارجي
- **الملحق رقم 5:** إستمارة التصورات الإجتماعية للهجرة السرية عند الشباب الجزائري
- **الملحق رقم 6:** العبارات المشكلة للعوامل الخمسة (التحليل العاملي لنتائج الإستمارة)

▪ **الملحق رقم 1:** نموذج أداة الإستحضار التسلسلي Instrument d'évocation hiérarchisée

الجنس: السن: المستوى الدراسي:

– أكتب الخمس (5) كلمات التي تأتي في مخيلتك عندما تسمع كلمة: « **الحرقة** »

الحرقة

1- ..... ( )

2- ..... ( )

3- ..... ( )

4- ..... ( )

5- ..... ( )

بعد ذلك، رتب الكلمات التي وجدتها حسب أهميتها بالنسبة لك، ضع 1 في القوسين المتواجدين أمام الكلمة الأكثر أهمية، 2 في قوسي الكلمة التي تليها من حيث الأهمية وهكذا دواليك.

- **الملحق رقم 2:** دليل المقابلة

(1) أطرح عليه أسئلة بهدف معرفة: إسمه، عمره، مستواه الدراسي، إن كان يعمل أم لا؟، في حالة العمل، هل هو عمل دائم أو مؤقت؟ كيف يقيم الوضع الإقتصادي لأسرته.

(2) هل سبق لك أن سافرت خارج الوطن، أو إلى ولاية من ولاياته؟ أذكر لي هذه الوجهات.

(3) حسب رأيك، لماذا سميت الهجرة السرية: «**الحرقة**»؟

(4) هل أنت مع أو ضد الهجرة السرية؟ لماذا؟

(5) ما هو السبب الذي أدى بالشباب إلى الحرقة؟

(6) كيف سمعت لأول مرة بظاهرة الحرقة؟ من إقترح عليك المحاولة؟

(7) هل سبق وحاولت الحرقة أو جاءتك فكرة القيام بذلك أو ترغب دائما في القيام بذلك؟ إذا كانت إجابة الشاب بنعم، لماذا رغبت أو ترغب في ذلك؟

(8) كيف راودت فكرة الحرقة؟ وكيف كانت إستعداداتك للقيام بهذه المحاولة؟ ما هي الأفكار التي كانت في ذهنك وأنت تحضر لهذه المحاولة؟

(9) في حالة قيام الشاب بمحاولة الحرقة، ما الذي جعله يفشل؟ ما هي التجربة التي عاشها؟ ما الذي إستخلصه من هذه التجربة؟ وهل يرغب في إعادة المحاولة؟

(10) هل يمكنك أن تروي لنا قصة هجرتك السرية؟ كيف كان سلوك من رافقك في هذه المغامرة؟

(11) في حالة قضاء الشاب فترة إقامة سرية في أوروبا وعودته بإرادته، ما الذي جعله يقرر العودة؟

(12) هل لك أصدقاء أو تعرف أشخاصا حاولوا «الحرقة»؟ ما الذي دفعهم للقيام بذلك؟ هل نجحوا في محاولاتهم؟ في حالة الفشل، ما الذي جعلهم يفشلون؟ هل يعاودون المحاولة، أم يعدلون عن ذلك؟

(13) من هم هؤلاء الشباب الحراقة؟

(14) ما هي الدولة التي تفضل الحرقة إليها؟

(15) هل حدثوك عن مغامرتهم؟ ما الذي رووه لك؟

(16) كيف يتم للتخطيط للحرقة، ما هي الوسائل التي يجب أن يحصل عليها الحراقة؟

(17) هل لديك فكرة عن الخطط والمسالك التي يتبعها الحراقة من أجل بلوغ وجهتهم الأوروبية؟

(18) هل يمكنك أن تروي لنا قصص عن هجرات سرية لحراقة تتداول في محيطك القريب؟

(19) هل لديك فكرة عن ظروف إقامة الحراقة الذين لا يملكون أوراقا في أوروبا؟

(20) هل تعتقد بأن محاولات الهجرة السرية في تناقص أو زيادة؟

(21) هل تعتقد بأن الحراقة الذي فشلوا في محاولاتهم أو تم ترحيلهم من البلدان الأوروبية يشجعون الشباب على المحاولة؟

(22) هل لديك فكرة عن المسافة بين الشواطئ الجزائرية الشرقية وجزيرة سردينيا؟

(23) ما رأيك فيما تنشره الجرائد أو تبثه التلفزة الجزائرية عن أخبار الحراقة في أوروبا؟

(24) ما رأيك في كيفية تناول الصحافة الوطنية لظاهرة الحرقة؟

(25) هناك من يعتقد بأن الطمع هو ما يدفع الشباب للقيام بذلك. ما رأيك؟

(26) هناك من يعتبر الحرقة إنتحار، ما رأيك؟

(27) هناك من يتحدث عن ظروف مزرية يعيشها هؤلاء، ما رأيك؟

(28) لماذا يصبرون على هذه الظروف في أوروبا ولا يصبرون على ظروفهم في الجزائر؟

(29) ألا تعتقد بأن الحراقة الذين يغرقون في البحر مسئولون عن مصيرهم؟

(30) بالنظر إلى الألم الذي يسببه الحراقة لدويهم، ألا ترى بأنهم أنانيون لا يفكرون إلا بأنفسهم.

(31) هناك من بين الحراقة الذين أمسكت بهم القوات البحرية متابعون قضائيون، ألا ترى أن السبب الوحيد للحرقة ليس البحث عن مستقبل أفضل فقط؟

(32) هناك من يحرم هجرة الشباب ويعتبرها إنتحار... قال الشيخ أبو عبد السلام: « **إننا نعتبر هؤلاء الشباب آثمين، وكل من ينساق وراء شبكات الهجرة عبر القوارب حكم على نفسه بالدخول في دائرة الحرام لأن هؤلاء المهاجرين خالفوا الطرق المشروعة للسفر وعرضوا أنفسهم للخطر ومات الكثير منهم**».

(33) هناك من الحراقة الذين نجحوا في الوصول إلى فرنسا عن طريق إيطاليا من إلتحق باللفيف الأجنبي الفرنسي، ليكون ملكا للمؤسسة العسكرية حيث من المحتمل أن يقاتل في العراق وأفغانستان ومناطق صراع أخرى؟

(34) ما رأيك في الفتيات اللواتي تقبلن على الحرقة؟ ما الذي يمنعهن من البحث عن حياة أفضل مثل الشباب الذكور؟

(35) لماذا يقبل المهاجرون القيام بأعمال شاقة في المهجر ولكنهم يرفضون القيام بها في الجزائر؟

(36) أول ما يقوم به المهاجرون عند تسوية وضعهم هو العودة إلى الجزائر. لماذا في رأيك؟

(37) كيف يكون رد فعل من تم ترحيلهم إلى الجزائر، هل يتخلون عن فكرة الهجرة؟ أم يقومون بتعبئة شباب آخرين؟

(38) هناك من الحراقة الذين فشلوا في محاولتهم من تحدث عن شجارات وقعت بين الحراقة على متن القارب، وهناك من تم رميهم من القارب حتى لا يغرق، ما تعليقك على هذه المعلومة؟

(39) يؤكد الشباب الذين نجحوا في الإلتحاق ببلدان أوروبية على أن هجرتهم لم تكن سهلة، وينصحون الشباب الجزائري بالبقاء في بلده. ما هو موقفك من ذلك؟

(40) يقول الذين لا يوافقون على الهجرة السرية بأن الطمع هو ما يدفع الشباب للقيام بهذه المغامرة؟

(41) هناك من يرى بأنه على الشباب بالصبر، ما رأيك؟

(42) ما رأيك في من يقول بأن الشباب يريدون الإستفادة من أملاك الدولة دون أن يقدم المقابل؟

(43) هناك من يطالب بتخصيص منحة للبطال حتى يجد عملا، ألا ترى بأن هذه المنحة ستشجع الشباب على عدم البحث عن عمل؟

(44) هناك من يرى بأن الهجرة إلى أوروبا تنكر للإسلام، ما رأيك؟

(45) أوروبا تعاني من أزمة إقتصادية غير أن الشباب مازال يحاول الهجرة إليها، بماذا تفسر ذلك؟

(46) ما رأيك في قانون تجريم الحراقة؟ هل تعرف محتواه؟

(47) هناك من يعتقد بأن الشباب الحراق يبحث عن الحرية، الخمر، البنات.

(48) هناك من يتهم الحراقة بالنقص في الوطنية، ما تعليقك؟

(49) يجيب الحراقة على من ينتقدهم، بأن هدفهم من وراء الهجرة هو: الحرية، ضمان المستقبل. ألا تعتقد بأنهم محقون في ذلك؟

(50) ماذا تقول في الأفارقة المتواجدين في الجزائر؟ هل تقبل قدومهم؟ لماذا؟

(51) ما هو الحل الواجب تطبيقه من أجل أن تتوقف هذه الظاهرة؟

(52) يقول الشباب بأنه هناك أقلية تنعم بالخيرات وأغلبية محرومة، ما تعليقك؟

(53) يقول الشباب الراغب في الهجرة بأن أوروبا موطن العدالة، وتثمين الكفاءات، ألا تعتقد بأنهم محقون؟

(54) هناك من يرى بأن الجزائر سجن كبير، ما تعليقك على ذلك؟

(55) ما الذي يمكن أن تجده في أوروبا وهو غير موجود في الجزائر؟

(56) كيف تفسر، منع القانون الأوروبي لدفن المهاجرين الشرعيين في المقابر العمومية، وحرقهم أو رميهم في البحر؟

(57) هناك من يتحدث عن وجود شبكة في إيطاليا مختصة في تجنيد الشباب الحراق في اللفيف الأجنبي في الجيش الفرنسي، ما هو تعليقك على ذلك؟

(58) إذا كانت الدول الأوروبية تهتم بالشباب الحراق عند وصولهم، كيف تفسر تصريح المستشارة الفدرالية **إفلين ويدمرشليمف: "سويسرا بصدد إيجاد إطار قانوني لطرد هؤلاء المنحرفين الذين يواصلون خلق المشاكل"**.

(59) يقول الكثير من الشباب بأن أوروبا توفر معيشة أفضل وتمنحهم حقوقهم، كيف تفسر إقتراح الحزب الحاكم في إسبانيا لإضافة فقرات جديدة للمادة 318 بحيث يعاقب "**القانون أي شخص يساعد مهاجرا من دون وثائق من دول لا تنتمي إلى الفضاء الأوربي، أو يأويه أو يقدم له مساعدات مالية أو يساعده على تخطي الحدود لبلوغ دولة أوربية أخرى عامين سجنا نافذا فضلا عن غرامات مالية تصل إلى حدود 1400 أورو**".

(60) «**هناك** (في الجزائر) **لا يوجد أمل، هنا يمكن للأمور أن تتغير**» لماذا يعتقد الشباب ذلك؟

(61) لماذا يرفض المواطنون الأوروبيون المغاربة والأفارقة في أوروبا حسب رأيك؟

(62) ما السبب الذي جعل الجزائر تعاني من كل مشاكلها بالرغم من غناها بالموارد البشرية والمواد الأولية وشساعة مساحتها؟

(63) لماذا تعتقد أن المسؤولين هم سبب هذه الظاهرة؟

(64) هناك من الأطفال من أقدم على الحرقة، ما الذي يدفعهم لهذه المحاولة بالرغم من أنه لم يصل إلى العمر الذي يجعله يفكر في هكذا مغامرة؟

(65) لماذا يغادر الشباب البلد ليتركوه لمن يسرقه؟

(66) كيف تنظر لأولئك الذين تم ترحيلهم من فرنسا، هل يمكن أن ينجحوا في الجزائر؟

(67) ما رأيك في الإجراء الذي إتخذته الحكومة لمعاقبة الشباب الذي يقدم على الحرقة أو يحاول الإنتحار بحرق نفسه؟

(68) لماذا لا يحاول الشباب بدل جهد في بلدهم من أجل حسين وضعهم وبناء مستقبلهم؟

(69) هناك من الحراقة أو الشباب من يقول أنه لا مستقبل في الجزائر، ما أدراهم، ربما تتحسن الأمور بعد بضعة سنوات؟

(70) هناك من يقول أن تكاليف الحرقة مكلفة. لماذا لا يستغل الشباب هذه الأموال للإستثمار في بلدهم؟

(71) كيف تفسر أنه هناك من هم في حالة مادية لا بأس بها ومع ذلك يقومون بهذه المغامرة؟

(72) هل يمكن أن تتحسن أحوال الجزائر وتتقدم في المستقبل؟

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة 20 أوت 1955–سكيكدة

قسم علم النفس

مدرسة الدكتوراه علم النفس الإجتماعي

إستمارة مبينة لـ:

إتجاهات الشباب الجزائري نحو الهجرة السرية

مرحبا،

نطلب منك أن تتفضل بالقراءة المتأنية للعبارات الموالية، وتشير إلى أي درجة أنت موافق على كل واحدة منها، من خلال وضع علامة (x) في الخانة التي تعكس رأيك، على أن تقدم إجابة واحدة عن كل عبارة.

	موافق جدا	موافق	بدون رأي	غير موافق	غير موافق جدا
(1) من حق أي إنسان أن يهاجر في أرض الله الواسعة، مهما كانت الوسيلة.					
(2) على السلطات تكثيف الرقابة على الشواطئ لمنع محاولات الهجرة السرية.					
(3) أشجع الهجرة السرية ما دامت هناك حواجز موضوعة أمام هجرة الشباب القانونية.					
(4) أنا ضد كل طرق الهجرة السرية، لأنها كلها غير مضمونة النتائج.					
(5) أُؤيِد الهجرة السرية لأنها محاولة من الشباب لتحسين وضعهم.					
(6) أُفضِل تكرار محاولات الحصول على التأشيرة على اللجوء إلى الهجرة السرية.					
(7) تحمُل مخاطر الهجرة السرية أفضل من البقاء مكتوف الأيدي في البلد.					
(8) لن أهاجر سريا، لأن حظوظي في النجاح ضئيلة.					
(9) يمكنني أن ألجأ للهجرة السرية ولكن، بالذهاب بتأشيرة ثم البقاء بعد إنتهاء مدة صلاحيتها.					
(10) يجب تشديد العقوبات المسلطة على مهربي الحراقة للقضاء على هذه الظاهرة (الهجرة السرية).					
(11) على السلطات أن تترك الشباب المهاجرين سريا يجربون حظهم.					
(12) الهجرة السرية مغامرة بالحياة.					
(13) تأكلني حوتة ولا تأكلني دودة.					
(14) الهجرة السرية إنتحار.					
(15) تحيا الحرقة.					
(16) الهجرة السرية جهل بالعواقب (النتائج السيئة).					
(17) إذا أتيحت لي فرصة الهجرة السرية إلى أوروبا لن أضيعها.					
(18) الإنسان العاقل لا يلجأ إلى الهجرة السرية.					
(19) عدد الناجحين في الوصول إلى أوروبا كثير.					
(20) لن أهاجر بشكل سري حتى ولو قام كل أصدقائي بذلك.					

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة

قسم علم النفس

مدرسة الدكتوراه علم النفس الإجتماعي

سلم روتر Rotter لموضع التحكم

مرحبا،

نعرض عليك هذا السلم الذي يسمح لنا بمعرفة نظرتك لمختلف التجارب التي تميز حياتك اليومية، ونعلمك بأنه لا توجد إجابات صحيحة أو خاطئة عن هذا السلم، كما أن إجاباتك ستستغل لأغراض البحث العلمي فقط وستخضع للسرية التامة.

شكرا لتعاونك

فيما يلي 29 قضية تحتوي كل واحدة منها على عبارتين (**أ** و **ب**)، نرجوا أن تختار من كل قضية العبارة (**أ** أو **ب**) التي تتفق معها أكثر. في حالة ما إذا كنت تتفق مع العبارتين، إختر التي تتفق معها أكثر، أما في حالة عدم إتفاقك مع العبارتين معا، تجنب العبارة التي لا تتفق معها أكثر.

- **إختيار العبارة يكون بوضع علامة (x) في الخانة التي أمامها.**

1	أ	غالبا ما يكون الأطفال الذين يعانون من مشاكل، أطفالا تلقوا تربية متشددة جدا	
	ب	يعاني أطفال اليوم من مشاكل لأن أوليائهم يتركونهم يفعلون ما يشاءون	
2	أ	ترجع أغلبية الأمور السيئة التي تحدث للناس إلى سوء حظهم	
	ب	تأتي المشاكل التي يواجهها الناس عادة من أخطاء إرتكبوها	
3	أ	قلة إهتمام الناس بالسياسة هو السبب الرئيسي للحروب	
	ب	ستكون دائما هناك حروب مهما كانت الجهود التي نبدلها لمنع حدوثها	
4	أ	كل واحد منا يتلقى الإحترام الذي يستحقه	
	ب	لا يعرف الناس قيمة الإنسان في أغلب الأحيان، مهما كانت فضائله	
5	أ	الفكرة التي مفادها أن المعلمين ضد التلاميذ لا معنى لها	
	ب	لا يعرف أغلبية التلاميذ بأن الحظ يلعب دورا في نجاحهم	
6	أ	لا أحد يرتقي في مناصب المسؤولية دون جانب كبير من الحظ	
	ب	إذا لم يصل شخص كفء إلى مكانة جيدة، فذلك راجع لأنه لم يعرف كيف يستغل الظروف	
7	أ	مهما كانت الجهود التي نبدلها معهم، هناك أشخاص لن يحبونا أبدا	
	ب	هناك أشخاص لا يمكنهم أن يصبحوا محبوبين من قبل الآخرين، لأنهم لا يفهمون كيف يتصرفون معهم	
8	أ	شخصية الفرد تحددها الوراثة إلى حد كبير	
	ب	تجارب الحياة هي التي تجعلنا على ما نحن عليه	
9	أ	أفكر دائما في أن ما يجب أن يحدث ينتهي دائما بالحدوث	
	ب	ترك أموري للمكتوب لم ينجح معي، أفضل تسيير أفعالي بنفسي	
10	أ	من الناذر أن يفشل طالب في إمتحان حضر له جيدا	
	ب	المراجعة لا تفيد دائما، لأن بعض أسئلة الإمتحان تكون بعيدة عن محتوى الدرس	
11	أ	بلوغ النجاح مرتبط بالعمل ودور الحظ في هذا الأمر قليل أو منعدم	
	ب	الحصول على عمل جيد مرتبط بالتواجد في المكان المناسب وفي الوقت المناسب	
12	أ	كل مواطن يؤثر تأثيرا حقيقيا على قرارات الحكومة	
	ب	العالم يسيره عدد قليل من الأشخاص في الحكم والمواطن لا يمكنه فعل الكثير	
13	أ	عندما أنوي عمل شيء ما، أكون دائما متأكدا من أن هذا العمل سينجح	
	ب	من المخاطرة التخطيط المسبق لأمر ما، لأن الحظ قد يجعل الأمور لا تسير بشكل جيد	
14	أ	هناك أشخاص سيؤون	
	ب	هناك جانب جيد في كل شخص	
15	أ	بالنسبة لي، عندما أحصل على ما أرغب فيه لا علاقة لذلك بالحظ	
	ب	غالبا ما يكون من الجيد أن نأخذ قراراتنا بالإحتكام إلى وجهي قطعة نقدية	

16	أ	عادة ما يكون الحصول على منصب مسؤولية مرتبط بحظنا في أن نكون أول المتقدمين وفي المكان المناسب	
	ب	لكل شخص المنصب الذي يتلاءم مع قدراته، فالحظ قليل أو منعدم في هذا الأمر	
17	أ	عادة ما نكون في حياتنا ضحايا لقوى لا يمكننا فهمها أو التحكم فيها	
	ب	يمكن للأشخاص التحكم في الأحداث إذا إنخرطوا في الحياة السياسية والحياة في المجتمع	
18	أ	هناك العديد من الأشخاص الذين لا يعرفون بأن حياتهم يسيرها الحظ	
	ب	الصدفة لا توجد	
19	أ	علينا أن نعترف دائما بأخطائنا	
	ب	من المفضل أيضا أن نخفي أخطائنا	
20	أ	من الصعب معرفة ما إذا كان شخص يحبنا أم لا	
	ب	عدد أصدقائنا مرتبط بطيبتنا	
21	أ	مع مرور السنين، تتساوى الأمور الجيدة التي تحدث معنا مع الأمور السيئة	
	ب	يرجع فشلنا في أغلب الأحيان إلى نقص قدراتنا، كفائتنا، بعد نظرنا أو الثلاثة معا	
22	أ	إذا وحدنا كل قوانا يمكننا مواجهة الفساد السياسي	
	ب	من الصعب أن يؤثر الأفراد على ما يقرره السياسيون في مكاتبهم	
23	أ	أتساءل في بعض الأحيان كيف وصل بعض المحترفين إلى المستوى الذي هم عليه	
	ب	المكانة التي نبلغها مرتبطة بشكل كبير بحجم المجهودات المدرسية التي بدلناها	
24	أ	المسير الجيد هو من يترك من يسيرهم يختارون ما يجب عليهم القيام به	
	ب	المسير الجيد هو من يشرح بوضوح لكل واحد ما يجب عليه أن يقوم به	
25	أ	أفكر دائما في أن تأثيري على مجرى الأمور التي تخصني ضعيف	
	ب	من الصعب علي أن أتقبل بأن الحظ أو الصدفة يلعبان دورا مهما في حياتي	
26	أ	يبقى الأشخاص لوحدهم في الغالب، لأنهم لا يبدلون جهدا ليكونوا ودودين مع الآخرين	
	ب	من غير المفيد محاولة نيل إعجاب الآخرين، فهم يحبونك أو لا بشكل عفوي	
27	أ	هناك الكثير من العمل في المدرسة	
	ب	التمارين المدرسية ممتازة لتنمية الفكر	
28	أ	أنا مسؤول بشكل كامل على ما يحدث لي في حياتي	
	ب	أحيانا، أشعر بأني لا أتحكم في مسار حياتي	
29	أ	في أغلب الأحيان، لا أفهم جيدا أين يريد أن يصل رجال السياسة	
	ب	نحن مسؤولون، على المدى الطويل، عمن يحكمنا على المستوى المحلي أو الوطني	

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة

قسم علم النفس

مدرسة الدكتوراه علم النفس الإجتماعي

إستمارة حول:

التصورات الإجتماعية للهجرة السرية عند الشباب الجزائري

مرحبا،

هدف هذه الإستمارة هو فهم تصورات الشباب الجزائري للهجرة السرية (الحرقة)، لذا نتمنى أن تتفضل بالإجابة على أسئلتها بأقصى عفوية ممكنة.

إن إجابتك ستستغل لأغراض البحث العلمي وستخضع للسرية التامة.

شكرا لتعاونك

حدد بدائرة درجة (من 1 إلى 5) موافقتك على الأفكار التي تتضمنها العبارات الموالية:

الغربيون لديهم الرأفة، إذا وجدوك تعاني يساعدونك (بالمال، بمنصب عمل، ...)	1	2	3	4	5
لا جنة في أوروبا	1	2	3	4	5
في أوروبا عندما تعمل يعطونك حقك بالتمام	1	2	3	4	5
مهما كنت كفؤا ومتخلقا ومنضبطا فالأوروبيون لن يثقوا بك وسيتعاملون معك بحذر	1	2	3	4	5
تمس الأزمة الإقتصادية في أوروبا الشركات الكبرى و مناصب العمل الراقية وليس مناصب العمل التي يقصدها المهاجرون بدون وثائق	1	2	3	4	5
لا يحب الأوروبيون العرب ويعاملونهم بعنصرية	1	2	3	4	5
في أوروبا تعيش بدون حقرة	1	2	3	4	5
الأزمة الإقتصادية حيلة من الأوروبيين لطرد المهاجرين الحراقة	1	2	3	4	5
في أوروبا يعرفون قيمة الفرد ويحترمونها	1	2	3	4	5
لا يتعقب الأوروبيون بعضهم البعض، كل منشغل بنفسه بعيدا عن رقابة المحيط	1	2	3	4	5
عندما تحصل على الأوراق (les papiers) في أوروبا، يصبح لديك الحق في السكن، العمل أو منحة البطالة	1	2	3	4	5
ينصر الله الدولة العادلة ولو كانت كافرة	1	2	3	4	5
يحترم أرباب العمل الأوروبيون طقوس الإسلام على عكس بعض أرباب العمل الجزائريين	1	2	3	4	5
تفضل أوروبا الغربية المهاجرين القادمين من أوروبا الشرقية على المهاجرين المغاربة	1	2	3	4	5
في أوروبا يسود النظام	1	2	3	4	5
الأوروبيون يحتقرون الحراقة	1	2	3	4	5
المواطنون الأوروبيون واعون، مثقفون	1	2	3	4	5
الأوروبيون (الغربيون) لا يحبوننا	1	2	3	4	5
في أوروبا يعطونك فرصة	1	2	3	4	5
الغربة صعبة في أوروبا	1	2	3	4	5
تعمل الدول الأوروبية بشكل ممنهج على تحطيم دول العالم الثالث وتفتيتها	1	2	3	4	5
في أوروبا هناك العدالة	1	2	3	4	5
تدعم الدول الأوروبية الفساد في الجزائر من خلال سكوتها عن الأموال المهربة إليها من قبل المسؤولين الجزائريين	1	2	3	4	5
الكافر لا يحبك لأنك مسلم	1	2	3	4	5
مشكلة المهاجرين الجزائريين في أوروبا هم المهاجرون من نفس جنسيتهم	1	2	3	4	5
في أوروبا لا يوجد شيء بالمجان	1	2	3	4	5

أوروبا فخ لوطنيتنا، إسلامنا وعروبتنا	1	2	3	4	5

حدد بدائرة درجة (من 1 إلى 5) موافقتك على الأفكار التي تتضمنها العبارات الموالية:

الحرقة هي محاولة من قبل الشباب للحصول على الحرية	1	2	3	4	5
الطمع هو ما يقود الشباب إلى الهجرة السرية	1	2	3	4	5
من حق الشباب الهجرة إلى أوروبا ما دامت هذه الأخيرة تأخذ البترول والغاز	1	2	3	4	5
الهجرة السرية إنتحار	1	2	3	4	5
من حق الشباب الهجرة كما هاجر الرسول (ص) حينما أضطهد في مكة	1	2	3	4	5
لا يكترث الشباب المهاجر بالألم الذي يسببه لأهله	1	2	3	4	5
من يعيش في الجزائر يضيع وقته	1	2	3	4	5
الهجرة إلى أوروبا تنكر للإسلام	1	2	3	4	5
الحراقة يعذبون أوليائهم لذا لن يأتيهم النجاح	1	2	3	4	5
يجب الهجرة إلى الدول الأوروبية كما هاجرت هي إلى الدول العربية عن طريق الإستعمار	1	2	3	4	5
يذهب الشباب ليشقون في أوروبا في حين يبحثون هنا عن عمل مريح	1	2	3	4	5
الحرقة هي نتيجة لصعوبة حصول الشباب على التأشيرة	1	2	3	4	5
يفقد الشباب في أوروبا مبادئه ودينه من أجل الوثائق	1	2	3	4	5
يعيش الشباب المقيم بدون وثائق في أوروبا وضعا مزريا	1	2	3	4	5
محاولات الهجرة السرية في تناقص مستمر	1	2	3	4	5
الصحافة هي من تشجع الشباب على الهجرة السرية	1	2	3	4	5
من حق الفتيات اللواتي تقدمن على الهجرة السرية البحث عن حياة أفضل مثل الشبان	1	2	3	4	5
غياب القناعة بالوضع المعيشي لدى الشباب هو الذي يدفعهم للهجرة	1	2	3	4	5
من يبقى في الجزائر هو في خدمة الفئة الحاكمة الغنية	1	2	3	4	5
هجرة الشباب نتيجة لتدخل المحيط العائلي والإجتماعي في حياتهم	1	2	3	4	5
الشباب المهاجر الذي يغرق في البحر مسؤول عن مصيره	1	2	3	4	5
بسبب الحراقة تضطر الجزائر للسماح للشركات الفرنسية بالعمل في الجزائر	1	2	3	4	5
الحقرة هي سبب الهجرة السرية	1	2	3	4	5
هناك العديد من المهاجرين من له مشاكل قضائية ويحاول الحرقة هروبا من العدالة	1	2	3	4	5
من سن قانون تجريم الحرقة يجرم الضحية	1	2	3	4	5
الهجرة السرية تعبير عن نقص الوازع الديني لدى الشباب	1	2	3	4	5
مغامرة الشباب بحياتهم حرام	1	2	3	4	5

حتى في زمن الصحابة كانوا يغامرون بحياتهم حين كانوا يسافرون	1	2	3	4	5
هناك من الحراقة من يقوم بهذه المحاولة تقليدا لأقرانه وليس لحاجته إلى ذلك	1	2	3	4	5
هجرة الشباب السرية نتيجة طبيعية للاعدالة في الجزائر	1	2	3	4	5
من لا يجمع المال في بلده لا يفعل ذلك عند الآخرين	1	2	3	4	5
الشباب المهاجر يهتم بالماديات ويهمل الروحانيات	1	2	3	4	5
يحتقر الشباب العمل اليدوي في بلدهم ويقومون به في أوروبا	1	2	3	4	5
هجرة الشباب نتيجة طبيعية للبطالة	1	2	3	4	5
تأثر الشباب بالغرب هو ما يدفعه للهجرة إليه	1	2	3	4	5
من يهاجر من بلده تنقصه الروح الوطنية	1	2	3	4	5
من ينجح في الوصول إلى أوروبا أكبر بكثير ممن يفشل أو يموت في البحر	1	2	3	4	5
هجرة الشباب تنكر لتضحيات الشهداء	1	2	3	4	5
السعادة الكبيرة تحمل أخطارا كبيرة	1	2	3	4	5
كيف يهاجر الشباب إلى البلد المستعمر	1	2	3	4	5
من حق أي إنسان أن يسعى في أرض الله الواسعة	1	2	3	4	5
هجرة الشباب نتيجة لرغبته في الحياة الإباحية	1	2	3	4	5
الهجرة السرية هروب من مواجهة الواقع في الجزائر	1	2	3	4	5
القليل في بلدي أفضل من الكثير في بلدان الآخرين	1	2	3	4	5
لا كرامة في أوروبا	1	2	3	4	5
الفراغ هو ما يدفع الشباب للهجرة	1	2	3	4	5
المهاجرون الأفارقة غير مرغوب فيهم في الجزائر	1	2	3	4	5

حدد بدائرة درجة (من 1 إلى 5) موافقتك على الأفكار التي تتضمنها العبارات الموالية:

لقد ذهبت تضحيات الشهداء عن الجزائر سدى	1	2	3	4	5
يريد الجزائري أن يستفيد من خيرات البلاد دون أن يقدم المقابل	1	2	3	4	5
ينظر دائما لعمل الجزائري بشكل سيء (عمل غير كاف، غير متقن)	1	2	3	4	5
كان الجزائريون يرضون بالقليل أما اليوم فالشباب يتكبر على العمل	1	2	3	4	5
الجزائر يمكنها أن تغذي أوروبا بأكملها ولكن السارقين هم من يسيرونها	1	2	3	4	5
يفضل الشباب التزين والراحة على العمل	1	2	3	4	5
في الجزائر، لا يمكنك أن تحلم حتى حلما جميلا	1	2	3	4	5
علينا أن نرضى بحياتنا في الجزائر لأن الحياة سجن المسلم وجنة الكافر	1	2	3	4	5
في الجزائر الفقير يموت فقيرا	1	2	3	4	5

الجزائر بحاجة إلى شعب حقيقي	1	2	3	4	5
في الجزائر، لن تجد من يساعدك	1	2	3	4	5
لا يثق الجزائريون في بعضهم البعض	1	2	3	4	5
يحب أغلبية الجزائريين الربح في 24 ساعة	1	2	3	4	5
كرهنا من هذا البلد	1	2	3	4	5
العمل موجود في الجزائر (البناء، الفلاحة، الصيد البحري) ولكن الشباب يفضلون المكتب	1	2	3	4	5
الجزائري الذي يرضى بوضعه راض، بسيط في التفكير، ليس له مبادئ	1	2	3	4	5
أتناول الماء والخبز ولا أترك بلدي وأهلي	1	2	3	4	5
الجزائر سجن كبير	1	2	3	4	5
من لا يجمع المال في بلده لا يستطيع جمعه عند الآخرين	1	2	3	4	5
الشباب اليوم أذكى وأدرى من شباب السبعينات والثمانينات والتسعينيات	1	2	3	4	5
يحتقر الشباب الجزائري العمل اليدوي	1	2	3	4	5
لا يُعلم الجزائري جزائريا آخر خوفا من أن يتفوق عليه	1	2	3	4	5
المستقبل غير مضمون والأوضاع في هذا البلد تسير من سيء إلى أسوء	1	2	3	4	5
أصبح الشباب الجزائري يهتم بالماديات وأهمل الروحانيات	1	2	3	4	5
في الجزائر، العلاقات بما فيها العاطفية تطبعها الماديات على حساب قيمة الفرد كإنسان	1	2	3	4	5
في الجزائر العام الذي يذهب أفضل من الذي يأتي	1	2	3	4	5
شباب اليوم ليس في مستوى الشباب الذين حرروا الجزائر	1	2	3	4	5
في الجزائر حتى مع منصب عمل، يصعب تحقيق الضروريات في زمن قصير	1	2	3	4	5
ماذا تفعل في بلد لم يعطيك قيمة	1	2	3	4	5
الجزائر أفضل من الكثير من الشعوب الإفريقية والأسيوية وشعوب أمريكا اللاتينية	1	2	3	4	5

حدد بدائرة درجة (من 1 إلى 5) موافقتك على الأفكار التي تتضمنها العبارات الموالية:

في الجزائر، يأكل المسؤولون خيرات الشعب	1	2	3	4	5
المسؤولون سيؤون لأن الشعب كذلك	1	2	3	4	5
سيكون مصير الحكام الظالمين كمصير من سبقهم عبر العصور	1	2	3	4	5
على الدولة أن تتحاور مع الشباب	1	2	3	4	5
على المسؤولين تشغيل الشباب بدل إذخار الأموال في البنوك	1	2	3	4	5
يهتم المسؤولون بأبنائهم وأسرهم فقط	1	2	3	4	5
سبب الهجرة السرية هو الدولة التي لا تقوم بعملها	1	2	3	4	5
الشعب بحاجة إلى حكم كحكم عمر بن الخطاب	1	2	3	4	5

للمسؤولين الدنيا وللشعب الآخرة	1	2	3	4	5
تساهل الدولة مع المواطنين هو سبب تدهور الوضع الإقتصادي والإجتماعي	1	2	3	4	5
يتدهور مستوى المسؤولين عاما بعد عام	1	2	3	4	5
يتشبث الشيوخ بالمسؤولية على حساب الشباب	1	2	3	4	5
من الصعب أن تجد عملا شريفا من دون رشوة	1	2	3	4	5
من يتمسك بقيمه وحقوقه يصطدم مع المسؤولين	1	2	3	4	5
الأميون لهم مناصب والجامعيون بطالون	1	2	3	4	5
الجزائر بحاجة لحاكم مثل هواري بومدين	1	2	3	4	5
جعل المسؤولون الشباب يكرهون بلدهم	1	2	3	4	5
تجوع السلطة الشعب حتى يتبعها	1	2	3	4	5
المسؤولون هم سبب هجرة الشباب السرية	1	2	3	4	5
سيعاقب المسؤولون، عاجلا أم آجلا	1	2	3	4	5

حدد بدائرة درجة (من 1 إلى 5) موافقتك على الأفكار التي تتضمنها العبارات الموالية:

الفقير في هذا البلد يموت فقيرا دون أن تتاح له فرصة تحسين وضعه	1	2	3	4	5
في الجزائر الأقلية أغنياء و الأغلبية فقراء	1	2	3	4	5
من لديه القوة و المساندة يأخذ حقه والفرد الضعيف تضيع حقوقه	1	2	3	4	5
الهناء قبل الغنى	1	2	3	4	5
الجزائر ليست بلدا لكل الجزائريين، بل لبعض العائلات	1	2	3	4	5
أشعر بأني مواطن من الدرجة الثانية	1	2	3	4	5
في الجزائر تمنع أجمل الشواطئ عن الشباب	1	2	3	4	5
المهم الحصول على حصة من البترول ولو كانت ضئيلة	1	2	3	4	5
بلد غني وأبناءه فقراء	1	2	3	4	5
العائلات الغنية أصبحت كذلك لأنها تستغل خيرات البلاد	1	2	3	4	5
في الجزائر، عليك اللجوء إلى المحسوبية إذا أردت تحسين وضعك	1	2	3	4	5
في الجزائر، الإنسان النزيه يبقى فقيرا	1	2	3	4	5

في النهاية، هذه مجموعة من الأسئلة تخصك:

- **عمرك:** . . . . سنة
- **مستواك الدراسي:** إبتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐
- **وضعك المهني:**

☐ لدي عمل دائم

☐ لدي عمل مؤقت

☐ أقوم بأعمال متنوعة وغير دائمة

☐ بدون عمل

وضع آخر: . . . . . .

- **علاقتك بالهجرة السرية:**

☐ قمت بمحاولة هجرة سرية ناجحة

☐ قمت بمحاولة هجرة سرية فاشلة

☐ فكرت في محاولة الهجرة السرية

☐ لم تفكر أبدا في محاولة الهجرة السرية

- **كيفية الهجرة السرية:**

☐ عن طريق البحر باستعمال زورق

☐ التسلل إلى سفينة مسافرين أو لنقل البضائع

☐ السفر بتأشيرة ثم البقاء بعد إنتهاء مدتها

- **دامت إقامتي في بلد الوجهة:** . . . . . .
- **هل تفكر دائما في الهجرة السرية (الحرقة)؟** نعم ☐ لا ☐
- **هل في محيطك القريب من قام بهجرة سرية؟** نعم ☐ لا ☐
- **كم عدد الذين تعرفهم ممن حاول الهجرة السرية أو نجح فيها؟:** . . . . . .
- **إذا فكرت في الهجرة السرية (الحرقة) فستكون محاولتك عن طريق:**

☐ البحر باستعمال زورق

☐ التسلل إلى سفينة مسافرين أو لنقل البضائع

☐ السفر بتأشيرة ثم البقاء بعد إنتهاء مدتها

- **الملحق رقم 6:** العبارات المشكلة للعوامل الخمسة (التحليل العاملي لنتائج الإستمارة)

العامل 1	
REE11	عندما تحصل على الأوراق (les papiers) في أوروبا، يصبح لديك الحق في السكن، العمل أو منحة البطالة
RRP1	الفقير في هذا البلد يموت فقيرا دون أن تتاح له فرصة تحسين وضعه
RRP12	في الجزائر، الإنسان النزيه يبقى فقيرا
REMC34	هجرة الشباب نتيجة طبيعية للبطالة
RAA5	الجزائر يمكنها أن تغذي أوروبا بأكملها ولكن السارقين هم من يسيرونها
RAA23	المستقبل غير مضمون والأوضاع في هذا البلد تسير من سيء إلى أسوء
RAA25	في الجزائر، العلاقات بما فيها العاطفية تطبعها الماديات على حساب قيمة الفرد كإنسان
REP1	في الجزائر، يأكل المسؤولون خيرات الشعب
REP3	سيكون مصير الحكام الظالمين كمصير من سبقهم عبر العصور
REP4	على الدولة أن تتحاور مع الشباب
REP5	على المسؤولين تشغيل الشباب بدل إذخار الأموال في البنوك
REP6	يهتم المسؤولون بأبنائهم وأسرهم فقط
REP7	سبب الهجرة السرية هو الدولة التي لا تقوم بعملها
REP8	الشعب بحاجة إلى حكم كحكم عمر بن الخطاب
REP13	من الصعب أن تجد عملا شريفا من دون رشوة
REP14	من يتمسك بقيمه وحقوقه يصطدم مع المسؤولين
REP15	الأميون لهم مناصب والجامعيون بطالون
REP16	الجزائر بحاجة لحاكم مثل هواري بومدين
REP17	جعل المسؤولون الشباب يكرهون بلدهم
REP19	المسؤولون هم سبب هجرة الشباب السرية
REP20	سيعاقب المسؤولون، عاجلا أم آجلا
RRP3	من لديه القوة والمساندة يأخذ حقه والفرد الضعيف تضيع حقوقه
RRP4	الهناء قبل الغنى
RRP9	بلد غني وأبناءه فقراء
RRP10	العائلات الغنية أصبحت كذلك لأنها تستغل خيرات البلاد
RRP11	في الجزائر، عليك اللجوء إلى المحسوبية إذا أردت تحسين وضعك
العامل 2	
REMC2	الطمع هو ما يقود الشباب إلى الهجرة السرية
REMC13	يفقد الشباب في أوروبا مبادئه ودينه من أجل الوثائق
REMC32	الشباب المهاجر يهتم بالماديات و يهمل الروحانيات
REMC33	يحتقر الشباب العمل اليدوي في بلدهم ويقومون به في أوروبا
REMC38	هجرة الشباب تنكر لتضحيات الشهداء
REMC42	هجرة الشباب نتيجة لرغبته في الحياة الإباحية
REMC44	القليل في بلدي أفضل من الكثير في بلدان الآخرين

REMC45	لا كرامة في أوروبا
RAA2	يريد الجزائري أن يستفيد من خيرات البلاد دون أن يقدم المقابل
RAA4	كان الجزائريون يرضون بالقليل أما اليوم فالشباب يتكبر على العمل
RAA6	يفضل الشباب التزين والراحة على العمل
RAA13	يحب أغلبية الجزائريين الربح في 24 ساعة
RAA15	العمل موجود في الجزائر (البناء، الفلاحة، الصيد البحري) ولكن الشباب يفضلون المكتب
RAA19	من لا يجمع المال في بلده لا يستطيع جمعه عند الآخرين
RAA21	يحتقر الشباب الجزائري العمل اليدوي
RAA24	أصبح الشباب الجزائري يهتم بالماديات وأهمل الروحانيات
العامل 3	
REMC3	من حق الشباب الهجرة إلى أوروبا ما دامت هذه الأخيرة تأخذ البترول والغاز
REMC7	من يعيش في الجزائر يضيع وقته
REMC10	يجب الهجرة إلى الدول الأوروبية كما هاجرت هي إلى الدول العربية عن طريق الإستعمار
REMC19	من يبقى في الجزائر هو في خدمة الفئة الحاكمة الغنية
RAA7	في الجزائر، لا يمكنك أن تحلم حتى حلما جميلا
RAA9	في الجزائر الفقير يموت فقيرا
RAA11	في الجزائر، لن تجد من يساعدك
RAA14	كرهنا من هذا البلد
RAA18	الجزائر سجن كبير
RAA29	ماذا تفعل في بلد لم يعطيك قيمة
RRP1	الفقير في هذا البلد يموت فقيرا دون أن تتاح له فرصة تحسين وضعه
RRP5	الجزائر ليست بلدا لكل الجزائريين، بل لبعض العائلات
RRP12	في الجزائر، الإنسان النزيه يبقى فقيرا
العامل 4	
REE3	في أوروبا عندما تعمل يعطونك حقك بالتمام
REE9	في أوروبا يعرفون قيمة الفرد ويحترمونها
REE10	لا يتعقب الأوروبيون بعضهم البعض، كل منشغل بنفسه بعيدا عن رقابة المحيط
REE11	عندما تحصل على الأوراق (les papiers) في أوروبا، يصبح لديك الحق في السكن، العمل أو منحة البطالة
REE13	يحترم أرباب العمل الأوروبيون طقوس الإسلام على عكس بعض أرباب العمل الجزائريين
REE15	في أوروبا يسود النظام
REE19	في أوروبا يعطونك فرصة
REE22	في أوروبا هناك العدالة
العامل 5	
REE18	الأوروبيون (الغربيون) لا يحبوننا
REE21	تعمل الدول الأوروبية بشكل ممنهج على تحطيم دول العالم الثالث وتفتيتها
REEP23	تدعم الدول الأوروبية الفساد في الجزائر من خلال سكوتها عن الأموال المهربة إليها من قبل المسؤولين الجزائريين
REE26	في أوروبا لا يوجد شيء بالمجان